الكحالون العرب والمسلمون

وأثرهم في تطور طب العيون

بسم الله الرحمن الرحيم

الكحالون العرب والمسلمون

وأثرهم في تطور طب العيون

تأليف

أ.د. محمد ظافر الوفائي

مراجعة وتدقيق وتصحيح وتقديم

أ.د. حسان حسني الطيان

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الطبعة الاولى: ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ (الأحقاف ١٥)

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ (فصلت ٣٣)





إهـــــداء

يسعدني ويشرفني أن أهدي هذا العمل الموسوعي

إلى رفيقة الدرب الوعر..... والطويل ...

إلى من شاركتني أتراحي قبل أفراحي...

إلى من آثرتني على نفسها يوم كان بها خصاصة.....

إلى من أنارت ليالي الحالكات...

إلى من كانت الدعامة الأساس التي بنيت عليها مجدي العلمي...

إلى ملهمتي........ زوجتي

رحاب

و

إلى أولادي : ميساء وسيرين وأيمن حسين

الشمعات الثلاث اللواتي أنارت حياتي وكانوا الحافز على الاستمرار

في بذل أقصى الجهد لتحقيق الأفضل في كل ما صبوت إليه.....

ظافر





شكر وتقدير

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت ممثلا:

بأمينه العام الأستاذ/ علي حسين اليوحة

ومدير إدارة التراث العلمي الأستاذ/ مهنا المهنا

لتكرمهما بتبني هذا العمل الموسوعي وطبعه ونشره ووضعه بين أيدي الباحثين والدارسين، مما يدل على مدى حرص المجلس والقائمين عليه على إحياء تراثنا العلمي والحفاظ عليه.

كما نشكر **الأستاذ/ وائل الرومي**

رئيس قسم التحقيق والنشر في مكتبة الكويت الوطنية، لبذل قصارى الجهد في متابعة العمل بكل خطواته بدقة وأمانة وحماس.

سائلين المولى ﷻ أن يقبل عملنا هذا صدقةً جارية وعلمًا ينتفع به.. والله من وراء القصد

المؤلف	المراجع والمقدم
أ.د. محمد ظافر الوفائي	**أ.د. محمد حسان الطيان**

تنويـــه

يتقدم كل من أ. د. محمد ظافر الوفائي وأ. د. حســـان حســـني الطيان بالشكر الجزيل الى أسرة دار النفائس للطباعة والنشر في بيروت ـ لبنان ممثلة بمؤسسها ومديرها العام الأستاذ أحمد راتب عرموش وأمينة السر التنفيذية السيدة ناريمان عسل لما بذلوه من جهد في تنضيد واخراج هذا الكتاب بهذه الحلة القشيبة.



الفهرس

- إهداء ٧
- شكر وتقدير ٩
- تقديم ١٧
- المقدمة ٢٣

- **الباب الأول: الطب في الحضارات القديمة** ٣٣

تمهيد ٣٥

الفصل الأول: الطب عند قدماء المصريين البرديات (كون، أدوين سميث، إيبرس..) ٣٧

الفصل الثاني: الطب في بلاد ما بين النهرين (السومريون، الأكديون، البابليون) ٤٣

الفصل الثالث: الطب في الحضارة الهندية ٤٩

الفصل الرابع: أطباء بلاد فارس ٥١

الفصل الخامس: الطب عند اليونانيين ٥٩

الفصل السادس: الطب في العصر الروماني ٦٧

الفصل السابع: الطب في العصر البيزنطي ٧٣



• **الباب الثاني: الطب والأطباء في جزيرة العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام** ٧٩

• **الباب الثالث: الطب والأطباء وبدء الترجمة في الخلافة الأموية** ٨٩

• **الباب الرابع: الطب والأطباء والمترجمون في العصر العباسي** ٩٧

الفصل الأول: انتقال العلوم اليونانية إلى العرب ١٠٥

الفصل الثاني: الترجمة والمترجمون في بغداد ١١

• **الباب الخامس: الكحالة (طب العيون ـ والكحالون العرب والمسلمون)** ١٢١

الفصل الأول: أطباء العيون الذين ألّفوا كتباً في هذا الفن ١٢٣

١ ـ روفوس Rufus of Ephesus ١٢٣

٢ ـ جالينوس Galen ١٢٤

٣ ـ الإسكندروس الطبيب ١٢٥

٤ ـ ماسرجويه البصري ١٢٥

٥ ـ تدري ١٢٦

٦ ـ جابر بن حيان ١٢٦

٧ ـ جبرائيل بن بخيشوع بن جرجيس ١٢٧

٨ ـ يوحنا بن ماسويه ١٢٨

٩ ـ حنين بن اسحق العبادي ١٣١

١٠ ـ حبيش الأعسم ١٤٠

١١ ـ ثابت بن قرّة الحراني ١٤١

١٢ ـ قسطا بن لوقا ١٤٤
١٣ ـ أبو علي خلف الطولوني ١٤٤
١٤ ـ إسحاق بن سليمان الإسرائيلي ١٤٥
١٥ ـ عبد الله محمد بن سعيد التميمي المقدسي ١٤٦
١٦ ـ أعين بن أعين المصري ١٤٧
١٧ ـ موسى بن هارون بن سعدان المتطبب ١٤٨
١٨ ـ جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع ١٤٩
١٩ ـ عمار بن علي الموصلي ١٤٩
٢٠ ـ ابن مندويه الأصفهاني ١٥٥
٢١ ـ علي بن عيسى الكحال البغدادي ١٥٦
٢٢ ـ زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى ١٦٢
٢٣ ـ علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي ١٦٢
٢٤ ـ أبو الفرج بن الطيب ١٦٥
٢٥ ـ ابن وافد اللخمي ١٦٦
٢٦ ـ محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي ١٦٧
٢٧ ـ عبد الله بن قاسم الحريري الإشبيلي البغدادي ١٧١
٢٨ ـ خليفة بن أبي المحاسن الحلبي ١٧٤
٢٩ ـ أبو العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله القيسي ١٨٣
٣٠ ـ المفضل بن هبة الله بن علي الجميزي الإسنائي (ابن الصنيعة) ١٨٧
٣١ ـ علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي (ابن النفيس) ١٨٨
٣٢ ـ صلاح الدين الكحال الحموي ١٩٤
٣٣ ـ علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي الكحال ١٩٩

٣٤ ـ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري ٢٠٠
٣٥ ـ صدقة بن إبراهيم المصري الشاذلي ٢٠٤
٣٦ ـ موسى بن إبراهيم بن محمد الطبيب اليلداوي الصالحي الحنبلي.... ٢٠٥
٣٧ ـ نور الدين علي المناوي.. ٢٠٦
٣٨ ـ محمد بن علي الباليسي الكحال ٢٠٦
٣٩ ـ عبد المسيح الكحال الحلبي... ٢٠٧
الفصل الثاني: الأطباء غير الكحالين الذين كتبوا عن طب العيون
في موسوعاتهم.. ٢٠٩
١ ـ علي بن سهل ربن الطبري.. ٢٠٩
٢ ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ٢١٤
٣ ـ أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري ٢١٩
٤ ـ علي بن عباس الأحوازي ٢٢٢
٥ ـ أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي...................................... ٢٢٧
٦ ـ ابن سينا ٢٣١
٧ ـ ابن الهيثم.. ٢٣٧
الفصل الثالث: الأطباء الذين عرفوا بممارستهم لطب العيون
ولم يعرف لهم تأليف في هذا التخصص.. ٢٤١
١ ـ ديوسقوريدس العينزربي: Dioskurides ٢٤١
٢ ـ جبريل كحال المأمون... ٢٤٥
٣ ـ الشيخ شمس الدين المطوع الكحال ٢٤٦
٤ ـ هبة الله بن الفضل.. ٢٤٦
٥ ـ الشريف الكحال... ٢٤٧

٦ ـ أبو جعفر بن هارون الترجالي ٢٤٧
٧ ـ أبو البركات القضاعي ٢٤٨
٨ ـ شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحال ٢٤٨
٩ ـ نفيس الدين بن زبير (رئيس الكحالين) ٢٤٨
١٠ ـ الدخوار ٢٤٩
١١ ـ رضيّ الدين الرحبي ٢٥٠
١٢ ـ سديد الدين بن رقيقة ٢٥١
١٣ ـ رشيد الدين بن الصوري ٢٥١
١٤ ـ موفق الدين أبو الخير بن رشيد الدين أبو حليقة ٢٥٢

• **الباب السادس: صفات وأخلاق الطبيب المسلم** ٢٥٣
ـ أخلاقيات الطبيب ٢٥٧
ـ قسم أبقراط ٢٥٨
ـ ناموس أبقراط ٢٥٩
ـ وصية أبقراط ٢٦٠

• **الباب السابع: المستشفيات في الإسلام** ٢٦٩

الخاتمة ٢٧٧
مسرد بأسماء الأعلام الواردة في الكتاب ٢٧٩
مسرد بأسماء الأماكن الواردة في الكتاب ٢٩٤

• **المصادر والمراجع** ٢٩٧

المراجع العربية ٢٩٧

المراجع الأجنبية ٣٠٣



تقديــم

بقلم: أ. د. حسان حسني الطيان
أستاذ اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة بالكويت
عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وبعد، فهذا كتاب يسطّر تاريخًا لجانبٍ مهمٍّ من جوانب حضارتنا العربية الإسلامية، ألا وهو طبُّ العيون المعروف عند علمائنا بالكحالة، وقد نهض به كحّالٌ عربيٌّ مسلمٌ آلى على نفسه أن ينفض الغبار عن تراث آبائه وأجداده، لينشر علمهم، ويؤرخ لهم، ويرفع ذكرهم، هو الصديق الكبير والأخ العزيز الدكتور محمد ظافر الوفائي.

والدكتور محمد ظافر الوفائي واحد من ألمع أطباء العيون في سورية، وله مركز طبيٌّ في الشام ـ فرج الله عنها وحماها ـ يشار إليه بالبنان، ويؤمُّه المرضى من كل مكان، لما عُرف عن صاحبه من مهارةٍ وحِذقٍ في تخصصه الدقيق، ولم يمنعه كل هذا من أن يكون واحدًا من أكابر العاملين في تاريخ العلم، وواحدًا من أكابر المحققين لمخطوطات طب العيون في تراثنا العلمي الحافل بكل رائع ونافع.

عرفته من خلال تحقيقاته الفذَّة لمخطوطات طب العيون، تلك التي اشترك في إخراجها مع شيخنا الذي نعمتُ بصحبته وجيرته في جامعة الكويت، وأفدت من علمه وفضله وأنسه ردحًا من الزمن، العلامة الموسوعي الأستاذ الدكتور محمد روّاس قلعه جي رحمه الله وجزاه عن الأمة وعلومها خير الجزاء.

ثم حضرت له محاضرة في النــدوة العالمية الثامنة لتاريــخ العلوم عند العرب ـ **الجوانب المجهولة في تاريخ العلــوم العربية** التي عقدت في مكتبة الإسكندرية ٢٨ ـ ٢٠٠٤/٩/٣٠، فشــدني حديثُه، وراعني علمُه، وأسرني تدفقُه، وودت لو أنه لم يســكت، فلما أن فرغ من محاضرتــه، رأيتُني أطلب التعليق لأثني على ما سمعت متمثلًا بقول ابن الرومي:

وحديثُها السحرُ الحلال لوَ اَنَّها لم تجن قتلَ المســلم المتحرِّزِ
إنْ طال لم يُملَل وإن هي أوجزت ودَّ المحــدَّثُ أنها لــم توجزِ

وكتابه هذا (الكحَّالون العرب والمســلمون) عصــارة جهدٍ طويل، وعمرٍ مديد أمضاه باحثًا في تاريخ العلوم عند العرب، ومؤرخًا لعلوم الطب عموما وعلم الكحالة خصوصًا، ومحققًا لطائفة من مخطوطات الكحالة هي الأشهر في هذا الفــن، إذ أخرج للنــاس منها اثني عشــر كتابا، فــي كل صفحة من صفحاتها إحياءٌ لعلم، ونشرٌ لذكر، وتتبُّعٌ لتاريخ، وتخليدٌ لمآثر...

هذا فضلا عمــا حضر من مؤتمــرات ونــدوات، وما دبَّــج من بحوث ومقالات، وما ألقى من دروس ومحاضرات، وما نال من جوائز وشــهادات، تشهد بعلوِّ كعبه، وسعةِ اطلاعه، وعمقِ اختصاصه في هذا الباب.

ولو اطَّلع القارئ على ســيرته العلمية الحافلة بالمفاخر والمآثر، بدءًا من زمالته العلمية في قسم الشبكية والليزر بمستشــفى العيون ومؤسسة الشبكية للبحث العلمي في بوســطن ـ ماساتشوســتس. ومرورًا بتدريســه في أعرق الجامعات: كجامعة هارفارد كلية الطب ـ قســم الشبكية، وعمله استشاريًا في أمراض العيــون بأعظم المستشــفيات كمستشــفى متروبوليتــان ديترويت ـ ميتشغان، ومستشــفى العيون ماساتشوســتس وجوســلين كلينيك بوسطن، ماساتشوســتس. وانتهاءً بزمالته العلمية في أرقى المؤسسات الدولية المعنية بطب العيون: كالمجمع الأمريكي للجراحين، والمجمع العالمي للجراحين،

والمجمع الملكي لأطباء العيون بإنكلترا، والأكاديمية الأمريكية لطب العيون، والجمعية الأمريكية لطب العيون... وحيازته لأرفع الجوائز: كالجائزة التقديرية للأكاديمية الأمريكية لطب العيون، وجائزة الدولة التقديرية لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي، فضلًا عن ترشيحه لجائزة الملك فيصل العالمية للطب غير ما مرة...

أقول: لو اطَّلع القارئ على كل هذا لعجب كيف يفرُغ من حاز كلَّ هذا المجد والشرف والسؤدد للعمل في تاريخ العلوم عند العرب؟!

وأقول إن من عرف الدكتور ظافر معرفتي به يوقن أنه ممن عناهم المتنبي بقوله المشهور:

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ ارْتحَالٌ جَدِيْدٌ وَمَسِيْرٌ لِلْمَجْدِ فِيْهِ مَقَامُ
وَإِذا كانَتَ النُّفُوسُ كِباراً تَعِبَتْ فِي مُرادِها الأَجْسامُ

فالرجل بما أوتي من عزيمة حذّاء، وهمّة ماضية، وأصالة سامية، أدرك أنه أولى الناس ببعث مفاخر أمته في فنٍّ درسه وأتقنه، فنٍّ ارتحل بعيدًا كي يتخصَّص به ويبلغ أبعد شأوٍ فيه، ثم تبيّن له أن أجداده هم الذين علَّموا العالم هذا الفنَّ، وأن أسلافه هم الذين وضعوا أسسه الأولى وصنَّفوا فيه أجلَّ المخطوطات، فعلماؤهم سبقوا الدنيا إلى دراسة أحوال العين، وتشريحها وبيان أجزائها، وتحديد ما يطرأ عليها من أمراض، وما يعتريها من علل، وما تعاني منه من أدواء، كالشقيقة العينية، والخَفَش، والساد (الماء الأبيض)، وإصابة العصب البصري، وارتفاع ضغط العين (الزَّرَق)... ثم بيان علاج ذلك كله، كقدح الماء، أي إزالة الساد عن العين، ولعل أهم أداة جراحية استعملوها في ذلك كانت المِقْدح المجوَّف...

واستعملوا الأدوات الجراحية الدقيقة التي حفلت مخطوطاتهم برسومها وأشكالها وصورها... وشرحوا نظرية الإبصار، مصحِّحين ما كان سائدًا منذ



عهد أبقراط وجالينوس، من أن شعاعا يصدر من العين باتجاه الجسم المرئي فيلامسه ثم يرتدُّ إلى العين حيث الرؤية، مؤكِّدين أن الرؤية تحصل من الصورة المنبعثة من المرئيات ولا وجود لشعاع يخرج من العين.

إلى غير ذلك مما يحفل هذا الكتاب ببيانه وتفصيله ونسبته إلى أصحابه.

وبعد فحسبي في تقديمي للكتاب أن أتكلم على صاحبه، ليعلم القارئ أيّ رجل هو؟! وأيّ عالمٍ يضع بين يديه علمه؟! أما الكتاب فهو الكفيل بتقديم نفسه، لأن كل صفحة فيه تجلو حقيقةً علمية من حقائق هذا العلم، أعني الكحالة أو طب العيون، وتعيد نسبتها إلى أربابها الحقيقيين، وتبيّن مقدار ما أسهم فيه كل عالم من العلماء العرب المسلمين في هذا الباب.

والحق أني قد سعدت كلَّ السعادة بمراجعة هذا الكتاب وتصحيحه وتدقيقه، ونعمْتُ بصحبته وصحبة مؤلفه وأعلامه وقتًا طيبًا، وعشتُ معهم زمنًا رغدًا.. وكانت إفادتي من الكتاب أضعافَ إفادتي له، كما كان أخذي منه فوق أخذي عليه، كيف لا وهو يحمل علمًا لا أعرفه، ويكشف اللثام عن تاريخٍ أجهل ـ ويجهل معي الجمُّ الغفير من القراء ـ الكثيرَ من تفاصيلهِ وحقائقهِ وروائعهِ.

بيد أن هذا كله لم يصرفني عن إبداء ملاحظَ، أرجو من المؤلف الكريم أن يأخذ بأحسنها، وأن يغفر لي تطاولي على ما لا أحسن فيما لم يقنعه منها، فما منا إلا ورَدَّ أو رُدَّ عليه إلا صاحب ذاك المقام عليه أفضل الصلاة والسلام.

وختامًا فلله الحمد والمنَّة على ما أنعم وتفضل، وللمؤلف أسنى آيات الشكر على كل جهدٍ بذله وكل حرفٍ سطَّره.. وفاءً بتاريخ هذه الأمة، ونشرًا

لمآثر علمائها، وإحياءً لعلومهم، وتحقيقًا لمخطوطاتهم، ورفعًا لذكرهم. وللقارئ الكريم ـ في زمن الإحباط الذي نعيش فيه ـ أن يغوص في بحر لجِّيٍّ من تاريخ حضارتنا وريادتنا ورفعتنا ومجدنا لعله يتزوَّد من ذلك ما يعيد إليه الثقة، ويبني في نفسه العزيمة، ويبعث في روحه الأمانة، ويدفعه إلى استعادة هذا المجد! بعون من الله لا جَرَم، وما ذلك على الله بعزيز.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أ. د. محمد حسان الطيان
الكويت ٢٧ المحرم ١٤٣٩هـ
٢٠١٧/١٠/١٧م





المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١ ـ ٥).

بهذه الآيــات الكريمة ابتدأ التنزيل الكريم على قلب ســيد البشــر والمرسلين محمد بن عبدالله النبي الأمي وخاتم الأنبياء وذلك في عام /٦١٠/ميلادي وكانت تلك اللحظة نقطة تحــول وبداية لعصر جديد في حياة البشــر، كل البشــر، فمن مكة بدأ الملَك جبريــل عليه السلام يوحي إلى الرســول الكريم ما يأمره الله به أن يلقنه رســوله وبدأت رسالة التوحيد بالرسوخ والانتشار، وبدأ اتباع رسالة التوحيد يتكاثرون ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم علــى الرغم من كل ما لقوه من عنــت وصلف من عبدة الأوثان وأسياد مكة الذين ما كانوا يراعون إلّا ولا ذمة، وكانوا يعاقرون الخمرة ويتعاطون الميسر ويتاجرون بالعبيد، ويئدون البنات خشية العار ويأكلون مال اليتيم، ويؤذون المســتضعفين، وجاءت رســالة التوحيد (الإسلام) لكي تهز عروشــهم المبنية على الضلال والظلم ولتضع حدًّا لســخافاتهم بعبادة الأوثان والتماثيل التي يصنعونها بأيديهم ويعبدونها ليل نهار، ولتساوي بين بني البشر دون أي اعتبار للون أو قبيلة أو لغة،



فكانت الآيــة الكريمــة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجـرات: ١٣). وحديث الرسول الأعظم «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»[١]. ضربةً قاصمةً لغلو القبائل الوثنية التي تقطن مكة وتكبُّرهم وتجبُّرهم على العبيد والمستضعفين والفقراء... فراح كبراؤهم يكيدون للرسول الأعظم وأصحابه وأتباعه ويتربصون بهم في الطرقات، ويقاطعونهم تجارياً فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم حتى بلغ بهم الجوع مبلغاً راحوا يأكلون الحشــائش وما تجــود الأرض الصحراوية القاحلة عليهم به، وكانوا يُنزلون بالعبيد منهم أقســى أنواع العذاب، فهذا ياسر وزوجته وابنهما عمار ملقون على أرض الرمضاء الحارة وفوق صدورهم وبطونهم الحجارة الثقيلة وهم يُهدَّدون بما هو أشد من العذاب، ولكن كلًّا منهم كان أصلب من الحجارة التي علــى صدورهم وبطونهم وهم يرددون (أحد.. أحد..) عكس ما كان يرجوه عتاة قريش وطغاتهم... وكان رسول الله ﷺ يمر بهم فتنفرج أساريرهم لرؤياه وهو يهمس لهم «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[٢].

وبلغ الضيق بالرسول وأصحابه مبلغاً أذن معه لبعض أصحابه وأقاربه بالهجرة إلى الحبشة... فغادر مكة سبعون مؤمنًا ومن بينهم جعفر بن أبي طالب وكان يملك الحبشة النجاشي الذي (لا يظلم عنده أحد...) فأكرم نزلهم وتركهم أحراراً يمارسون شعائرهم وصلواتهم بكل حرية.

---

(١) عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ولا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله اتقاكم... ألا هل بلغت..» ـ الموسوعة الحديثية الالكترونية.

(٢) عن جابر بن عبـد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صبراً آل ياســر فإن موعدكــم الجنة»... قال الألباني في فقه السيرة: ١٠٣ حسن صحيح ـ الموسوعة الحديثية الإليكترونية.

واســتمر حال المســلمين المضطهدين في مكة ثلاثة عشــر عاماً... ويتكاثر عددهم ويحفظون ما يوحى إلى رسولهم الكريم ويقيمون الصلاة خفية إلى أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى يثرب عام ٦٢٢م.. فخرج متخفياً بصحبة أقرب وأحب أصدقائه إليه ألا وهو الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودخلا يثرب على راحلة الرسول (القصواء).. ونزلا في بيت (أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنــه وأرضاه)... وكان أول ما فعله الرســول ﷺ أن أسس مسجداً لإقامة الصلاة ولمّ شمل المؤمنين، وكان المسجد عبارة عن جذوع النخل كقوائم وسعف النخل كسقف يقي المؤمنين القيظ. واستمر الوحي بالنزول دون انقطاع، ونزل في يثرب آيات وسور تعرف (بالمدنية) نسبة إلى (المدينة المنورة) وتمييزاً لها عن السور المكية التي نزلت قبل الهجرة... ومما يلاحظ من قراءة القرآن أن السور المكية كانت بمعظمها لترسيخ عقيدة التوحيد وتنظيم العلاقات بين المؤمنين وترابطهم وتوادُّهم وتراحمهم.. أما الآيات والســور المدنية فكانت تعنى بالتنظيم الإداري للدولة والعلاقات الأســرية والمواريث والجهاد في سبيل الله... واستمر الوحي عشــرة أعوام بعد الهجرة إلى أن اختار الرسول الأعظم جوار ربه الرفيق الأعلى ٢١ ربيع الأول عام ١١هـ = ٦٣٣م.

ولم يمض على وفاة الرسول ﷺ قرن من الزمن إلا وكانت الجزيرة العربية وبلاد الشــام وبلاد الرافدين ومصر وشــمال أفريقيا وإسبانيا والسند وأوســاط آســيا تصدح بالأذان (الله اكبر.. الله أكبر...) خمس مــرات يومياً ويصلــون مولِّين وجوهــم نحو البيت العتيــق في مكة المكرمة ويصومون رمضان في كل عام.. ويــؤدون الزكاة، ويطعمون الطعام لكل يتيــم وفقير ويجيرون المســتجير بهــم ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون...

وعوداً على بدء... نقول إن أول ما نــزل على أمة محمد قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وفي هذا الأمر حثٌّ على القراءة والتعلم والاســتزادة من المعرفة فقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: ٢٨).

كما جعل الرسول ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[(١)]. وشــجع على طلب العلم ولو في الصين... وقال اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد. ورُوي عنه قوله ﷺ: «مداد العالم أكرم عند الله من دم الشهيد». وكان مما استن رسول الله ﷺ أن يطلق سراح أي أسير حرب غير مسلم إذا ما تعهد بتعليم أولاد المسلمين القراءة والكتابة. ويستخلص من هذا أن الدين الإســلامي ناهيك عن كونه دين الفطرة التي فطر الله عباده عليها.. فهو دين العلم والمعرفــة والبحث والتطور والارتقاء بالفكر الإنســاني والتعلم من أي مصدر متوفر... أما ما نراه الآن من كبوة في بعض البلاد الإسلامية وتخلف فكري وتقني وثقافي فأسأل الله أن ننهض منها دونما تأخير لنستعيد مكانتنا الريادية ومسيرتنا العلمية..

كان من نتاج هذا الانتشار الواسع والســريع للدين الاسلامي دخول شــعوب وقبائل في الإســلام (مختلفــي اللغــات والعــادات والتقاليد والثقافــات)، ولكنهم جميعاً انصهروا في بوتقــة واحدة ألا وهي (بوتقة الإســلام)... فكان لهم ما للأعراب الفاتحين وعليهم ما عليهم دون أي تمييز أو تفضيل... وقد أدى هذا الاختلاط إلى تمازج وتلاقح فكري بين أعراب البادية وبين سكان المدن المفتوحة، وهذا أمر طبيعي تكرر حدوثه عبر التاريخ ومع تكرر موجات النزوح عبر البراري والجبال، إما ســعياً وراء المراعي والرزق أو هرباً من جائحة مرضية أو قحط ونضوب مصادر

(١) «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، إن العلماء ورثة الأنبياء» (صحيح ابن ماجة ١٨٣).

العيش... لقد أثـرى هذا التمـازج كلا الطرفين (الأعـراب والأغراب) فتوسعت المعارف، وانتشـرت اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) انتشاراً مذهلاً... واضطر الأعراب إلى تعلم لغات الأقوام التي دخلت في الإسلام لكي يتمكنوا من تلقينهم أسس الدين الحنيف وترسيخ العقيدة وتعريفهم بما هو مباح وما هو محظور، وما هو طاهر وما هـو غير ذلك.. وتزوج بعض الأعراب من الأغراب، واسـتقر معظمهم خارج الجزيرة العربية، فتشكلت بذلك مجتمعات وتكتلات سـكانية من مزيج من الموالي أو المولَّدين الذين يحملون الصفات الوراثية لكلا الأبوين أو الأجداد قبلهما، ومن المعلوم والثابـت أن الوليد الهجين عادة يتمتـع بذكاء حاد ونباهة تفوق أقرانه مـن الولدان فـي المجتمعات المنطوية على نفسـها، ومن الشـواهد على هـذه النظريـة ما نجده مـن أمراض وراثيـة لا تحصى وتشوهات خلقية بعضها قد يؤدي إلى وفاة المولودين قبل أن يبلغوا سناً متقدمة، كما في سـكان الأسـكيمو وسـكان غابات الأمازون، وبعض البلدان العربيـة التي تفرض التقاليد السـائدة ضرورة الـزواج من أبناء العمومة أو الخؤولة، وفي بعض المذاهب اليهودية التي تحرِّم الزواج من أتباع مذهب آخر، ولا يزال بقايا السامريين يعيشون في فلسطين ويعانون من انقراض نسـلهم نتيجة التشـوهات الخلقية والوفيـات المبكرة في المواليد الجدد... فلا غرابة إذن أن يظهر مـن هذا الجيل الهجين عباقرة ومفكـرون ومبدعون في مجـالات العلوم المختلفة كالطـب والصيدلة (الأعشاب) والفلك على سبيل المثال لا الحصر.

ما إن استقر الإنسان القديم في تجمعات سكانية على ضفاف الأنهار الكبرى كالنيل والفرات ودجلة والدانوب والفولغا واليانج تسي وغيرها من مصادر المياه العذبة الصالحة للشـرب (الإنساني والحيواني) ولري



المزروعات كالبحيرات ومساقط المياه، حتى نشطت الزراعة وراح السكان يتناسلون ويتكاثرون ويتوسعون في الرقعة المزروعة ويكتشفون منتجات زراعية جديدة دلتهم عليها ملاحظتهم لبعض الحيوانات وكيف تختار نوعاً معيناً من البقول وتأكله وتعزف من أنواع أخرى...

واهتم الإنسان البدائي أول ما اهتم بأمرين أساسيين ألا وهما صحته الجسدية وعلاقاته مع الغير..

أما الصحة الجسدية فأمر طبيعي وذلك للحفاظ على اللياقة البدنية اللازمة بل والضرورية، لكي يتمكن من الصيد وإعمار الأرض، وذلك لكي تستمر حياته وينجب نسلاً يحافظ به على النوع... ولا يقتصر هذا الأمر على بني الانسان بل إن جميع الحيوانات مهما صغر حجمها أو كبر ومن أي صنف كانت زواحف أو قوارض أو حيوانات مائية أو طيوراً فكل يسعى بفطرته للحفاظ على النوع، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) وكان عليه أن يتقي الحر والبرد، وعليه أن يخلد إلى النوم أو الراحة أو الانزواء في ملجأ ريثما يلتئم ما به من إصابة جسدية (جرح أو كسر)... وإن من يقرأ التراثيات العربية وغير العربية يجد من المتعة في المطالعة أكثر مما يرجوه من فائدة علمية[١].

أما العلاقات الاجتماعية فقد مرت بمراحل عدة مع تطور الانسان فكانت العلاقات في البدء مختصرة على الأسرة الصغيرة وأحياناً الأسرة الأكبر قليلاً ثم توسعت العلاقات لتشمل دائرة أكبر كالعشيرة والقبيلة...

(١) للاستزادة في هذا المجال يرجع إلى السامرائي ٢١/١ ـ ٢٧) وابن ابي أصيبعة / نجار ١٥٤/١ ـ ١٨٠.

وبدأت الخلافات بين بني البشـــر منذ بدء الخليفة وكلنا يعلم قصة ابْنَيْ آدم وكيف أن أحدهما قتل أخاه (ولم يذكر القرآن الكريم أي اســـم لأيهما) وإن وردت الأسماء في الأثر ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، فكان أن أرســـل الله الرســـل والأنبياء لإرساء التوحيد أولاً، ثم تقنين العلاقات بين الأفراد والجماعات.. فمن الناس من صلح واتبع الرسل ومنهم من رفض الانصياع والخضوع لرأي غيره إمّا عن تعنـــت أو تكبّـــر أو تجبّر واعتـــداد بالنفـــس... وتكررت الرسالات الســـماوية وتعددت ولكن أهدافها كانت دائماً وأبداً التوحيد أولاً، والسلم والأمان والتعايش والتوادد والتراحم ثانياً.

وبالجملة يمكن أن نقسم اهتمام الإنسان البدائي إلى أمرين أساسيين: علم الأبدان، وعلم الأديان.

فالأول: للحفـاظ علـى النـوع والاســـتمرار في العيش والتأقلـم مـع الظروف.

والثاني: للتعايش مع الغير بأمن وأمان.

ومن هنا يمكننا أن نذكر أن نشـــأة الطب كانـــت ضرورة نابعة عن التمسك بالحياة والعاطفة الجياشة تجاه النسل والحفاظ على النوع... وللتحضير لعاديات الدهر فالبقاء دائماً للأقوى والأصلح والأقدر على الصمود في وجه المفاجآت التي قد تجود بها الطبيعة (صواعق، أمطار، تقلبات جويـــة، وتغيـــرات حرارية.. إلـــخ..) أو مما قـــد يعرض من اعتداءات من بني البشـــر المجاورين أو الحيوانات البرية الباحثة عن الطعام والمأوى...



أقسام الكتاب:

ولما كان عنوان كتابي هذا (الكحالون العرب والمسلمون وأثرهم في تطور طب العيون) فسوف أقتصر في الباب الأول على الطب بشكل عام، وسأذكر باقتضاب لمحات عن الطب عند قدماء المصريين، ثم عن الطب في بلاد ما بين النهرين (الحضارتين البابلية والآشورية). ثم الطب في شبه القارة الهندية، وبعدها الطب في بلاد فارس، ثم ألحقها بفصل موسّع قليلاً على الطب اليوناني وأشهر الاطباء اليونانيين لما لمؤلفاتهم من تأثير على نشوء وتطور الطب في الحضارة الإسلامية. وقد قسمت هذا الباب إلى ثلاثة أقسام ملتزمًا بالتسلسل التاريخي، بدءًا من الأسقلبيين ثم الأطباء اليونانيين المشهورين وانتهاءً بعصر البطالسة (الطب اليوناني في الاسكندرية) مع ذكر لمحة عن الأطباء اليونانيين المشهورين وما خلفوه من آثار علمية. ثم أتبعه بفصل عن الطب في العصر البيزنطي مع سرد موجز لمن اشتهر من الأطباء في ذلك العصر.

أما الباب الثاني فسوف أضمنه نبذة عن الطب والأطباء في جزيرة العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام.

ويليه الباب الثالث الذي سوف أضمنه دراسة عن أطباء العصر الأموي وبدء ترجمة الكتب اليونانية والسريانية.

وأما الباب الرابع فسوف أفرده لحركة الترجمة في الخلافة العباسية، وسوف أذكر لمحة عن أشهر المترجمين الذين نشطوا في (بيت الحكمة)، وانتقال العلوم اليونانية والسريانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية.

ثم سوف أبحث في الباب الخامس بشيء من الإسهاب عن علم الكحالة والكحالين العرب والمسلمين، وسأقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أبحث فيه عن الأطباء المتخصصين في طب العيون (الكحالين) والكتب التي ألفوها، وما حقق منها ونشر وما لم يحقق بعد.

الفصل الثاني: أبحث فيه عن الأطباء غير المتخصصين في الكحالة (طب العيون) ولكنهم ألفوا موســوعات طبية خلدت عبر السنين الطوال وضمنوها فصولا لا يستهان بها في علم الكحالة.

الفصل الثالث: أذكر فيه نبذة عن الأطباء الذين اشتهروا كـ (كحالين) ولكن لم يعلم عنهم أنهم تركوا آثارا مكتوبة، وإن كانوا قد تركوا شــيئًا فلم يعثر له على أثر بعد.

أما الباب السادس فسوف أذكر فيه صفات وأخلاق الطبيب المسلم خاصة والطبيب بصورة عامة، ثم أعرج على قسم أبقراط وناموسه ووصيته إضافة إلى وصايا بعض الأطباء المسلمين والتي ذكرت في كتبهم.

أما في الباب السابع فسوف أذكر ما وثقه المؤرخون عن المستشفيات في البلاد الإسلامية ومقارنتها بما كانت عليه المستشــفيات في معظم البلاد في العصور الوسطى.

ثم سوف أضع مسرداً بأسماء العلماء ومسرداً آخر بأسماء الأماكن الواردة في الكتاب.

ثم سوف أضع مســردا للمراجع العربية ثم الأجنبية التي استقينا منها بعض معلوماتنا.





الباب الأول

الطب في الحضارات القديمة

الفصل الأول: الطب عند قدماء المصريين (البرديات)

الفصل الثاني: الطب في بلاد ما بين النهرين

الفصل الثالث: الطب في الحضارة الهندية

الفصل الرابع: أطباء بلاد فارس

الفصل الخامس: الطب عند اليونانيين

الفصل السادس: الطب في العصر الروماني

الفصل السابع: الطب في العصر البيزنطي



تمهيد:

سأسرد في هذا الباب نبذة مختصرة عن حضارات ما قبل الاسلام.. إذ كثر الحديث والكتابة عن اعتماد الحضارة الإسـلامية بشكل كبير على الحضارة الإغريقية. وهذا لا يجانب الواقع بشـكل مطلق فـإن الترجمات التي قام بها التراجمة الروّاد ومن تبعهم كان لها فضل لا يمكن نكرانه على التطور العلمي في البلاد الإسلامية بعد أن انقضى عصر الفتوحات وبدأ عصر الترف العلمي والانفتاح على مصادر العلوم على اختلاف آفاقهـا.. وكما هو معلوم فما من حضارة وجدت كاملة من ذاتها، وإنما هـي تراكمات من حضارات وتجارب سابقة فكانت كل أمة تفخر بما لديها من تراث وتضيف لبنة أخرى في الصرح الحضاري الكوني.. ولما لم يكن التدوين والتوثيق بالرسوم أو الكتابة معروفاً قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، فيمكننا تجاوزاً أن نعتبر أن حضارة وادي النيل من أقدم الحضارات التي اكتشـف مؤخراً بعضاً مـن كتاباتها، كما أن حضارة ما بين النهرين (البابلية) كانت معاصرة لحضارة وادي النيل.. يضاف إليها الحضارة الهندية والحضارة الفارسـية.. وصولاً إلـى الحضارة اليونانية والرومانية اللتين بسطتا سيطرتهما العلمية والتقنية ما بين القرنين السادس قبل الميلاد حتى السـادس بعد الميلاد. ولا نـدري بالتأكيد مـا إذا كانت هناك حضارات قبل الحضارتين الفرعونية والبابلية نظراً لعدم توفر كتابات أو رسوم أو لقى أحفورية تثبت ذلك..

وإذا ما أقررنا بأن الحضارة اليونانية كانت المرتكز الأقوى والأوسع الذي اعتمدت عليه الحضارة الإسلامية، فليس ذلك إلا من قبيل حصر مرحلة زمنية معينة في بقعة جغرافية محـددة. إضافة إلى الاعتـراف بالفضل الكبير الذي



يســتحقه الإغريق الذين اعتمدوا المنطق والعقل والتجربة لتحويل الطب من مرحلة السحر والشعوذة والكهانة إلى مرحلة العلم التجريبي.

ولذا فإني أرى لزاماً علي أن أســتعرض بعض منجزات هذه الحضارات التي ســبقت ظهور الإســلام لكي نبنــي عليهــا ما أضافه العلمــاء العرب والمســلمون حتى بلغوا في مجــال الطــب والصيدلة والفلــك والجغرافيا والحساب والبصريات والعمارة وحتى الموسيقى... شأواً لا ينكر لا بل إنهم أرســوا قواعد الطب الوقائي والعلاجي، وصمّموا وصنّعوا الأدوات الجراحية الدقيقة، ووصفوا طرق استعمالها مع رسوم توضيحية أنيقة لتلك الأدوات...

* * *

الفصل الأول

الطب عند قدماء المصريين

البرديات (كون، إدوين سميث، إيبرس..)

أظهرت الاكتشافات الأثرية والبرديات والرسومات والكتابات على جدران المعابد والمقابر في صعيد مصر ومناطق أخرى فيها أن ممارسة الطب كانت مهنــة محترمة بل مقدســة، بلغت من التبجيــل والتوقير أن جعلــوا لها إلهاً اسطورياً بشخص وزيرهم وطبيب فراعنتهم امحوتب IMHOTEP الذي كان حياً نحو سنة/٢٨٠٠ قبل الميلاد... وكان يساعده في معاينة ومعالجة المرضى فريق من الكهان وســدنة المعابد.. وكان الطلاب الذين ينوون متابعة دراسة الطب يُنتقون بكل دقة وأمانــة من أبناء الصفوة من القــوم كأولاد الفراعنة والأمراء والقادة والنبلاء، وقد أضفوا على تدريس الطب وممارستة هالة قدسية فبنوا في المعابد أمكنة خاصة لتدريسه حفاظاً عن المهنة من أن تفقد شرفها ومكانتها.

ولما كان المصريون القدامى يؤمنون بخلود الروح وعودتها إلى الجســد بعد المــوت فقد كانوا يدفنــون موتاهم تحت الرمال حفاظــاً على الجثة من التفسخ والتحلل بانتظار عودة الروح إليها ثانية، ثم تطور الأمر إلى اختراعهم فن التحنيط ذلك الفن الذي عجز عن كشف أســراره كل من حاول ذلك إلى يومنا هذا. ويعتقــد أن المصريين كانوا أول من أدخل الاختصاص لممارســة الطب في التاريخ، فقد ذُكر في البرديــات ما يدل على اختصاصٍ في أمراض العيون، وآخر في أمراض المعدة، وثالث في أمراض النســاء والحمل، ورابع للعمليات الجراحيــة، والخلوع وتجبير الكســور... ونظراً لمــا بلغه الطب



الفرعوني من تقدم وتطور فقد كانت بـلاد وادي النيل مقصداً لطلاب العلم، ومن أبرز مـن درس فيهـا فيثاغورس وأسـقلبيوس الثانـي... وبقيت مصر الفرعونية تنعم بمكانتها العلمية حتى دخلها الفرس في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ولم يغادروهـا حتى غزاها الإسـكندر المقدوني عام ٣٢٠ ق.م. وطرد المحتلين الفرس منها، وأسس مدينة الإسـكندرية على البحر الأبيض المتوسط، التي كانت منارة للعلم والأدب والثقافة فأمّها معظم علماء اليونان للدراسة والاستفادة من معاهدها التعليمية.

البرديات المصرية:

اكتشف حجر رشيد الضابط الفرنسي (بيير فرانسوا بوشار) في قلعة قديمة في قرية رشـيد يوم ١٩/تموز ١٧٩٩ إبان الحملة الفرنسـية على مصر، ويعود الفضل إلى العالم جان فرانسوا شـامبوليون Jean François Champollion الذي درس حجر رشيد وفك طلاسمه وحل رموز اللغة الهيروغليفية وقام بنشره عام ١٨٢٢ باللغة الفرنسية[١].

وبذلك تم اكتشاف بعض ألغاز الرسومات والمنحوتات على جدران المعابد والمقابر... ثم تلا ذلك اكتشاف أوراق البردي وهي اللفائف التي كانت تصنّع من شرائح سوق نبات البردي الذي ينبت ويترعرع على ضفاف نهر النيل، وما يهمنا هنا هو ثلاثة برديات تم اكتشافها وسميت حسب مكتشفها وهي:

---

(١) والحق أن علماءنا العرب والمسلمين سبقوا إلى حل رموز الخطوط القديمة واللغات البائدة، ولعل أشـهر ما ألف في هذا الباب كتاب (شـوق المسـتهام في معرفة رموز الأقلام) لابن وحشـية النبطي (نحو ٢٠٠هـ). انظر مقال علم معرفة رموز الأقـلام إنجاز عربي حضاري. د. محمد حسان الطيان، وابن وحشية وريادته في كشف رموز هيروغليفية. د. يحيى ميرعلم. وكتاب العرب والهيروغليفية د. علي فهمي حشمي.

«أ.د. الطيان»

١ ـ بردية كون Kahun

٢ ـ بردية إدوين سميث Edwin Smith

٣ ـ بردية إيبرس George Ebers

ونذكر باقتضاب نبذة عن كل منها:

١ ـ بردية كون Kahun

وهي أقدم البرديات المكتشفة، اكتشفها العالم الآثاري Kahun وسميت باسمه، ويعتقد أنَّ تاريخ كتابتها كان عام ١٩٥٠ ق.م، ويبدو من محتواها كما لو كانت كتاباً في تخصص أمراض النساء وتدبر الحوامل ومحاولة معرفة جنس الجنين... إضافة إلى بعض المعلومات عن البيطرة...

٢ ـ بردية إدوين سميث Edwin Smith

ويرجع تاريخها إلى ١٧٠٠ ق.م، وينسبها بعض الآثاريين إلى إله الطب أمحوتب، وهي تبحث في الأمراض الجراحية بشكل رئيسي فيجد فيها الباحث معلومات عن خلع المفاصل وطريقة ردها ومعالجة الكسور وتجبيرها، كما ورد فيها وصفة عن إصابات الدماغ والنخاع الشوكي والشلل الذي ينجم عن إصاباته.

٣ ـ بردية إيبرس George Ebers

اكتشفها العالم الآثاري جورج إيبرس ويعتقد أنها كتبت حوالي ١٥٥٠ ق.م، وتعتبر من أكبر البرديات المكتشفة وأكملها. وتحتوي على معلومات تشريحية وفيزيولوجية وبعض السريريات كأمراض المعدة والعيون والجلد والعظام والحروق. وتكمن أهمية هذه البردية في أنها تحوي أسماء سبعمئة عقار لازال بعضها مستعملاً إلى يومنا هذا كالحشيش (Cannabis) والأفيون (Opium) وست الحسن (Hyoscyamine) والسنامكي (Senna).



نرى مما تقدم أن مصر قد نعمت بحضـــارة علمية متقدمة جداً على باقي الدول المجاورة، لا ســيما بعد أن أســس الإســكندر المقدونــي في مدينة الإسكندرية مدرسة حظيت بشهرة واسعة فاســتقطبت علماء ممفيس (جانب القاهرة اليوم) وعلماء أثينا وجزيرة (قوص) مسقط رأس أبقراط العظيم الذي يعتبر بحق (أبو الطب)[1].



بردية كون ١٩٥٠ق.م.

(١) للاستزادة والتوسع في هذا الفصل يقرأ:

١ ـ د. بول غليونجي: الطب في مصر القديمة، دار المعارف ـ القاهرة، ١٩٥٨.

٢ ـ د. حسن كمال: الطب المصري القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٩٨.

٣ ـ Introduction to the History of Medicine, F. H. Garrison. 2nd edition PP.44-52. W. B Saunders co. 1917: Philadelphia and London.

٤ ـ هيرشبرغ، يوليوس: تاريخ طب العيون ج١، ص ٥ ـ ١٩.

٥ ـ السامرائي ٣٣/١ ـ ٣٩.

بردية إدوين سميث ١٧٠٠ق.م.

صورة بردية إيبرس: ١٥٥٠ق.م.





الفصل الثاني

الطب في بلاد ما بين النهرين

تعاقبت على بلاد ما بين النهرين حضارات متعددة، دالت ثم زالت ما بين المغرقة في القدم في الألف الرابع قبل الميلاد حتى الفتح الاسلامي عام ١٤هـ ـ ٦٣٥م، وسأسرد فيما يلي بايجاز نبذة عن هذه الحضارات وما قدمته للإنسانية من معارف عامة، وبعض ما وصلنا منها من معارف طبية[١]:

١ ـ السومريون Sumerians ٤٠٠٠ ق.م

عمروا المناطق التي سكنوها في الحوض الأسفل لما بين النهرين وبنوا مدناً عدة منها: كيش، وآريدو، والوركار (أرك)، ونفر (نيبور)، ولارسا (سنقرة)، وأور، وماري، وغيرها الكثير. واستمرت تلك الحضارة حتى انقراضها في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

٢ ـ الأكديون Accadians

ظهر الأكديون في منتصف الألف الثالث ق.م تقريباً، وكانت عاصمتهم (أكد Accad الواقعة شمال الأراضي السومرية، وكان من أشد ملوكهم (سرجون الأكدي) الذي حكم بين ٢٦٣٧ ـ ٢٥٨٢ ق.م، وحارب السومريين

(١) السامرائي ٤٢/١ ـ ٥٥. غاريسون ص ٥٢ ـ ٦٥. هيرشبرغ ج١، ص ١٩ ـ ٢٥.



وتغلب عليهم وضم بلادهم إلى مملكته، إلا أن الحضارة السومرية بقيت هي الغالبة على كافة مرافق الدولة.

٣ ـ البابليون Babylonians

برز أشهر ملوكهم حمورابي Hammurabi ١٩٥٥ ق.م، من العموريين الذين نزحوا من الجزيرة العربية واستوطنوا بابل Babel، كان حمورابي حاكماً فطناً مصلحاً ازدهرت في عصره الحياة الاجتماعية وانتعشت الزراعة والتجارة وغدت قوة عسكرية ذات هيبة ومنعة، وبالرغم من توالي الحكام البابليين بعد حمورابي كـ (نبوخذ نصر الأول) الذي حكم بين ١١٦٩ ـ ١١٠١ ق.م، و(نبوخذ نصر الثاني) الذي استولى على نينوى عام ٦٠٦ ق.م، إلا أن ما خلد ذكر حمورابي هو كونه أولّ مشرّع في التاريخ، وليس أدلَّ على ذلك ممّا دوَّنهُ على مسلَّته التي تزين إحدى ساحات متحف اللوفر بباريس من العدل والسياسة، ولعله أول من سنّ النص المعروف (العين بالعين والسن بالسن) الذي تبنته كثير من العقائد السماوية وأولها شريعة موسى عليه السلام.



صورة مسلّة حمورابي والمحفور عليها قانونه في متحف اللوفر في باريس



٤ ـ الآشوريون Assyrians

قبائل انحدرت من شـــمال بلاد ما بين النهرين وهزموا البابليين وضموا أراضيهم وممتلكاتهم إلى مملكة (آشور) في الشمال... وتوسعت المملكة في فترة حكـــم الملك (ناصـــر بـــال ٨٨٤ ـ ٨٥٩ ق.م) حتى اســـتولت على بلاد الفينيقيين على ســـاحل البحر الأبيض المتوسط... من أشـــهر ملوكهم الذين خلدهم التاريخ الملكة (شـــامورامات) (ســـميراميس) التي قدسها اليونانيون لدرجة أنهم وضعوها في مصاف (الآلهة). وبرز ملك آخر اشتهر بتدميره مدينة بابل عام ٦٨٩ ق.م ألا وهو الملك (سنحريب)... وبذلك انفردت نينوى بحكم شمال البلاد وجنوبها. وتلاه ما بين ٦٦٨ ـ ٦٢٥ ق.م الملك (آشور بانيبال) الذي حكم العراق وبلاد الشام ووصل حتى مصر دون أن يحتلها، وكان محباً للعلوم مولعاً باقتناء الرُّقَم والألواح التي كان منها ٦٦٠ رقماً في الطب وتطبيقاته، وهو ما خلّد الطب الآشوري إلى يومنا هذا.

٥ ـ الكلدانيون

ظهرت الأســـرة الكلدانية على أنقاض مملكة آشور بعد تهديم عاصمتهم نينوى عام ٦١٢ ق.م، كما استولى ملكهم نبوخذ نصر الثاني الذي حكم ما بين ٦٠٥ ـ ٥٦١ ق.م على إقليم يهوذا وهدم بيت المقدس وســـبى اليهود وســـاقهم أســـرى إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م، ولم يدم حكمهم أكثر من بضع سنين إذ برز الفرس على الساحة السياسية والجغرافية.

٦ ـ الفرس

قام الملك قورش الثاني الإخميني بالاســـتيلاء على بابل، واستمر حكم الفرس حتى عام ٣٣٢ ق.م. حيث برز الإسكندر المقدوني الذي حكم المنطقة حتى وفاته عام ٣٢٣ ق.م.

٧ ـ السلوقيون

الذين حكموها حتى عام ١٧١ بعد الميلاد، لينتقل الحكم إلى الرومان.

٨ ـ الرومان

الذين حكموا المنطقة حتى الفتح الإسلامي عام ١٤هـ ـ ٦٣٥م.

ولا بد لنا أن نوضح أن معظم الحضارات التي تعاقبت على بلاد ما بين النهرين قد أبدعت في مجالي الحساب والهندسة، فبنوا الحدائق المعلقة وبرج بابل، وشقوا الطرق وبنوا الترع ونظموا الريّ، فتوسعت الرقعة المزروعة وازدادت توسعاً مع تعاقب الحكام والأقوام، مما زاد في ازدهار الزراعة والموارد الاقتصادية للبلاد والعباد.

أما فيما يتعلق بالطب، الذي هو مجال بحثنا، فقد غلبت عليه الأوهام والشعوذات فكانت تسود المعتقدات أن المرض ينجم عن غضب الآلهة على المذنبين من البشر، أو تكون الأرواح الشريرة قد تسلطت على الأفراد ودفعتهم إلى الخطيئة لتنزل الآلهة عقابها على المذنب بشكل أعراض وأمراض، وكانت من جملة معتقداتهم أن أي عمل مشين يعتبر ذنباً ويغضب الآلهة كالسرقة، والقتل، والبصق في ماء نهر يرتوي منه الناس، وتناول طعام في آنية قذرة، والكذب، وعدم احترام أماكن العبادة وسدنتها.. ولعلهم بذلك يرسخون قواعد الطب الوقائي، لا بل إنهم باعتقادهم أن المرض قد لا يتوقف عند المذنب فحسب بل قد يصيب ذريته كأنهم بذلك أدركوا الانتقال الوراثي لبعض الأمراض.

يضاف إلى هذه المعتقدات ما كانوا يعتبرونه سبباً للعدوى ألا وهي العين الشريرة التي قد تحرض الآلهة على إيذاء (المعيونين) فكان المريض يلجأ إلى السحرة والمشعوذين لطرد الأرواح الشريرة...

ولعل أهم ما يمكن أن يذكر في هذا المجال ما سنه حمورابي من قوانين لحماية شعبه من أخطاء ذوي المهن الطبية وإهمالهم في معالجة المرضى، وأحياناً أطماعهم بابتزاز المرضى، ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر:

المادة ٢١٨: إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لسيّد بآلة برونزية وسبب وفاته، أو إذا فتح محجر عين سيّد وسبب فقد بصره، فعقابه قطع اليد.

المادة ٢١٩: إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة لمملوك (عبد) بآلة برونزية وسبب وفاته فعليه دفع تعويض مملوك بمملوك آخر..

المادة ٢٢١: إذا جبر الطبيب عظماً مكسوراً لسيّد أو شفاه من مرض مؤلم فعلى المريض أن يدفع للطبيب خمس شياقل من الفضة.

المادة ٢٢٢: إذا كان المريض مملوكاً (عبداً) وعالجه الطبيب وشفى العبد من مرضه فعلى صاحب العبد أن يدفع للطبيب شيقلين فضة.

وهناك مادة رقم ٢٧٨ التي تبين مدى اهتمام مشّرعي حمورابي بالمصلحة العامة وأسلوبهم في تنظيم العلاقات بين المواطنين، فقد نصت هذه المادة على أن عقد بيع العبد يصبح لاغياً وباطلاً فيما لو ظهرت أعراض لجذام على العبد خلال شهر من بيعه.

أما الكلدانيون فقد برعوا في علوم الفلك والنجوم وتحركاتها وأبراجها واستأثر الكهنة بهذا العلم لفرض سيطرتهم على العامة والخاصة من الناس بإيهامهم بقدرة الكهنة على شفائهم من الأمراض التي استعصى شفاؤها على ممارسي الطب.

ويروي هيرودوت (وهو مؤرخ ورحالة يوناني عاش بين ٥٢٠ ـ ٤٨٤ ق.م) أن أهل بابل كانوا يمارسون الطب في الطرقات والساحات وعلى مداخل البيوت. وبهذه الطريقة يمكن للمريض أن يسأل أحد المارة إن كان قد أصيب

بالأعراض ذاتها، وكيف عالجها؟ وهل شفي منها؟ وقد يعمد المريض أو من يعتني به إلى استخدام الدواء نفسه على أمل الشفاء والبرء[١].

* * *

(١) د. كمال السـامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي ـ دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع ـ بغداد ج١، ص٤١ ـ ٥٥، جورج سارتون ـ تاريخ العلم ١٤٣/١ ـ ٢٢٧.

الفصل الثالث

الطب في الحضارة الهندية

تشمل شبه القارة الهندية من الناحية الجغرافية كلاً من الهند والباكستان وبنغلادش وجزيرة سيلان، وكما هي كل الحضارات فقد توضع سكانها الأوائل في وادي السند منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، ثم انتشر السكان وتوزعوا على ضفاف نهر الغانج وشواطئ المحيط الهندي... ويذكر أنه اكتشف بقايا مستشفى في سيلان يعود إلى القرن الخامس ق.م، ومستشفى آخر يعود إلى القرن الثالث ق.م، ولا نعلم مدى صحة هذا الادعاء، غير أنه من الثابت تاريخياً أن حضارة وادي السند قد ازدهرت وسادت إلى أن عاصرت في أواخرها الحضارة اليونانية، وتبادلت معها الخبرات والعلوم والفنون أثناء احتلال الإسكندر المقدوني قسماً كبيراً من أراضيها الشمالية عام ٣٢٧ ق.م، كما أن التقارب الجغرافي بين الهند وبلاد فارس كان عاملاً في تبادل الخبرات والعلوم بين الحضارتين لا سيما في أيام حكم كسرى أنوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) إذ دخل بلاد فارس عدد لا بأس به من الأطباء الهنود، وحظي بعضهم بمكانة رفيعة عند حكام فارس، ووصل بعضهم إلى درجة طبيب في بيمارستان جنديسابور... واستمروا بالعمل فيها إلى ما بعد الفتح الإسلامي لها عام ١٧هـ = ٦٣٨م، وإنه لجدير بالذكر أن بعض الخلفاء العباسيين استخدم بعضاً منهم، حتى إن هارون الرشيد اعتمد على (منكه) وغدا من أقرب المقربين له.



ويذكر أنَّ من أطباء الهند من تركوا مؤلفاتٍ وآراء صمدت سنوات عدة بعد انحسار حضارتهم، نذكر منهم:

١ ـ (**شَـرَك**): الذي عاش في القرن الثاني الميـلادي أي أنه كان معاصراً لجالينوس... وله كتاب اشـتهر في زمانه واعتبر مرجعاً لمن خلفه من الأطباء تُرجم إلى اللغة الفهلوية في بلاد فارس ثم نقل إلـى العربية في القرن الثاني الهجري أي الثامن الميلادي ونهل منه بشكل كبير كلّا من علي بن سهل ربن الطبري في كتاب (فـردوس الحكمة)، واقتبس منه بشـكل ملحوظ أبو بكر الرازي في كتاب (الحاوي).

٢ ـ **سوسروتا**: الذي عاش في القرن الرابع الميلادي (٣٠٠م) ووضع كتاباً من أضخم الكتب الطبية في الحضارة الهندية، وقد ترجمه إلى الفهلوية طبيب هارون الرشيد الفيلسوف (منكه) ثم تمت ترجمته إلى اللغة العربية[١].

٣ ـ **شاناق**: الذي ألف كتاباً في السموم حاز شهرة واسعة، وبقي المرجع الأساسي لعلم السموم ومضاداتها. وقام (منكه) بترجمته إلى اللغة الفهلوية ثم نقل إلى اللغة العربية.

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة عـدداً آخر من أطباء الهنـد دون تحديد تاريخ وفاتهم نذكر منهم:

ـ كنكة الهندي: من متقدمي حكماء الهند وأكابرهم وكان متقدماً في علم النجوم وله عدة مؤلفات طبية ذكرها أصيبعة دون تعليق.

ـ اصنجهل: من علماء الهند وفضلائهم الخبيرين في علوم الطب والنجوم.

إضافة إلى ثلاثة عشر آخرين عددهم دون توسع.



(١) أصيبعة / نجار ١٥٩/٣ ـ ١٧٢، السامرائي ٥٧/١ ـ ٦٠.

الفصل الرابع

أطباء بلاد فارس

كانت بلاد فارس قبل الفتح الإسلامي تشمل جغرافياً كلاً من خراسان في الوسط وطبرستان في الشمال ونيسابور في الشمال الشرقي وشمالها جرجان وجنوبها شرقاً سجستان، وجنوبها غرباً تقع خوزستان (الأحواز) وبهذا فقد كانت مترامية الأطراف متعددة التضاريس من جبال وصحارى وسهول. أما سكانها فكانوا يتكلمون لغات عدة غير أن اللغة (الفهلوية) (الفارسية القديمة) كانت هي الأكثر شيوعاً... وكانوا يدينون بديانات متعددة ولكن الزرادشتية كانت أهمها وأكثرها انتشاراً.

لم يعرف لبلاد فارس أي إسهام في مجال الطب إلا بعد أن دخلها الإسكندر المقدوني حوالي ٣٣٤ق.م، وأمر فور ذلك بإحراق كتب المجوس كلها ما عدا كتب الطب والحكمة والنجوم، التي أمر بترجمتها إلى اللغة اليونانية ونقلها إلى بلاده. فأغنى بذلك الفكر والعلوم اليونانية بما لم يدركه اليونانيون في بحوثهم، لا سيما وأن الفرس قد عُرفوا منذ أمد بعيد بمهارتهم اليدوية وخاصة أن قسماً ليس باليسير من معارفهم كان قد انتقل إليهم من بلاد الهند بحكم الجوار... وليس من المستغرب أن يكون كلا الطرفين (الفرس واليونانيين) قد استفادا من بعضهما بعضاً واكتسبا خبرات جديدة جعلتهما يكملان بعضهما بعضاً[١].

(١) ابن ابي أصيبعة / نجار ٧/٣ ـ ١٥٨، السامرائي ٦١/١ ـ ٦٨، سارتون تاريخ العلم.: ١٤٣/١ ـ ٢٢٧.

وانفرد الزرادشـــتيون (أتباع زرادشـــت نبي الفرس منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى الفتح الإسلامي) بالاهتمام بدراسة الطب والارتقاء به برغم أن بعضهم ســلك ســبيل المعالجة بالأدعية والصلوات، وبعضم ســلك سبيل المعالجة بالأغذية والعقاقير، واختص قسم آخر بالأعمال الجراحية، إلا أنه لم يكن يسمح للجراح بممارســة عمله إلا بعد أن يجري ثلاث عمليات جراحية ناجحة لثلاثة مرضى من غير المؤمنين بالديانة المزدكية[١].

ولم تنشط العلوم الطبية في بلاد فارس إلا أبان الحكم الساساني للبلاد أي بدءاً من القرن الثالث الميلادي، ومن أبرز أحداث تلك الحقبة إنشــاء مدينة جنديسابور أي (معسكر سابور) في منطقة الأحواز في الجنوب الغربي للبلاد من قبل الملك سابور الأول الساساني (٢٤١ ـ ٢٧٢م) ليوطن فيها الأسرى من الســومريين واليونانيين والنســاطرة الذين وقعوا في الأســر أثــر حربه مع الإمبراطور البينزنطي (ڤاليريان ٣٦٠م). وأثرى بعض هؤلاء الأسرى من ذوي المعرفة النظرية والتطبيقية فــي العلوم اليونانية مدينة جنديســابور ومعهدها التعليمي حتى أصبحت المدينة الأولى في البــلاد، وراح يؤمها طلاب العلم والمعرفة من كافة الأقطار والبلاد المجاورة. ثم اتخذها الملك (سابور الثاني ذو الأكتاف (٣١٠ ـ ٣٧٩م) عاصمة لحكمه. واســتقدم من بلاد اليونان الأطباء وعلماء الفلك والنجوم كما اجتذب العلماء السريان وأغدق عليهم العطايا وبنى لهم الكنائس وبيمارستانا على نمط البيمارســتانات في أنطاكيا والإسكندرية ومنحهم حرية اللغة والقول والعمل...

---

(١) المزدكية: ديانة دعا إليها مزدك الفارسي الذي حرر أتباعه من الالتزام بأي أخلاق متعارف عليها في زمنه فقد حلل المشــاركة في كل شيء حتى في النســاء. إلا أن (سابور) طارد أتباعه وقتــل (ماني) المبتــدع الأول لهذا المذهــب... ووحد الفرس فــي ديانة واحدة (الزرادشتية).

ولحســـن حظ الخلفاء العباســـيين فقد انتقلت معظم الكتب وبعض علماء جنديســـابور إلى بغداد في عهد الرشـــيد في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). خاصة وأن معظم العلماء النســـاطرة الذين هربوا من اضطهاد الكنيســـة البيزنطية قد حملوا معهم كمًّا هائــلاً من كتب أبقراط وجالينوس المترجمة إلى اللغة السريانية وكان الفضل في ترجمة معظمها لسرجيوس الرأسعيني.

واســـتمرت المدينة بالازدهار حتى بلغت قمة مجدها أبان حكم (كسرى أنوشـــروان ٥٣١ ـ ٥٧٩م) الذي كان قائداً فذاً وشـــغوفاً بالعلم وداعماً للعلماء فاحتل انطاكية وأغرى العلماء بالانتقال إلى جنديسابور وكان من أشهر هؤلاء العلمــاء، (جبرائيــل درســتاباذ) الــذي يعتقــد أنــه الجد الأعلى لأســرة البختيشـــوعيين... إضافة إلى إيفــاد أطبائه إلى الهند للاطــلاع على علومهم والتواصل مع علمائهم، وبذلك اجتمع في جنديسابور علماء من الهند واليونان والسريان والنســاطرة وكان المجتمع متعدد اللغات فكانوا يتكلمون السريانية واليونانية وبعض الفارسية، فكانت منارة العلم في ذلك العصر إلى أن انتقلت إلى بغداد في أوائل العصر العباسي..

ويجدر بنا هنا أن نذكــر أن ابن ابي أصيبعة[١] قد ذكــر في كتابه أربعة وعشرين طبيباً من أصول فارسية أسهموا إسهامات كبيرة في تطور الطب عند العرب والمســلمين بدءاً مــن (تيادوروس) ومــروراً بالرازي وابن ســينا وعلي بن ســهل ربن الطبــري مؤلف (فــردوس الحكمة) وأبي الحســن محمد بن أحمد الطبري مؤلــف (المعالجات البقراطية) والبيروني صاحب كتاب (الصيدنة). الذي حققه الحكيم محمد سعيد ونشرته مؤسسة همدرد في كراتشي بالباكستان.

---

(١) ابن ابي أصيبعة / نجار: ج ٣/ص ٧ ـ ١١.



وسأقتصر في سردي هنا على الأطباء ذوي الأصول الفارسية الذين كتبوا في علم العين سواء في كتابٍ منفرد أو ضمن كتاباتهم عامة.

١ ـ أبو الحسن علي بن سهل ربن الطبري (ت ٢٤٧هـ ـ ٨٦١م)

كتاب (فردوس الحكمــة) إضافة إلى ثمانية كتب أخــرى ذكرها ابن أبي أصيبعة وورد في فردوس الحكمة بعض الفصول عن طب العيون[١].

٢ ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣٢٠هـ ـ ٩٢٣م)

من أجلّ أطباء وعلماء المسلمين، وقد اعتبره الكثيرون جالينوس العرب، بل ثالث ثلاثة بُني الطب على جهودهم واختراعاتهم، وهم أبقراط وجالينوس والرازي. وعدد له بن أبي أصيبعة نيفاً ومئة وخمسين كتاباً ورسالة ومقالة... وأبرز هذه الكتب الموسوعتان (الحاوي في الطب) و(الكتاب المنصوري)... أما فيما يختص بعلم الكحالة أو طب العيون فقد كتب الكتب الآتية:

١ ـ الجزء الثاني من الحاوي في الطب[٢].

٢ ـ كتاب في كيفية الإبصار: يبين فيه أن الإبصار ليس يكون بشعاع يخرج من العين ويلمس الجسم المرئي ثم يرتد إلى العين؟»

---

(١) أمراض العين ومعالجاتها من كتاب (فردوس الحكمة) ألفه علي بن سهل ربن الطبري، جمع وترتيب وتحقيق وتعليق أ.د. محمد رواس قلعة جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ـ لندن ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) الحاوي في الطب: تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المتوفي ٣١٣هـ، مراجعة وتصحيح د. محمد محمد اسماعيل، المجلد الأول، الجزء الثاني في أمراض العين. نشر دار الكتب علمية ـ بيروت، لبنان ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

السامرائي: ٤٣٧/١ ـ ٤٦٤، أصيبعة / نجار: ١٢/٣ ـ ٤٩، غاريسون: ١١٣، هيرشبرغ: ١١٠/٢ ـ ١١٦، كحالة: ٧٠٦/١٠، ابن النديم: ٥٥٦ رقم ١١٣٥، القفطي: ٢٧١ ـ ٢٧٧، سزكين: ٤٢٩/٣ ـ ٤٦٧، ابن تغري بردي: ٢٩/٣، حمارنة ورجب: ٦٥، ١٣٥، ١٣٧، ابن ايبك الصفدي: ٧٥/٣ ـ ٧٧، حمارنة ٢٥/٢، ٧٥/٣، ١٢٠، سارتون: ٦٠٩/١ ـ ٦١٠.

وفي هذا تحدّ صريح ونسف كامل لنظرية الإبصار عند أبقراط وجالينوس.

٣ ـ كتاب في هيئة العين.

٤ ـ كتاب في فضل العين على سائر الحواس.

٥ ـ مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتوسع في الظلمة.

٦ ـ كتاب شروط النظر.

٧ ـ رسالة إلى تلميذه يوسف بن يعقوب في أدوية العين وعلاجها ومداواتها وتركيب الأدوية لما يحتاج إليه من ذلك.

٨ ـ مقالة في علاج العين بالحديد.

٣ ـ أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري (ت ٣٦٦هـ = ٩٧٦م)

من أفاضل علماء طبرستان، صنف كتاباً موسوعياً سماه (المعالجات البقراطية). وكانت المقالة الرابعة مخصَّصة لأمراض العيون[١].

٤ ـ الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ ـ ١٠٣٧م)

من أجلّ الأطباء المسلمين في القرن الخامس الهجري وأوسعهم علماً وأغزرهم معرفة في الطب عامة.. وقد عدد له ابن ابي أصيبعة نيفاً وأربعين

(١) أمراض العين ومعالجاتها من كتاب (المعالجات البقراطية). ألفه أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري (ت بعد ٣٦٦هـ = ٩٧٦م) جمع وترتيب وتحقيق وتعليق أ.د. محمد رواس قلعة جي وأ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي لندن ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
أصيبعة / نجار: ٥٠/٣، سزكين: ٤٨٩/٣ ـ ٤٩٢، حمارنة ورجب: ٢٠٦/١٣٩، ن حمارنه: ٢٨/٢، هيرشبرغ: ١٧/٢، ٥٢، ١١٦، ١٥٣، السامرائي: ٤٦٩/١ ـ ٤٧٣، سارتون: ٦٧٧/١، كحالة: ١١٢/٢.



كتاباً. أجلّها قدراً كتاب (القانون في الطب) الذي يعتبر بحق موسوعة طبية فريدة، وقد ترجم إلى اللغات اللاتينية مرات عديدة، وبقي الكتاب المدرسي الوحيد المعتمد في أوروبا اللاتينية حتى أواخر القرن السادس عشر...

أما فيما يتعلق بعلم الكحالة (طب العيون) فكانت المعلومات عنه متناثرة في أنحاء كتاب (القانون)، وقد قمت بالتعاون مع أ.د. محمد رواس قلعة جي بجمع وترتيب وتحقيق هذه النثارات وعلقنا عليها[١] كما ضمنا هذا الكتاب أرجوزته في طب العيون.

٥ ـ أبو الريحان البيروني

من بلاد السند، عالم جليل أقام في خوارزم وعاصر الشيخ الرئيس ابن سينا وكان بينهما مراسلات، وله كتب ذكرها ابن أبي أصيبعة وعددها (١٣) كتاباً في علم الجواهر والهيئة والعمل بالإصطرلاب... ولكن ما يهمني ذكره هنا هو كتاب (الصيدنة) الذي يعتبر بحق أول كتاب جامع وشامل لعلم الأدوية المفردة، فقد استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية، وأسماءَها واختلاف آراء المتقدمين فيها، وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيره فيه. ورتبه على أحرف المعجم[٢].

(١) أمراض العيون وعلاجاتها الواردة في كتاب (القانون في الطب) للشيخ علي الحسين بن علي بن سينا (ت ٤٢٨ ـ ١٠٣٧م) تحقيق وتعليق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعة جي، نشر: دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان. ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
أصيبعة / نجار: ١/٨٤ ـ ٩٧، ٣/٧٠ ـ ١١٧، ابن تغري بردي: ٥/٢٥ ـ ٢٦، حمادته ورجب: ١٤٤ ـ ١٤٥، ٢٠٧، ابن عماد الحنبلي: ٣/٢٣٣ ـ ٢٣٧، هيرشبرغ: ٢/١٢٤ ـ ١٢٥، ابن ابيك الصفدي: ١١/٧٩ ـ ٨٧، السامرائي: ١/٤٨٣ ـ ٥٠٠، ديورانت: ١٣/١٥٠ ـ ١٩٣، غاريسون: ١١٤، القفطي: ٤٠٣ ـ ٥٢٤ الذهبي ١١/١١٨.

(٢) كتاب الصيدنة ـ أبو الريحان البيروني تحقيق الحكيم محمد سعيد، نشر: مؤسسة همدرد كراتشي ـ الباكستان، أصيبعة / نجار: ٣/١١٩ ـ ١٢٠.



٦ ـ ابن مندويه الأصفهاني (ت ٤١٠هـ ـ ١٠١٩م)

هو أبو علي أحمد بن عبد الرحمٰن بن مندويه من الأطباء المذكورين في بلاد العجم، وله أعمال مشـــهورة في صناعة الطب، وعدد له ابن أبي أصيبعة أربعين رسالة مشهورة كتبها إلى جماعة من أصحابه، وكلها في مجالات الطب عامة... أما بالنسبة لطب العيون فله:

أ ـ رسالة إلى حمزة بن الحسين في تركيب طبقات العين.

ب ـ رسالة إلى أبي الحسين (الوارد في علاج انتشار العين)[1].

وترجع مكانة الطب الفارسي في الحضارة الإنسانية إلى اتصالهم التاريخي والقديم بالعلماء الهنود ثم بالعلمـــاء اليونانيين منذ منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، ويحمل البيمارستان في جنديسابور الفخر لإرسائه المكانة الحضارية لا ســـيما وأن جلّ أطبائه وعلمائه كانوا هنوداً أو نساطرة أو يونانيين بالإضافة إلى بعض الفرس الوطنيين، كما كان لهـــذه المدينة الجامعية والمنارة العلمية الفضل في إيصال العلوم الطبية إلى بغداد التي حمل علماؤها وأطباؤها مشعل العلم والحضارة وقدموا للإنســـانية خدمات جلى لا ولن تنســـاها الانســـانية والتاريخ المنصف.

❀ ❀ ❀

(١) أصيبعة / نجار: ٣/١٢١ ـ ١٢٢، سزكين: ٣/٥٢٥ ـ ٥٢٦، حمارنه ورجب: ١٠٨ ـ ٢١٠، ن. حمارنه: ٢/٣٣، الســـامرائي: ٢/٤٦٤ ـ ٤٦٦، كحالة: ١/٢٦٩، ١٣/١١٩، القفطي: ٤٣٨، ابن ابيك الصفدي: ٦/٣٦ ـ ٣٧، حاجي خليفة: ٥١٣، ٨٤٩، ٨٥٣..



الفصل الخامس

الطب عند اليونانيين

(الاغريق ٥٥٠٠ق.م ـ ١٠٠ق.م)

تتألف بلاد اليونان من شــبه جزيرة تقبع في الزاوية الشرقية الجنوبية من أوروبا، يضاف إليهــا أرخبيلاً من الجــزر المتناثرة في بحر إيجة بين آســيا الصغرى (تركيا اليوم) وبين شــبه الجزيرة، ولعل من أهم تلك الجزر قوص Cos، وقنيدس Cnidus، ورودوس Rodus وأخيراً أكبرها مســاحة جزيرة كريت Crete، وحتّــم هذا الموقــع الجغرافي علــى اليونانيين أن يحتكــوا بالأقوام المجاورة كالفرس شــرقاً والمصريين جنوباً عبر البحر المتوســط، فأفرز هذا الاختــلاط والتمازج الحضــارة اليونانية التي خلدها التاريخ، ولا ســيما في مجالي الفلسفة والطب، وكان رواد هذه الحضارة الخالدة ثلاثة أطباء وضعوا أســس العلوم الطبية ألا وهم أبقراط، وأرســطو، وجالينوس. وأما في مجال الفلسفة فكان سقراط وأفلاطون... ويعترف القاصي والداني بما لهؤلاء العباقرة من تأثير على الفكر الإنساني حتى يومنا هذا.

وبالرغم مــن كل التطــور العلمي الذي وصــل إليه اليونانيــون، إلا أن حضارتهم لا تخلو من الأســاطير التي اســتحوذت على تفكيرهم حتى باتوا يؤمنون بواقعيتها، ونتج عن ذلك تعدد الآلهة... فاخترعوا لكل أمر إلهاً أو آلهة تعبد فهناك إله للريح وإله للمطر وإلهة للجمال وإله للبحر الخ...[١].

(١) أصيبعة / نجار ١٥٤/١ ـ ٣٧٢ والســامرائي ٦٩/١ ـ ١٨٩ وهيرشــبرغ ج ٥٩/١ ـ ٣١١، غاريســون ٦٦ ـ ٨٩.

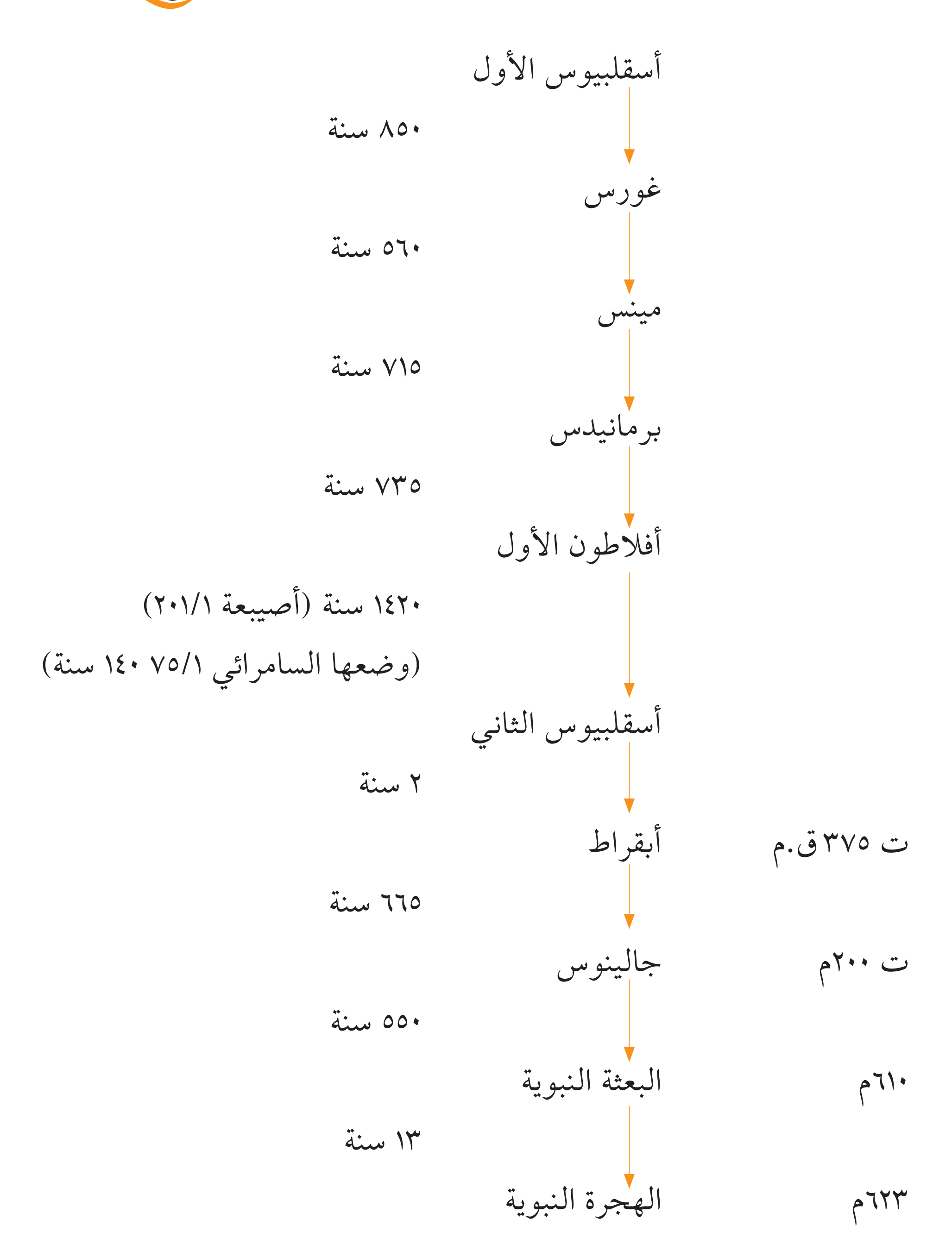


ولعل أسطورة ولادة أسقلبيوس Aesculapius الأول من علاقة حميمية بين أبولو Apollo أكبر آلهة الطب عنـد اليونانيين وكورونس الفتاة الجميلة الرائعة الجمال، قد جعلت الأجيال التالية تعتقـد بأنه محاط بالعناية الإلهية، ولذلك استطاع شفاء المرضى وتخفيف آلامهم، وذكر جالينوس أن (طب أسقلبيوس كان طباً إلهياً) ويرجح تاريخياً أن أسقلبيوس عاش نحو ٥٥٠٠ق.م وإليه يعود الفضل باتخاذ العصا التي تلتـف حولها الأفعى (رمز اليقظة والسـهر وحدة البصر) رمزاً للأطباء منذ ذلك التاريخ. ولسـوء الحظ لم يصل للمؤرخين أية آثار مكتوبة عنه سـوى بعض الأقوال والحكم والنصائح التي خلدته، وأشيع عنه أنه أوصى أولاده بألا ينشروا صناعة الطب بين عامة الناس ممن لا يرقون إلى مستوى نسب الأسقليبيين خشية إساءة اسـتعمال المهنة (كما لو أنه كان ينصح بارستقراطية الطب والعلم).

ولما توفي اسقلبيوس أشاد أتباعه معابد تخلد اسمه تجاوز عددها المئات باسم معاهد الأسقلبيون Asklepeon[(١)] ليلتجئ إليها المرضى ويمكثون ليلة أو ليلتين أملاً في الشفاء من أمراضهم، وغدا رمزاً تاريخياً وقومياً لا سيما وأنه لم يصل أحدٌ بعده إلى رتبته مـن العلماء إلا بعد أربعين قرنـاً كما هو مبين في الجدول الآتي:

---

(١) غاريسون: ٦٦ ـ ٩٠.



وكان من ذرية أسقلبيوس الأول Aesculapius I سبعة أطباء بارزون تميّزوا عن سواهم، نذكرهم باقتضاب لكي لا نثقل على القارئ.



١ ـ غورس

خلف أسقلبيوس بعد ثمانمئة وخمسين عاماً وتتبع مدرسة معلمه الأول في الممارسة الطبية.

٢ ـ مينس

ظهر بعد غورس بخمسمئة وستين سنة، وكان من أتباع مدرسة القياس.

٣ ـ برمانيدس

ثالث الأطباء الأسقليبيين الكبار، وجاء بعد مينس بسبعمئة وخمس عشرة سنة، وانتحل القياس وحده.

٤ ـ أفلاطون الأول

جاء بعد برمانيدس بسبعمئة وخمس وثلاثين سنة، واتبع مدرسة القياس والتجربة معاً. واستحدث تلاميذه الاختصاصات الطبية كالطب العام والجراحة والفصد والكي وجبر العظام ورد خلوع المفاصل.. وأمراض العين التي تخصص بها تلميذه الأثير سيرجيس.

٥ ـ أسقلبيوس الثاني

وخلف أفلاطون الأول بعد مئة وأربعين سنة وتتبع خط معلمه أفلاطون باعتماد التجربة والقياس.

ومن تلامذته الذين خلدهم التاريخ ابقراط بن ايراقلس.

٦ ـ أبقراط[١]

(إمام الأطباء) Hippocrates ولد في جزيرة قوص Cos ولذلك دعي

(١) أصيبعة / نجار ٢٠٢/١ ـ ٢٣١، السامرائي ٧٥/١ ٨٥/١ ـ ١١٠.

أبقراط القوصي وتوفي سنة ٣٧٥ ق.م ودفن في لارسا، تبع مذهب التجربة والقياس وثبت قواعد هذا المذهب على أسس علمية حتى غدا المذهب المتّبع على مدى العصــور اليونانية والبيزنطية. وجــاء بعد معلمه بمدة سنتين فقط، وقد أفرد له أصيبعة في الجزء الأول من كتابه تسعة وعشرين صفحة.. كان عالماً فاضلاً وطبيباً خبيراً في معالجة المرضى، متمســكاً بأخلاقيات مهنية كانت ولازالت متبعة في معظم أنحاء العالم، وهو واضع قســم أبقراط الذي يردده خريجو معظم كليات الطب في العالم قبل أن يقدموا على ممارســة الطب. كما أن ناموسه يعتبر قمة في تعريف الطب كأشــرف المهن. وترك وصية لمن بعده خلدت عبر التاريخ لما فيها من أخلاقيات وأســس على ممارســي الطب اتّباعهــا ليحظوا باحتــرام المـرضى والمجتمع.

٧ ـ جالينوس[١] Galen

السابع من الأطباء الأسقليبيين الكبار ظهر بعد وفاة أبقراط بستمئة وخمس وســتين ســنة ومع ذلك فقد كان له الفضل في جمع تراث أبقراط المكتوب وتنظيمه وحفظه من الضياع. ولد في مدينة برغامون سنة ١٣١م وتوفي سنة/٢٠٠/ ميلادية... وهناك تباين في هذا التاريخ الذي يُظهر أنه عاش ٦٩ سنة، فقد ذكر أصيبعة ٣٠٨/١ أنه ولد بعد زمان المسيح بتســعة وخمسين سنة وعاش سبعة وثمانين سنة.

وهو آخر العمالقة اليونانيين، ويعتبر الثاني بعد أبقراط من حيث الشــهرة والمعرفة والممارسة.

(١) أصيبعة / نجــار: ٣٠٧/١ ـ ٣٧٢. الســامرائي: ١٤٧/١ ـ ١٧٢. غاريســون: ٩٧ ـ ١٠٣. ســزكين: ١٥٧/٣ ـ ١٥٨، ابن النديم: ٥٤١ ـ ٥٤٥، القفطي: ١٢٢ ـ ١٢٣، لوكليرك: ٢٤٢/١ ـ ٢٥٥.



وذكر ابن أبـــي اصبعية من ضمن قائمـــة مؤلفاته التي بلغـــت مئةً وثلاثةً وخمســـين كتاباً ومقالة ورسالة كتاباً في تشـــريح العين (ص٣٥٤) ومقالة في دلائل علل العين ص (٣٥٧).

ولست أرى ضيراً من ذكر طبيبين شهيرين من الأطباء اليونانيين قدما لعلم الطب إضافات لازالت تذكر إلى يومنا هذا، مـــع أنني أحاول أن أقصر عملي هذا على تاريخ طب العيون فقط... ولكن كيف لـــي أن أهمل اثنين من كبار الاطباء اليونانيين.

١) **هيروفيلوس Herophilus**: عاش نحو ٢٨٠ق.م: استقدمه بطليموس الأول المتوفى ســـنة ٢٨٣ق.م ليعمل في (الموســـيون)[١] وأمضى بقية حياته هناك يبحث ويوثـــق أفكاره في تشـــريح جســـم الإنســـان حتى طغى عليه اســـم (أبو التشريح) ويعزى إليه التفريق بين المخ والمخيخ، وبين الأعصاب وأوتار العضلات، وبين الأعصاب الحســـية والأعصاب الحركية... أما بالنســـبة لما يتعلق ببحثنا في طب العيون فقد عرّف طبقات العين ووهبها أســـماءها التي لازلنا نستعملها إلى يومنا هذا (القرنية، والشبكية، والجسم الزجاجي الخ...) كما وصف البانكرياس والبروستات[٢].

كما درس نبض الشرايين وحســـب عدد ضربات القلب بالدقيقة (حسب الســـاعة المائية التي كانت الأداة الوحيدة المعروفة في زمانه لقياس الوقت). كما يعزى إليه استعمال القسطرة لتفريغ المثانة وغيرها من الأدوات التي كان رائداً في تصميمها واستعمالها.

---

(١) الموسيون: معهد انشـــأه العلماء البطالسة إلى جوار مكتبة الاســـكندرية وكان بمثابة مختبر لعلماء الطب والفلك والطبيعيات...

(٢) السامرائي: ١٢٥/١، قصة الحضارة (وول ديورانت) ١٥٥/٨ ـ ١٥٨، غاريسون ٦٦ ـ ١٠٣.

٢) **إيراســتراتس Erasistratus**: ويقال إنه أحد أحفاد أرسطو الحكيم من إحدى بناتــه، انتقــل من اليونــان إلى مدرســة الإســكندرية حيــث زامل هيروفليس... وكان جل اهتمامه بوظائف الأعضاء... وهو الذي ابتدع نظرية الـ (تهوية Pneuma) وضرورة الهواء لديمومة الحياة، ووصف بدقة تلاقي نهايات الشــرايين بنهايات الأوردة أو ما يســمى اليــوم (الأوعية الشــعرية) كما أنه استحدث اسم القصبة الهوائية Trachea.

* * *



الفصل السادس

الطب في العصر الروماني[١]

(١٠٠ ق.م ـ ٣٩٥م)

احتلت الإمبراطورية الرومانية معظم الأراضي الممتدة ما بين بلاد فارس شرقاً وإسبانيا غرباً، وبسطت نفوذها على كل الأراضي المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط بما فيها آسيا الصغرى، والشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، شبه الجزيرة الإيبرية (إسبانيا والبرتغال اليوم) وفرانسا، وإيطاليا واليونان. وتناوب على حكم تلك الإمبراطورية الشاسعة أباطرة منهم المصلح والبناء ومنهم دون ذلك.. وأبدعوا في فن العمارة فأقاموا وبنوا المسارح الرومانية المنتشرة في بلاد الشام وشمال إفريقيا، إضافة إلى تقدمهم اللافت في بناء الأقنية المائية لزيادة الرقعة المزروعة من الأراضي ولتأمين الغذاء لجنودهم المنتشرين في هذه الرقعة الواسعة، غير أنهم (رغم وراثتهم الممتلكات اليونانية جميعها) لم يستطيعوا أن ينتزعوا الفكر الفلسفي والعلمي لا سيما الطبي من اليونانيين، ويعتقد أن الإمبراطورية الرومانية أمضت القرون الستة الأولى دون أن تتمكن من تدريب طبيب واحد يعمل بالقواعد العلمية للمهنة. ولم يرتقوا (شعباً وحكاماً) إلى درجة نبذ المعتقدات القديمة التي ورثوها عن العصور القديمة وخاصة تعاليم سدنة (السقلبيين). وبقيت مهنة الطب حكراً على اليونانيين الوافدين وليس للرومان المواطنين. ولم يلتفت الأباطرة الرومان إلى أهمية العلوم عامة والطبية منها خاصة الا بعد أن رأى يوليوس

(١) غاريسون ٩٠ ـ ١٠٤، هيرشبرغ١/٣٠٣ ـ ٣١١، السامرائي١/١٢٧ ـ ١٧٢.



قيصر (عاشــق كليوباترا) التقدم العلمي والطبي علــى وجه الخصوص في مصر، وآمن بضرورة تأمين الأطباء والجراحين لمعالجة جنوده المنتشرين في أصقاع المعمورة ويحلمون بالمزيد من التوسع، وهكذا بدأت الإمبراطورية الرومانية باســتقطاب الأطباء الإســكندرانيين واليونان لتدريب الناشئة من الرومان والعناية بالنخبة الحاكمة.

ويحسن أن نعرض لمحة موجزة عن مدرسة الإسكندرية التي كانت الجسر الواصل بين الطب اليوناني والطب العربي.

تمتعت مدرسة الإسكندرية ومكتبتها بشهرة علمية لم تحظ بمثلها مدرسة أخرى، فقد أسســها بطليموس الأول (٣٦٠ ـ ٢٨٣ ق.م) وانقرضت بانقراض حكم البطالســة إثر وفــاة إمبراطورتهــم كليوباترا عــام ٣٠ ق.م... وبقيت الإســكندرية تحت حكم الرومان وعانت من الترهــل والاهمال نظراً لعدم اهتمام الرومان بشيء سوى التوسع العســكري وبناء المسارح والمدرجات إضافة إلى أقنية المياه... ولكن عادت المدرســة تســتعيد رونقها ونشاطها العلمي بقدوم جالينوس البرغامي (١٣١ ـ ٢٠١م) للدراسة والتعلم وخاصة في مجال علوم التشريح، وكانت اللغة اليونانية هي اللغة الأكاديمية، أما لغة عامة الشــعب فكانت القبطية التــي يتكلمها الأقبــاط الذين دخلوا فــي الديانة المسيحية منذ نشأتها في بيت لحم بفلسطين، غير أن هذه المدرسة اصيبت بنكسة أبدية عقب وفاة جالينوس عام ٢٠١م، إذ توقف البحث العلمي والنشاط التدريسي بســبب النزاع العقائدي بين النصارى المتشــبثين بدينهم الجديد والعلماء اليونانيين الوثنيين العريقين بعلوم الطبيعة والطب، وليكتمل تدمير هذه المدرسة فقد نهبت مكتبتها عام ٣٦٦م وتلا ذلك تخريب معهد الموسيون عام ٣٩٢م. وآل حكمها إلى الأباطرة البيزنطيين حتى الفتح الإســلامي عام ٢٢هـ ـ ٦٤٢م.

ونظراً لقلة الإنتاج الفكري والعلمي في تلك الفترة فلن أخوض في تفاصيل العلماء الذين برزوا ولن أخوض في تفاصيل مؤلفاتهم أو ما ليس له علاقة بموضوع الكتاب (طب العيون)[١].

١ ـ أريتس الكبودي Aretus The Cappdocian

٢ ـ أسقليبيادس Asclepiades (نحو ١٢٤م)[٢]

٣ ـ ديوسقوريدس Dioscorides (نحو ١٠٠م)[٣]

ولد في (عين زربي)[٤] شمال شرقي سوريا ويعتبر أول من عالج بالأعشاب ولذلك كان يطلق عليه لقب (الحشائشي) وكان الطبيب الخاص لنيرون إمبرطور روما (٥٤ ـ ٨٦م).

وكتابه الأشهر (كتاب الحشائش) وفيه ما يزيد على /٩٥٠/ عقاراً مع ذكر وصفها ودورتها الحياتية واستعمالاتها. وله أيضاً (كتاب السموم) و(كتاب في الحيوانات ذوات السموم).

٤ ـ سورانوس الإفسيسي Soranus of Ephysus[٥] (حوالي ١٠٠م)

طبيب من أصل يوناني مارس الطب في روما... واشتهر بتأليف (كتاب «في أمراض النساء»).

---

(١) للتوسع في هذا الفصل يرجع إلى: السامرائي: ١٣١/١ ـ ١٧١، أصيبعة / نجار: ٣٠٧/١ ـ ٣٧١، Garrison: ٢٧، ١٢٣/١١٠/١٠١، سزكين٥١/٣ سارتون: تاريخ العلم ٢٥٤/٤.

(٢) أسقليبيادس: انظر: ابن النديم: ٤٧٤، غاريسون: ١٠٦ ـ ١٠٧، سزكين: ٥٥/٣، سارتون: ٢٥٤/٤.

(٣) أصيبعة / نجار: ٢٢٥/١ ـ ٢٢٧، ابن النديم: ٥٤٧، القفطي: ١٨٣، السامرائي: ١٣٣/١ ـ ١٣٧، لوكليرك: ٢٣٦/١ ـ ٢٣٩.

(٤) عين زربي: مدينة صغيرة تقع في آسيا الصغرى (تركيا)، ازدهرت ايام حكم سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٧هـ = ٩٦٧م).

(٥) أصيبعة / نجار: ٢٢٤/١، ابن النديم: ٥٤٧، السامرائي: ١٣٧/١ ـ ١٣٨، سزكين: ٣٦١/٣، غاريسون: =



٥ ـ روفوس الإفسيسي Rufus of Ephysus[(١)]

اعتبره جالينوس خليفة أبقراط في الطب. وذكر أنه أول من وصف أغشية العين وعدستها البلورية والتصالب البصري.

٦ ـ أركاجينس Archigenes[(٢)]

ابن الطبيب السوري فيلوبس Philopes، اعتبره جالينوس من خيرة الأطباء الذين سبقوه (كانوا قبله) ـ أبدع في مجال الجراحة وأمراض النساء والولادة. عاش في القرنين الأول والثاني الميلاديين.

٧ ـ أنطليوس Antylluss[(٣)]

من أطباء القرن الثاني الميلادي، اشتهر بالجراحة وأخذ عنه أوريباسيوس (٣٢٥ ـ ٤٠٣م)، وللرازي اقتباسات مطولة عنه في كتاب (الحاوي)، ويعتبره المؤرخون أول من عالج الساد بعملية القدح.

٨ ـ جالينوس Galen[(٤)] (١٣١ ـ ٢٠١م)

عاش بعد ٤٠٠ سنة من وفاة أبقراط، وكان له الفضل في الحفاظ على تراث أبقراط الطبي، فجمعه وصنفه ورتبه، وكتب كتاباً فريداً من نوعه

= ٩٧، ١١٢. وإفسس مدينة صغيرة على ساحل تركيا الغربي المطل على بحر إيجة وأطلالها قريبة من قرية سلجوق اليوم.

(١) أصيبعة / نجار: ٣٨٤/١. ابن النديم: ٥٤٥، سزكين: ٦٤/٣ ـ ٦٨، غاريسون: ٩٦ ـ ٩٧، لوكليرك: ٢٣٩/١ ـ ٢٤٢.

(٢) أصيبعة / نجار: ٢٢٤/١، ابن النديم: ٥٤٧، السامرائي: ١٤٥/١، غاريسون: ٩٥ ـ ٩٦ لوكليرك: ٢٥٢/١.

(٣) أصيبعة / نجار: ٣٨٤/١، غاريسون: ٩٥، لوكليرك: ٢٦٤/١ ـ ٢٦٥.

(٤) ابن النديم: ٥٤١ ـ ٥٤٥، أصيبعة / نجار: ٣٠٧/١ ـ ٣٧٢، السامرائي: ١٤٧/١ ـ ١٦٩، ابن جلجل: ٤١ ـ ٥١، القفطي: ١٢٢ ـ ١٣٢، سزكين: ١٥٧/٣ ـ ١٥٨، غاريسون: ٩٧ ـ ١٠٣.

ســمّاه (كتب أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة) فاستغنى الدارسون عن كتب أبقراط بتفسيرات جالينوس لها.

ونظراً لقرب عهده بالطب العربي فقد برز اســمه بشكل ألمع من أبقراط لا سيما أنه فسر ما عسر فهمه على المترجمين من كتب أبقراط. كما أنه مارس التشريح الذي تعلمه وأتقنه في مدرسة الإسكندرية وتبنى آراء أبقراط دون أي تبديل، لا سيما قوله بوجود فتحات غير منظورة في الجدار بين البطين الأيمن والبطين الأيسر.

ذكر ابن أبي أصيبعة لجالينوس كتابين في طب العيون:

أ ـ كتاب دلائل علل العين ص ٣٥٧/١.

ب ـ كتاب في تشــريح العين ص ٣٥٤/١، وقد ترجمه سرجيس إلى اللغة اللاتينية.

مخطوطات الكتاب:

- القاهرة: طب تيمور ١٠٠، ص ١ ـ ٢٤
- تشستربتي، دبلن: ٣٤٢٥، ص ١٤١ ـ ١٥٦
- جامعة طهران: ٤٩١٤، ص ٤٤٠ أ ـ ٤٤١ أ

* * *



الفصل السابع

الطب في العصر البيزنطي
(٣٩٥ ـ ٦٤٠م)

لا بد من ذكر لمحة موجزة عن الطب في العصر البيزنطي رغم قصر الفترة الزمنية التي لم تزد على/٢٤٥/سنة فقط تلك التي عاشتها هذه الحضارة[١].

من المعلوم تاريخياً أن الإمبراطورية الرومانية انقسمت عام ٣٩٥م إلى قسمين شرقية وعاصمتها بيزنطية (إسطنبول اليوم) وغربية وعاصمتها روما (إيطاليا). وأُلحقت الإسكندرية وأنطاكيا (أهم مركزين ثقافيين في العالم المسكون آنذاك) بالدولة البيزنطية... إلا أن الصراع الدائم بين الفرس في شرق الإمبراطورية وبين بيزنطية نفسها قد أثر سلباً في هاتين المدينتين اللتين كانتا منارتي الإشعاع الفكري في ذلك العصر، فأهملت الأبحاث والحلقات التعليمية، وتدنى المستوى التعليمي فيهما بشكل ملحوظ، وسيطر النزاع المذهبي بين النساطرة واليعاقبة في منتصف القرن الخامس على كافة مفاصل الدولة، وأدى تدخل رجال الدين اليعاقبة المتشددين لمذهبهم في كل شاردة وواردة في المستشفيات التي يقوم عليها الأطباء النساطرة إلى عزوف معظم هؤلاء الأطباء عن ممارسة الطب العلمي حسب ما تعلموه في مدرسة الإسكندرية، وراح رجال الدين اليعاقبة يداوون المرضى بالصلوات والأدعية وبكل ما لا علاقة له بالعلم.

---

(١) للاستزادة في هذا الفصل: أصيبعة / نجار: ٣٧٣/١ ـ ٣٨٥، السامرائي: ١٧٣/١ ـ ١٨٩، هيرشبرغ: ٣١١/١ ـ ٣٥١، غاريسون: ١٠٤ ـ ١٠٩.

وقد تعرضت مكتبة الإسكندرية بعد وفاة جالينوس إلى نهب مكتبتها الزاخرة بالآلاف أو بعشرات الآلاف من الكتب، وأخيراً انتهت بحرقها وتدميرها وتدمير (معهد الموسيون) قبل نهاية القرن الرابع الميلادي وبهذا انتهت الفترة الذهبية لمكتبة الإسكندرية.

إلا أنه وفي نهايات القرن الخامس وبدايات القرن السادس الميلاديين اجتمع ثمانية من الأطباء النصارى الإسكندرانيين برئاسة (أنقلاوس) وارتأوا أن يحصلوا على إذن من السلطات المحلية لإعادة فتح مكتبة الإسكندرية وتدريس الطب في أربعة كتب فقط من مؤلفات أبقراط وستة عشر كتاباً من مؤلفات جالينوس.

ووزعت مهام تلخيص وتجميع وإعادة ترتيب الكتب حسب مضامينها واختصاصاتها، وجعلوها على شكل مجموعات بلغ عددها سبعاً. وصارت هذه المجموعات مقررات التعليم في مدرسة طب الإسكندرية. واعتمدت اللغة اليونانية لغةً رسميةً للتدريس.

وبهذا فإن لمدرسة الإسكندرية للطب في أواخر عمرها تاريخ حافل في وقت بدء الرسالة الإسلامية في مكة المكرمة، وإنَّ كتب ومناهج هذه المدرسة قد أُقرت بذاتها ودرِّست في مدارس سوريا وجنديسابور... فكانت الإسكندرية الجسر الذي يربط الطب اليوناني بالطب العربي...

ولا بد أن نعترف بأن الأطباء الذين سيطروا على المهنة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانوا في معظمهم من الأطباء البينزنطيين ومن خريجي مدرسة الإسكندرية حتى إن بعضهم عاصر الرسول ﷺ.

وسأسرد هنا بشكل مقتضب جداً أسماء عشرة أطباء كان لمؤلفاتهم وأفكارهم أثر كبير في العلماء العرب المسلمين.



١ ـ الإسكندر الأفرودیسي الدمشقي[(١)]

كان مـن الموالين لمدرسـة أرسـطو، وكتـب ردوداً كثيـرة عى ردود جالينوس على أرسطو.

ويذكر أنه أول من رفـض نظرية الإبصار التي شـاعت عـن أبقراط ثم جالينوس التي تقول بخروج شـعاع من العين ليلمس الجسم المرئي ثم يرتد إلى العين حيث تكون الرؤية.. ورفض القول بخروج أي شعاع من العين..

٢ ـ أوريباسيوس Oribasius (٣٢٦ ـ ٤٠٣م)[(٢)]

عمل في عهد الإمبراطور الروماني (جوليان) في طب الأطفال والأمراض الغذائية وتشريح الأعضاء الباطنة. وينسب إليه (كناش أوريباسيوس).

٣ ـ فيلغريوس Philagrius[(٣)]

عاش في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وكان مهتماً بالطب الباطني، اقتبس الرازي في كتاب الحاوي بعض الفقرات من تسعة عشر كتاباً له.

٤ ـ يحيى النحوي Johanines Grammaticus[(٤)]

من أشـهر الأطبـاء الإسـكندرانيين العرب، درس الطـب وهو في

(١) اقرأ عنه في: أصيبعة / نجار: ٣٠٣/١ ـ ٣٠٦، السـامرائي ١٧٩/١، ابن النديم ٤٨٤، غاريسـون: ١٠٤ ـ ١٠٩.

(٢) اقرأ عن أوريباسـيوس فـي: أصيبعة / نجـار: ٣٧١/١ ـ ٣٧٢، السـامرائي ١٧٩/١، سـزكين ١٥٢/٣ ـ ١٥٤، ابن النديم ٥٤٦. غاريسون: ١٠٤ ـ ١٠٥، لوكليرك: ٢٥٣/١ ـ ٢٥٥.

(٣) اقرأ عن فيلغريوس في: ابن النديم ٥٤٦، أصيبعة / نجار: ٣٧٢/١، السـامرائي ١٨٠/١، سزكين ١٥٤/٣ ـ ١٥٦، غاريسون: ١٠٤ ـ ١٠٨، سارتون: ٣٧٣/١، لوكليرك.: ٢٥٥/١ ـ ٢٥٦.

(٤) اقرأ عن يحيى النحوي في: ابـن النديم: ٤٨٧، أصيبعة / نجار: ٣٧٣/١، السـامرائي: ١٨٢/١، سزكين: ١٥٧/٣ ـ ١٦٠.



الأربعين من عمره كما درس الفلســفة والتاريخ واشتهر بهما. وقد شرح تسعة عشر كتابا من كتب جالينوس.

٥ ـ سرجيوس الرأسعيني (ت ٥٣٦م)[(١)]

من مواليــد رأس العين (شــمالي ســوريا) تعلــم اللغــة اليونانية في الإســكندرية ثم درس الطب فيها، ثم عاد إلى رأس العين ليعمل قسيساً في المدينة، إضافة إلى كونه رئيســاً لأطبائها. وهناك ترجم بعض مجاميع كتب جالينوس وحمل النســاطرة هــذه الترجمات إلى جنديســابور، وغدت من مقررات التعليم فيها.

٦ ـ آتيوس الآمدي Aetius of Amida[(٢)] (ت ٥٧٥م)

خدم في بــلاد الإمبراطور (جوســتنيان) وكتب موســوعة طبية باللغة اليونانية من خمســة عشــر كتاباً.. ذكر فيها بعض العمليات الجراحية ومنها بعض عمليات العين.

٧ ـ الإسكندر الترالي Alexander of Tralles (٥٢٥ ـ ٦٠٥م)[(٣)]

مارس الطب في روما، له عدة كتب أحدها:

ـ كتاب في علل العين ويتكلم فيه عن الوقاية من الرمد.

---

(١) اقرأ عن سرجيوس في:، أصيبعة / نجار: ٣٨٥/١، السامرائي: ١٨٥/١، سزكين: ١٧٧/٣، القفطي: ٣٥٤ ـ ٣٥٧، لوكليرك: ٢٥٧/١ ـ ٢٥٨.

(٢) اقرأ عن آتيوس الأمدي في: أصيبعة / نجار: ٣٨٥/١، السامرائي: ١٨٥/١، سزكين: ١٠٤/٣ ـ ١٠٥، غاريسون: ١٠٥ ، لوكليرك: ٢٦٥/١ ـ ٢٦٦.

(٣) اقرأ عن الإسكندر الترللي في: ابن النديم: ٥٤٨، الســامرائي: ١٨٦/١، القفطي: ٥٥، سزكين: ٣٤٠/٣ ـ ٣٤١،، غاريسون: ١٠٧. لوكليرك: ٢٥٦/١.



٨ ـ أهرن بن أعين Ahrun (٦٠٠م)[١]

من تلاميذ مدرسة الإسكندرية، عرف بكونه طبيباً وفيلسوفاً، واشتهر باسم (القس). له كناش يعتبر مرجعاً في الطب الباطني قد وصف فيه مرض الجدري. ونقل عنه الرازي قدرًا هائلاً من الاقتباسات في كتاب (الحاوي). ونظراً لأهمية كناشه نشرت الترجمة العربية له في عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ = ٧١٩م) وتعتبر هذه الترجمة الأولى من اللغة اليونانية إلى العربية.

٩ ـ بولس الأجيني Paul Of Agina[٢]

يوناني من مواليد جزيرة (أجينا) غرب شاطئ أثينا وكان جراحاً قديراً، له كناش موسوعي أسهب فيه لذكر أمراض النساء حتى غدا لقبه (القوابيلي). وله مؤلفات نقلت كلها إلى اللغة العربية منها الكناش. وهو موسوعة في الطب أخذ فيها بكثرة عن جالينوس وأوريباسيوس وآتيوس الآمدي وغيرهما من قدماء الأطباء اليونانيون. كما نقل عنه الرازي قدرًا كبيراً من الاقتباسات في كتاب (الحاوي).

١٠ ـ عيسى بن قسطنطين Issa Ibn Constantine[٣]

من أصل عربي ممن أدرك الإسلام، لا يعلم عنه الشيء الكثير.



(١) اقرأ عن أهرن بن أعين في: ابن النديم: ٥٥٣ ـ ٥٥٤. أصيبعة / نجار: ٣٨٤/١، السامرائي: ١٨٧/١، القفطي: ٨٠، سزكين: ١٦٦/٣، لوكليرك: ٧٧/١ و٨١.

(٢) اقرأ عن بولس الأجيني في: ابن النديم: ٥٤٧، أصيبعة / نجار: ٣٨٤/١، السامرائي: ١٨٨/١، القفطي: ٢٦١ سزكين: ١٦٨/٣ ـ ١٧٠، غاريسون: ١٠٧، لوكليرك: ٢٥٦/١ ـ ٢٥٧.

(٣) اقرأ عن عيسى بن قسطنطين في: أصيبعة / نجار: ٣٨٤/١، السامرائي: ١٨٩/١، القفطي: ٢٤٧.



الباب الثاني

الطب والأطباء في جزيرة العرب
قبل الإسلام وفي صدر الإسلام



لن أبحث في هذا الفصل عن العــرب العاربة والعرب المســتعربة ولن أبحث في قحطان ويمنها وعدنان، وجزيرتها وشمالي جزيرتها، ولن أبحث في الدولة المعينية التي ســادت ما بين ١٥٠٠ ـ ٦٥٠ ق.م، ولا الدولة السبئية التي ورثتها وعاشت خمسة قرون حتى ١١٥ ق.م، ولا الدولة الحميرية التي ملكت الأرض ومن عليها ستة قرون ونصف تقريباً (١١٥ ق.م ـ ٥٢٥م) وانقرضت على يد الأحبــاش المدعومين مــن الرومــان البيزنطيين، لا ولن أذكــر أن هؤلاء الأحباش تم طردهم من اليمن على يد الفرس عام ٥٧٠م، وكيف أن الاحتكاك اليمني بهاتين الدولتين أفاد الســكان المحليين بتلقيهــم بعض التعليم الذي اشتمل على شيء من الطب حتى قيل إن الحارث بن كلدة الثقفي قد بدأ تعلم الطب في اليمن وربما على الاساتذة الفرس.

لن أثقل على القارئ بحادث انفجار سد مأرب بين القرنين الأول والثاني الميلاديين الذي أدى إلى هجرة قبائل تنوخ ولخم شــمالاً وتأسيســهم دولة المناذرة في الحيرة وما حولها (قرب الكوفة اليــوم) وكيف تنصروا وانتحلوا المذهب النســطوري إثر ظهوره في منتصف القرن الخامــس للميلاد إلى أن فتحها ســيف الله المســلول خالد بن الوليد عام ١٢هـ = ٦٣٢م وخيرهم بين الإسلام والجزية والقتال... فآثروا دفع الجزية وبقوا على دين النصرانية.

أما قبائل الجفنيين (أتباع جفنة بن عمرو) فقد استوطنوا فلسطين وحوض نهر الأردن وحوران الشامية، وأسسوا فيها دولة الغساســنة واتخذوا بصرى عاصمة لهم، ولازالت آثارهم باقية إلى يومنا هذا تدلّ على حضارة سادت ثم بادت.

ولكني أرى لزاماً علي أن أذكر دولة تدمر التي ظهرت في بادية الشام في أوائل القرن الميلادي الأول وتحالفت مع البيزنطيين لمحاربة الملك ســابور

الساساني، وكان من أشـــهر ملوكها (زنوبيا = الزباء) التي وصل ملكها حتى مصر مدعية نسبها إلى كليوباترا (ت ٣٠ ق.م)، وثارت على البيزنطيين (الأقوياء عدة وعدداً) وخسرت المعركة أمام الإمبراطور (أورليان) عام ٢٧٢م وأسرت، وحينما أرادوا اقتيادها كأسيرة حرب إلى روما رفضت أن تقيد إلا بسلاسل من ذهب، وتوفيت بعد ثمان سنوات من أسرها في روما.

أما فيما يتعلق بدولتي بابل وآشـــور فيما بين النهرين فلم تكونا أكثر من دويلات صغيرة تناوب على السـيطرة عليهما الفـرس والبيزنطيون بدليل أن (أورليان) الذي أسر زنوبيا قد تم أســره من قبل (سابور) واقتاده مع عدد من العلماء والأطباء والأسرى وأسس مدينة جنديسابور في الجنوب الغربي لبلاد فارس. وحازت تلك المدينة شـهرة واسعة لما اسـتحدثته من نظام التدريس وتدريب الأطباء قبل أن ينتشروا في البقاع المجاورة لممارسة الطب.

وكما ذكرت سابقاً فإن ممارسة الطب قبل الإسلام وحتى في صدر الإسلام لم تكن مبنية على أســس علمية راســخة، بل كانت تعتمد علــى المعارف المتوارثة وبعض التجارب الشخصية المتراكمة عبر الأجيال.

فكانوا يعتقدون أن لبعض الأشياء تأثيراً عجيباً في شفاء المرضى، فمثلاً كانوا يعتقــدون أن (العُقرة) وهي خرزة تشــدها المرأة علــى خاصرتها تمنع الحمل، و(الوجيهة) وهي خــرزة حمراء كالعقيق تقي مــن بعض الأمراض، و(التميمة) وهي خرزة رقطــاء يجعل فيها خيط وتعلق في العنق تشــفي من الصرع، و(النُشرة) وهي أن يكتب في إناء ماء (طاسة مثلاً) بعض التعاويذ ثم يشرب المريض الماء المســكوب فيها فإنه يشفى الســقيم والمعيون. ولسوء الحظ فلا تزال بعض هذه المعتقدات تمارس حتــى وقتنا هذا، فلا نزال نرى بعض المحال التجارية تعرض قطعة من الزجاج الملون بالأزرق على شــكل عين إنســان تعلق على أحد جدران البيت لطرد الأرواح الشــريرة، كما نرى

ما يسمى بـ (الخمسة والخميسة) وهي قطعة معدنية وقد تكون من الذهب على شكل كف اليد تعلق إما في رقبة الوليد أو الطفل أو إن كانت كبيرة على جدار البيت لطرد العين الحسود.. وهي كما نرى لا تخرج عن كونها خزعبلات نبذها الإسلام بل حرّمها وحرم الاعتقاد بها...

ومع ذلك فلا بد من الإشارة إلى أنهم استعملوا العسل لطلاء الجروح أو لمعالجة الأمراض المَعِدية والمعوية، كما استعملوا بعض الحشائش والأعشاب التي تنبت في صحرائهم المترامية الأطراف انطلاقاً مما ورثوه عن سابقيهم. كما استعمل بعض المتطببين الفصد والحجامة للتخفيف من الصداع، ولتخفيف الاحتقان لجؤوا إلى تعليق العلق Leaches لكي تمتص كمية من الدم ولإنقاص ضغط الدم المرتفع... وقد يلجأ المتطبب إلى الكيّ لمعالجة أمراض المفاصل..

ومن أبرز ما مورس في الصحراء أن تلِدَ المرأة وليدها وهي في الحقل كما تفعل بعض الحيوانات الأليفة كالخيل والغنم والإبل وغيرها، مما أوجب ظهور اختصاص في التوليد كانت تقوم به بعض السيدات اللواتي اكتسبن الخبرة على مر الزمن، من الطبيعي أن تكون نسبة وفيات الأطفال الحديثي الولادة عالية نسبياً نظراً لفقد العناية والرعاية اللازمتين لتجنيب الوليد التعرض للإنتانات المعوية وسوء التغذية والتجفف، إضافة إلى ما قد تتعرض له الأم من إنتانات في المجاري التناسلية أو خراجات في الأثداء قد تودي بحياة الأم، ثم لا يلبث أن يعقبها وليدها بعد وقت قصير. وأما إن كتبت للوليد الحياة رغم الظروف السيئة القاسية فكان يختن وهو بعد صبيّ وذلك حسب التقاليد والعادات التي قد تكون موروثة عن اليهود القاطني في بعض مدن الجزيرة العربية. واشتهرت منهن أم عطية الأنصارية[١] التي مارست ختان الأطفال في

(١) هي نسيبة بنت الحارث الأنصارية، صحابية جليلة كانت ترافق النبي ﷺ في معظم غزواته =



عصر النبوة. وذكر في الأثر أن العرب استعملوا الخيوط المعدنية لربط الأسنان المتخلخلة، كما مارس بعضهم عمليات التجميل كوضع أنف من الفضة لمن جدع أنفه[(١)].

وكان جل اعتماد العربي في تشخيص الأمراض على تأمل سحنة المريض ولون عينيه وجس نبضه ثم التحري عن بوله وانطلاق بطنه ثم التوصل إلى تشخيص قد يكون قريباً من واقع المرض وتتم المعالجة حسبما يعرف المتطبب من موروثاته.

وقد خالط الطبِّ البدائيِّ كثيرٌ من المعتقدات والممارسات التي لا تعدو كونها محض خرافات وأوهام، إلا أنها مورست على نطاق واسع نظراً لندرة البدائل، ولما لها من تأثير نفسي على المريض، فقد ساد الاعتقاد بأن الرقى والتعاويذ بل وتعليق حذاء عتيق أو حدوة حصان على الباب تمنع الإصابة بالعين الحاسدة... إلى غير ذلك من الخرافات والخزعبلات.

وما إن جاء الإسلام حتى حارب الخرافات والبدع في كل الميادين، وبدأ الرسول ﷺ يرسي قواعد الطب الوقائي الذي يعتبر بحق المرحلة الأولى من مراحل العلاج، فمن المعلوم أن (درهم وقاية خير من قنطار علاج) فقد أوصى الرسول ﷺ أصحابه بغسل اليدين قبل تناول الطعام، والاستنجاء والاستبراء من النجاسة، وغسل مواضع التلوث، وبإزالة الشعر الزائد في الجسم مرة كل شهر على الأقل، وبالاغتسال من الحدث الأكبر (الجنابة)... وحتى لو لم يقع المرء في الجنابة فعليه أن يغتسل مرة في الأسبوع على الأقل (غسل الجمعة)

= لتداوي الجرحى المسلمين وتمرضهم وتحث المؤمنين على الجهاد ضد المشركين. السامرائي: ٢٠٦/١.

(١) السامرائي: ٢٠٦/١.

قبل الذهـاب إلى المسـجد، والتطيـب، ولبـس ما يليق بمقام المسـجد والمصلين، كما أمر الرسول ﷺ أصحابه بالسواك وورد عنه ﷺ قوله: «لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك قبل كل صلاة»[(١)]. كان الرسول ﷺ قد سـئل عن (النشـرة) فقال: «هو من عمل الشـيطان»[(٢)]، وذكر فـي الأثر أن عيسـى بن حمزة دخل على عبد الله بن حكيم «أبي معبد الجهني» يعوده وبه حمرة فقال له ألا تعلق تميمة، فأجابه أعوذ بالله... قال رسـول الله ﷺ: «من تعلق شيئاً وُكل اليه»[(٣)].

ومع أن الرسول ﷺ لم يكن طبيباً ولم يدّع قط معرفةً بالطب، إلا أنه كان يصف بعض الأدوية لبعض المرضى الذين يقصدونه.. ولعل ما أثبته ابن القيم الجوزية في كتابه (الطب النبوي)[(٤)] ما يثبت أن الرسـول ﷺ قد أرسى قواعد الطب الوقائي ووصف بعض ما خبرته الأعراب كابراً عن كابر...

والآن وبعد هذا العرض الموجز للمارسة الطبية التقليدية في مرحلة ما قبل الإسـلام أرى لزاماً عليّ أن أذكر بعض المتطببين المخضرمين الذين مارسوا الطبابة قبـل البعثة المحمدية وعاشـوا إلى ما بعد البعثـة، ومنهم من اعتنق الإسلام، ومنهم من بقي على دين آبائه وأجداده وامتدت الحياة ببعضهم حتى السـنين الأولى من الخلافة الأموية... وسوف أختصر سـيرتهم وإسهاماتهم بشكل غير مخلٍّ بما أنجزوه وساهموا به في صناعة الطب..

---

(١) رواه البخاري، والترمذي في كتاب الطهارة باب (ما جاء في السواك) وغيرهما.

(٢) اخرجه أبو داوود في سننه رقم ٣٨٨٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم ٢٠٧٣.

(٤) هناك عدة كتب بهذا العنوان مثل كتاب الحافظ ابي نعيم، ومختصر «النهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي» المنسـوب إلى أحمد بن محمد الذهبي وينسبه آخرون للسيوطي، وكتب أخرى غير هذه.. ومعظـم الأحاديث الواردة في هذه الكتـب تحث على الوقاية من الأمراض واختيار الأطعمة الشافية وآداب عيادة المرضى، ولزوم استشارة الأطباء.



١ ـ ابن أبي رمثة التميمي[(١)]

عاصر الرسول ﷺ وزاول أعمال اليد (الجراحة).

٢ ـ ابن حِذْيم[(٢)]

متطبب من تيم الرباب، اشتهر بالطب حتى قيل إنه أطب من الحارث بن كلدة الثقفي، وقد ضرب به المثل إذ قيل «أطب في الكي من ابن حذيم».

٣ ـ الحارث بن كلدة الثقفي[(٣)]

من بين ثقيف الذين استوطنوا الطائف، ويعتبر الطبيب العربي الأول، درس الطب في مدرسة جنديسابور، عاصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين الأربعة، والخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، كان بليغاً سديد الرأي مقنعاً في حجته... ولا أدل على ذلك من حواره مع كسرى أنو شروان عظيم الفرس (٥٣١ ـ ٥٧٩م) وروي عنه بعض الشعر الجيد والمشبع بالحكم.

٤ ـ النضر بن الحارث بن كلده الثقفي[(٤)]

وهو ابن خالة الرسول ﷺ إلا أنه كان من ألدّ أعدائه فكان كثير الحسد والأذى باللسان واليد وذلك ليحط من قدر الرسول ﷺ في قومه، وانتهت حياته بقتله بعد معركة بدر إذ كان بين الأسرى فأمر الرسول ﷺ علياً رضي الله عنه بضرب عنقه..

---

(١) أصيبعة / نجار: ٤٠٠/١، القفطي: تاريخ الحكماء ص٤٣٦، ابن جلجل: طبقات الاطباء والحكماء ص ٥٧، السامرائي: ٢١١/١، سزكين ٣١٥/٣، لوكليرك ٢٩/١.

(٢) السامرائي٢١٢/١/٢٣٣ ـ ٢٤٣، سزكين ٣١٣/٣.

(٣) أصيبعة / نجار: ٣٨٦/١ ـ ٣٩٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٦٢/٦، ابن جلجل: طبقات الاطباء والحكماء ص ٥٤، سزكين ٣١٣/٣ ـ ٣١٤، لوكليرك٢٦/١.

(٤) أصيبعة / نجار: ٣٩٥/١ ـ ٣٩٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٥٦/٦ ـ ٣٦٢، السامرائي ١: ٢٤٣/ ـ ٢٤٤، سزكين: ٣١٤/٣ ـ ٣١٥، لوكليرك: ٢٨/١ ـ ٢٩.



٥ ـ زينب طبيبة بني أود[١]

اشتهرت بين العرب بمداواتها آلام العين والجراحات وقال فيها أبو سماك الأسدي:

أمخترمي ريب المنون ولم أزر   طبيب بني أود على النأي زينبا..

٦ ـ الشفّاء بنت عبد الله القرشية[٢]

صحابية جليلة ذات عقل وفضل وعلم، مارست معالجة الأمراض الجلدية، تسلمت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (الحسبة) أي مراقبة الجودة في الأسواق ومراقبة التجار وأسعار المواد الغذائية.. وتوفيت سنة ٢٠هـ = ٦٤٠م.

٧ ـ رفيدة الأسلمية[٣]

صحابية جليلة رافقت الرسول ﷺ في معظم غزواته ترعى جرحى المسلمين وتضمد جراحهم وتمرضهم، وأقيمت لها خيمة في مسجد الرسول ﷺ ولذا فيمكن اعتبارها أول ممرضة، وخيمتها أول مستشفى في الإسلام.

٨ ـ ضماد بن ثعلبة الأزْدي[٤]

صحابي جليل وكان مقربًا من الرسول ﷺ قبل البعثة، وروي أنه قد طلب إليه المشركون أن يفحص الرسول ﷺ ليدحض رسالته على أنه غير سوي بنظرهم، فلما جاء الرسول ﷺ وكلمه أسلم على يديه.

---

(١) أصيبعة / نجار: ٤١٤/١، السامرائي: ٢١٢/١ و ٢٦٧.
(٢) السامرائي: ٢١٢/١. أصيبعة / نجار: ٣٤/١ و ٤١٤، لوكليرك: ٨٦/١.
(٣) السامرائي: ٢١٢/١. كحالة: ٣٨٦/١.
(٤) السامرائي: ٢١٢/١ ـ ٢١٣. طبقات بن سعد: ٢٤١/٤.

٩ ـ الحارث بن كعب[١]

متطبب، عاصر الرســول ﷺ وأبا بكر وعمر، وقيل إنه عالجه من الطعنة الغادرة التي أودت بحياته.

١٠ ـ أم عطية الأنصارية[٢]

هي نســيبة بنــت كعب بن عمرو بــن عوف وتكنــى (أم عمــارة). من الصحابيات اللواتي مارســن الختان بعلم النبي ﷺ وتلقت منه درساً في هذا الشأن. شاركت المسلمين في معركة أحد تسـعف وتضمد وترعى جرحاهم، توفيت في عهد أبي بكر الصديق (١١ ـ ١٣هـ = ٦٣٢ ـ ٦٣٤م).

١١ ـ زهير بن خبّاب الكلبي، والشمردل بن قبّاب الكعدي[٣]

متطببان مارسا الطبابة في عصر النبوة الأول... ولم يعلم عنهما غير ذلك.. وانما ذكرناهما لورود اسميهما في كتب الأعلام.

وبهذا فإننا نرى أن الطب في عصــر النبوة لم يتجاوز كونــه طباً تقليدياً اعتمد على التجربة والخبرة والموروث.. وقد أسهم رغم بدائيته في الوقاية من بعض الأمراض وفي علاج البعض الآخر.. كما ســاعد على إسعاف الجرحى الذين سقطوا في الغزوات والمعارك... وبطي هذه الصفحة نبدأ بفتح صفحة جديدة ألا وهي أطباء العصر الأموي...

* * *

(١) السامرائي: ٢١٣/١.

(٢) السامرائي ٢٠٦/١ ـ ٢١٣، عمر رضا كحالة: اعلام النساء ١٧١/٥.

(٣) السامرائي ٢١٣/١.

الباب الثالث

الطب والأطباء وبدء الترجمة في الخلافة الأموية



لم تحظ العلوم عامةً والطب خاصة بقدر كبير من اهتمامات الخلفاء الأمويين الأربعة عشر الذين تعاقبوا على حكم البلاد الإسلامية لمدة تسعين سنة (٤١ ـ ١٣٢هـ ـ ٦٦١ ـ ٧٥٠م) إذ كان الخلفاء مهتمين بالفتوحات ونشر دعوة التوحيد في كل ركن وصلت إليه سنابك خيولهم، حتى حكموا ما بين حدود الصين شرقاً وشواطئ المحيط الأطلسي غرباً وتردد الآذان في معظم أرجاء المعمورة المعروفة في تلك الأيام، ولولا خسارة المسلمين في موقعه (تور) بإسبانيا سنة ١١٤هـ = ٧٣٢م وموقعة طلس سنة ١٣٤هـ = ٧٥١م على حدود الصين لسمعت نداء الله أكبر يغطي رقعة أكبر بكثير مما وصل إليه الفاتحون المسلمون غير أنه ﴿... لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨). ومشيئة الله فوق كل مشيئة.

وأدى هذا التوسع إلى دخول أمم شتى في الإسلام، وإلى اختلاط المسلمين بالبلاد التي فتحوها وتزوجوا من سكانها، وتعلموا بعضاً من معارفهم وحرفهم، وعلّموا تلك الأقوام لغة القرآن وتعلموا لغاتهم... فكان هذا التلاقح الفكري حافزاً لبعض المسلمين ليقلدوا جيرانهم الجدد في مأكلهم ومشربهم وعلومهم وصناعاتهم... وانعكس هذا التوسع بشكل سلبي على الخلفاء والأمراء الذين مال بعضهم إلى حياة الترف واتباع الشهوات ولذائذ الدنيا وأحياناً محرّماتها فلم يكترثوا بالعلوم كما كان ينبغي عليهم أن يفعلوا، فكانوا يستقدمون الأطباء الأعاجم فيما إذا دعتهم الحاجة إلى ذلك..

غير أن هذا لم يمنع من ظهور بعض أبناء الخلفاء الذين لم يُغرِهم أسلوب العيش المترف، وأول بل أفضل مثال على ذلك الأمير خالد بن يزيد بن معاوية[١] الذي شرع بترجمة بعض الكتب اليونانية إلى اللغة العربية، وبذلك

(١) ابن النديم: ٣٥٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١٦٨/١، حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٢٥٤.

بدأ بعض المهتمين بالعلوم بالاطلاع على ما لــدى اليونانيين من معارف لم تخطر على بالهم من قبل. وموّل خالد بن يزيد أعمال الترجمة بسخاء وخاصة كتب الكيمياء والطب وبذل في سبيلها مبالغ لا يستهان بها... ثم تبعه بعد ذلك مروان بن الحكم الذي تبنى ترجمة (الكناش) لأهرن بن أعين الإسكندراني[(١)] وكان بحق أول نقــل للمعارف اليونانية إلــى اللغة العربية، ثــم أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بوضعه في متناول الأطباء والحكماء بعد نحو ثلاثين سنة أملاً أن يستفيد منه العامة والخاصة من الناس.

أما من عرف من أطباء العصر الأموي فكانوا قلة معدودة، وكان معظمهم من النصارى أو اليهــود ولولا علاقتهم بالخلفاء لمــا كان لهم ذكر في تاريخ الطب.. وأما من برز منهم في ممارســة الطب كابن الحكم الدمشقي الملقب بـ(مسيح) وتياذوق (طبيب الحجاج) فقد خلدتهما الكتب التي ألفوها.. وأما كونهم من النصارى فلإنهم يجيدون اللغة اليونانية والسريانية لاطلاعهم على الحضارات السابقة لاختلاطهم بروم بلاد الشام أو لأنهم قد درسوا في مدرسة جنديسابور أو في الأديرة. ولعل من أبرز الأطباء الذين لمع نجمهم في العصر الأموي أســرة (أبا الحكم الدمشــقي) الذي أنجب ابنه (الحكم الدمشــقي) وحفيده (ابن الحكم الدمشقي) الذي كان أغزرهم علماً وأفضلهم عملاً..

ولذا فسوف أذكر بعض الأطباء في العصر الأموي باختصار لا يغمطهم حقهم:

١ ـ أبو الحكم الدمشقي[(٢)]

عاصر الخليفة معاوين بن أبي سفيان (٤١ ـ ٦٠هـ = ٦٦١ ـ ٦٨٠م) وكان أثيراً

(١) أهرن بن أعين المصري الإسكندراني: ابن النديم ـ الفهرست ص ٤١٣، أصيبعة / نجار: ٣٨٤/١، السامرائي ٢٥٤/١.

(٢) أصيبعة / نجار: ٤٠٥/١ ـ ٤٠٦، البيهقي: تاريخ الحكماء ص ٤٠٤، السامرائي: ٢٥٨/١. لوكليرك: ٨٣/١.

لديه وطبيبه الخاص. عمر طويلاً حتى جاوز المئة سنة، فخدم كلاً من يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وحضر وفاته ٨٥هـ = ٧٠٥م، وابنه الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ = ٧١٥م)... ويحكى عنه أنه كان خبيراً بالسموم.

٢ ـ الحكم الدمشقي[(١)]

كان عالماً تتبع خُطا أبيه في العلوم الطبية، دمث الأخلاق، عُمِّر طويلاً وذكر ابنه عيسى بن الحكم أنه بلغ من العمر ١٠٥ سنين. توفي سنة ٢١٠هـ = ٨٠٥م في خلافة المأمون.

٣ ـ عيسى بن الحكم الدمشقي[(٢)] (ت ٢٢٥هـ = ٨٣٩م)

اشتهر باسم (مسيح) لكونه متديناً وبنزعة كهنوتية، قضى معظم حياته في أيام الدولة العباسية فخدم هارون الرشيد وتوفي حوالي ٢٢٥هـ = ٨٣٩م أيام حكم المعتصم بالله. له من الكتب:

أ ـ كتاب منافع الحيوان.

ب ـ الرسالة الكافية الهارونية، وتوجد مخطوطاتها في مكتبة باريس، وجامع الزيتونه، ورامبور، ومكتبة كامبردج والفاتيكان.

ج ـ رسالة في الأعشاب والعقاقير: مكتبة كتاني.

د ـ الكناش الياقوته: مكتبة حكيم حلب.. وهذا الكناش سبب شهرته لأن ابن البيطار أخذ عنه الشيء الكثير وضمنه كتابه (مفردات الأدوية).

---

(١) أصيبعة / نجار: ٤٠٦/١ ـ ٤٠٨، البيهقي: تاريخ الحكماء: ١٧٨ ـ ١٧٩، السامرائي: ٢٥٨/١ ـ ٢٥٩. لوكليرك: ٨٣/١ ـ ٨٤.

(٢) أصيبعة / نجار: ٤٠٨/١ ـ ٤١٠، ابن النديم: ٥٥٣، البيهقي: تاريخ الحكماء: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، السامرائي: ٢٥٩/١ ـ ٢٦٠، سزكين: ٣١٦/٣. لوكليرك: ٨٤/١ ـ ٨٦.



٤ ـ ابن أثال[١]

درس في جنديسابور ثم دخل في خدمة معاوية بن أبي سفيان في دمشق... له اطلاع واسع في أمور السموم فاصطفاه معاوية لنفسه وقربه اليه واستغله في التخلص من كثير من الأمراء وغير المرغوب بهم.

٥ ـ تياذوق[٢]

يذكر سزكين أن اسمه Theodokos، فرّغ نفسه لخدمة الأمويين وخاصة الحجاج بن يوسف الثقفي فكان طبيبه الخاص والأثير لديه. سليط اللسان، كريم الخلق لطيف المعشر. أما علمه فقد كان مقتصراً على الوسائل الطبية كالتمسيد، والحجامات، والفصد، واستفراغ البدن بالمقيئات والمسهلات، مع أنه كان ملماً باللغة اليونانية واطلع على معظم كتب اليونان القديمة. له من الكتب:

آ ـ الكناش: وهو أضخم كتبه وضعه لابنه، يعتبر كتاباً حاوياً وجامعاً لمعظم الأمراض المعروفة في وقته.

ب ـ قصيدة في حفظ الصحة: وتوجد مخطوطتها في شيراز بإيران.

ج ـ كتاب أبدال الأدوية وكيفية دقها وإذابتها.

د ـ الفصول في الطب

توفي بمدينة واسط (مدينة بين الكوفة والبصرة والأحواز) حوالي سنة ٩٠هـ = ٧١٣م).

---

(١) أصيبعة / نجار: ٤٠١/١ ـ ٤٠٥، السامرائي: ٢٦٠/١، سزكين ٣١٥/٣ ـ ٣١٦. لوكليرك: ٨٦/١.

(٢) أصيبعة / نجار: ٤١٠/١ ـ ٤١٤، ابن النديم ٥٦٤، القفطي ص ١٥، سزكين ٣١٩/٣ ـ ٣٢٠، السامرائي ٢٦٠/١ ـ ٢٦٣. لوكليرك: ٨٢/١ ـ ٨٣.



٦ ـ فرات بن شحناتا[١]

يهودي من أبرز تلاميذ تياذوق وأقربهم إليه، وقد خدم الحجاج بعد وفاة أستاذه، وعاش حتى خلافة أبي جعفر المنصور.

٧ ـ ماسرجويه البصري[٢]:

ويسمى أيضاً (ماسرجيس) يهودي من أصل إيراني، درس الطب في جنديسابور ثم انتقل إلى البصرة، يجيد اللغة السريانية إضافة للعربية. وهو الذي ترجم كناش أهرن بن أعين المصري الإسكندراني إلى اللغة العربية. له من الكتب:

أ ـ كناش اقتبس منه الرازي معظم ما كتبه في الحاوي وكان يشير إليه بـ (اليهودي).

ب ـ كتاب أبدال الأدوية وما يقوم مقامها وتوجد نسخة منه في (أياصوفيا) باسطنبول.

٨ ـ عبد الملك بن أبجر الكناني[٣]:

طبيب نصراني كان يعلم الطب في مدرسة الإسكندرية، كان صديقاً للأمير عمر بن عبد العزيز قبل أن يصبح خليفة، ولما ارتقى سدة الحكم استدعى اليه صديقه وطبيبه ابن أبجر الكناني وعينه في أنطاكية ليمارس الطب ويدرسه للطلاب هناك، وقد أسلم على يد الخليفة.. وكان له من الحكم المأثورة الشيء الكثير.

* * *

(١) القفطي: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، السامرائي ٢٦٣/١ ـ ٢٦٤.

(٢) أصيبعة / نجار: اليهودي: ١٣٣/٢، ابن النديم: ٥٥٤، القفطي: ٣٢٤ ـ ٣٢٦، سزكين: ٣٤٠/٣ ـ ٣٤١، السامرائي ٢٦٤/١ ـ ٢٦٥. لوكليرك: ٧٧/١ ـ ٨١.

(٣) أصيبعة / نجار: ٤٠٠/١ ـ ٤٠١، السامرائي: ٣٦٥/١ ـ ٢٦٧، سزكين: ٢١٦/٣ ـ ٢١٧. ابن جلجل: ٥٩.



الباب الرابع

الطب والأطباء والمترجمون في العصر العباسي

الفصل الأول: انتقال العلوم اليونانية إلى العرب

الفصل الثاني: الترجمة والمترجمون في بغداد



قبل أن أخوض في غمار هذا البحر اللجيّ، بحر التقدم العلمي الهائل في العصر العباسي أرى لزاماً عليّ أن أعطي القارئ الكريم موجزاً عن الوضع السياسي والتاريخي للخلافة العباسية منذ نشأتها عام ١٣٢هـ = ٧٤٩م وحتى انهيارها وزوالها عام ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م على يد هولاكو... إذ إن هذه الأحداث السياسية لعبت دوراً كبيراً بل خطيراً في نشوء وارتقاء ثم انهيار الخلافة العباسية وما أسّست من حضارة، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤).

ما إن تم القضاء على آخر خلفاء بني أمية في دمشق مروان بن محمد عام ١٣٢هـ = ٧٤٩م حتى دالت دولة الامويين في دمشق، ونودي بالبيعة لعبد الله أبي العباس الذي أطلق على نفسه لقب (القائم بأمر الله) واشتهر باسم (السفاح) لما أراقه من دماء بني أمية ومن والاهم ومن عاضدهم... ولم ينج من تلك المذابح إلا الأمير عبد الرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي فرّ بأعجوبة والتجأ إلى أخواله البربر في المغرب العربي متخفياً يقطع الفيافي والصحارى ليلاً كيلا يحظى به جنود (أبي العباس السفاح)... وقد منَّ الله على هذا الأمير الشاب فدخل الأندلس وأسس الخلافة الأموية هناك ونودي به خليفة للمسلمين (وهو عبد الرحمٰن الداخل).

وفي عام ١٤٥هـ = ٧٦٢م توفي (أبو العباس السفاح) ليتقلد الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور... الذي كان أقل منه بطشًا بل كان حكيماً وسياسياً بارعاً ومحباً للعلم ورفيقاً بالعلماء.. فبنى مدينة بغداد على أنقاض قرية بابلية قديمة

كانت تسمى (باغ داود)[1] فنقل العاصمة من (الهاشمية) قرب الأنبار إلى المدينة الحديثة بغداد وأسس فيها (بيت الحكمة)... واستقدم إليه الطبيب النسطوري[2] (جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي) من بيمارستان جنديسابور ببلاد فارس.

ثم انتقلت الخلافة عام ١٧٠هـ = ٧٨٦م إلى هارون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، الذي ورث إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من جنوب الصين شرقاً إلى شواطئ المحيط الآطلسي غرباً... ويحكى عنه أنه رأى سحابة في سماء بغداد فقال لها (أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك..). وتميزت فترة خلافته بنهضة علمية مبهرة، توّجها جَلْبُهُ معملاً للورق من سمرقند ليحل محل صفائح البردي وجلود الماعز التي كانت تستعمل للكتابة عليها ونسخ الكتب، وبذلك انتشرت مهنة الوراقين في بغداد حتى غدا لهم سوق خاص بهم يقومون فيه بنسخ الكتب وبيعها أو مبادلتها... ومن الأحداث المهمة في عصر هارون الرشيد قضاؤه على البرامكة الذين استخدمهم أبو العباس السفاح في بداية حكمه بعد أن جاء بهم من بلخ في خراسان ونصب رأس الأسرة خالد بن برمك وزيراً لخزانة الخلافة.. إلا أن الرشيد لمس فيهم نزعة السيطرة والمنافسة والتدخل في شؤون الدولة فقضى عليهم بمذبحة مشهورة في التاريخ لن أدخل في تفاصيلها.. ونظراً لما للرشيد من قوة ولدولته

---

(١) السامرائي: ٢٧٦/١.

(٢) نسطوري: من النساطرة: وهم عرب سوريون اتبعوا مذهب (نسطوريوس) بطريرك القسطنطينيّة نحو ٤٥٠م الذي انشق عن الكنيسة لاختلاف في وجهات النظر في وضع السيد المسيح عليه السلام... وسمي من بقي من النصارى (باليعاقبة ـ الملكيين)... وقد حارب الإمبراطور (زينون) النساطرة وتتبعهم بغية استئصالهم لإيمانه بأنهم (خارجون عن الدين)... غير أن البطريرك (نسطوريوس) هرب متخفياً ووصل (الرها) في شمالى الجزيرة الشامية، ثم انتشر أتباعه في بلاد فارس حيث أسسوا مدينة جنديسابور.

من سطوة على من حولها من الدول فقد آثر الإمبراطور الروماني (شارلمان (٧٤٢ ـ ٨٠٤م) أن يصادق الخليفة تجنبًا للمجابهة المحتومة النتائج.. ووصل به الأمر إلى درجة أن طلب من الرشيد أن يرسل إليه طبيبه الخاص لمعالجته من مرض ألم به..

ولكن (لكل شيء إذا ما تم نقصان..) فإن اتساع رقعة الخلافة قد أدى إلى حدوث بعض الثغرات الإدارية فيها... فمثلاً قام إدريس بن عبد الله (أحد أحفاد الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه) بثورة في الحجاز عام ١٧٢هـ ـ ٧٨٨م وهرب مع أتباعه إلى المغرب ليؤسس فيها دولة الأدارسة... كما برزت إمارة الأغالبة في تونس عام ١٨٥هـ = ٨٠١م التي كان على رأسها إبراهيم بن الأغلب الذي أمّره الرشيد على تونس لتكون في مواجهة مباشرة مع دولة الأدارسة..

ولم يمض وقت طويل حتى تسلم الخلافة المأمون بن هارون الرشيد بعد أن انتزعها من أخيه (الأمين) عام ١٩٨هـ = ٨١٣م وكان كأبيه شغوفاً بالعلم ومحباً للعلماء فكان له مجلس كل يوم ثلاثاء يدعو إليه الشعراء والأطباء والعشابيين والأدباء والفلكيين فيطارحهم الشعر ويناظرهم في الأدب والعقائد ويناقشهم في الطب.. والأهم من ذلك أنه كان يشجعهم على ترجمة المخطوطات اليونانية التي كان يجيء بها من أرجاء إمبراطوريته المترامية الأطراف، ويودعها في (بيت الحكمة)، وفي عهده غدت بغداد قبلة العلم والعلماء والمتعلمين، ولما كان الكمال لله وحده فلا بد من نقيصة أو أكثر تفسد عصره وخلافته فقد تبنى آراء (المعتزلة)[1] وتمسك بقوة بفكرة خلق

(١) مذهب الاعتزال: مذهب أسسه واصل بن عطاء الذي (اعتزل) مجلس الحسن البصري لاختلاف الرأي... فقد اعتمد واصل بن عطاء المنطق والعقل في النقاش والحوار وحل القضايا الفكرية وآثره على النقل والالتزام الحرفي بالنص..

ومن أبرز أتباع (هذا المذهب) الصاحب بن عباد والجاحظ والزمخشري.

القرآن. مما أثار حفيظة بعض من خالفوه الرأي فثار بعضهم في وجهه ونقض بيعته واســتقل بإدارة إمارته عن الخلافة في بغداد فقام طاهر بن الحسين عام ٢٠٤هـ = ٨١٩م بالاحتفاظ بخراج فارس.. وتبعه الصفاريون أتباع (يعقوب بن الليص الصفاري) الذي قضى على الدولة الطاهرية واستقل بفارس وأفغانستان وحكم ما بين (٢٤٨ ـ ٢٩٠هـ = ٨٦٣ ـ ٩٠٥م) إلــى أن هزمه الخليفة المعتمد وانقرضت دولتهم ليحل محلها السامانيون (أسرة نصر بن سامان) الذين استمر حكمهم حتــى ٣٨٩هـ = ٩٩٩م إذ اندحروا أمام قــوات الغزنويين الذين امتد سلطانهم حتى البنجاب في الهند...[(١)]

وبهذا نرى أن الموارد المالية لمركز الخلافة في بغداد بدأت تتناقص نتيجة لتقلص رقعة الأراضي التي يسيطر عليها الخليفة فعلياً وتدفع خراجها إلى بيت مال المسلمين... وبذلك شحَّت الموارد الاقتصادية والبشرية وتبعتها الموارد الفكرية التي كانت ترفد مركز الخلافة بالمال والعلم والعلماء..

وبعد وفاة المأمون انتقلت الخلافة إلــى أخيه المعتصم بالله الذي حكم بين ٢١٨ ـ ٢٢٧هـ = ٨٣٣ ـ ٨٤٢ وابتنى مدينة ســامراء (سر من رأى) شمال بغداد فكانــت العاصمة العباســية الثالثة حتى عــام ٢٧٩هـ = ٨٩٢م إذ قرر الخليفة المعتمد على الله ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ = ٨٧٠ ـ ٨٩٢م) إعادة مقر الخلافة إلى بغداد... ومن أهــم أحداث تلك الفترة أنــه بدأ فيها انهيــار الخلافة، وفَقَد الخليفة بعد ذلك مكانته وســيطرته، فقــد تدخل الترك الذين اســتقدمهم المعتصم لحماية عرشه، بشكل سافر في الشؤون الإدارية للدولة حتى إنهم قتلوا الخليفة المتوكل عام ٢٤٧هـ = ٨٦١م وبدأ منذئذٍ تآكل هيبة الخليفة فلم يبق له إلا الإمامة والرئاســة الدينية، وراح بعض أمراء المناطق بالاستقلال الإداري والمالي عن بغــداد والخليفة القابع فيها دون حــول أو قوة، وبدأ

---

(١) السامرائي ٢٧٩/١ ـ ٢٨٠.

أحمد بن طولون عامل الخليفة المعتز بتأسـيس الدولة الطولونية في مصر التي دامت حتى ٢٩٣هـ = ٩٠٥م.

وقامت ثورة الزنج في البصرة بقيادة علي بن محمد، واستمرت أربعة عشر عاماً خلال حكم المعتمد على الله ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ = ٨٧٠ ـ ٨٩٢م ولم تنته إلا بعد أن أخمدها إلى الأبد الأمير أحمـد الموفق أخو الخليفة عام ٢٧٠هـ = ٨٨٣م. واستمر مسلسل الانهيار بل تزايدت وتيرته فاستولى حسين بن حمدان التغلبي على الموصل، وأسس فيها الدولة الحمدانية التي كان من أشهر حكامها سيف الدولة الحمداني الذي اتخذ من حلب عاصمة له، وكان شـديد الحب للعلم والشـعر، وكان من أخلص جلسـائه أبو الطيب المتنبي الشـاعر الأشهر في التاريخ العربي..

ثم ظهر تآكل آخر في خلافة المقتدر بالله إذ جاءت ضربة شـديدة الوطأة على الخلافة، وذلك حين تأسسـت الدولة الفاطمية في تونس ثم توسـعت رقعتها حتى شملت مصر والسودان ومعظم أقطار شمال إفريقية، واستمرت في استعصائها على الخلافة في بغداد حتى انقراضها سنة ٥٦٧هـ = ١١٨٠م.

ثم تلتهـا ضربة قاصمة أخرى فـي عهد المطيـع لله ٣٦٤هـ = ٩٧٤م إذ دخلت قوات البويهيين يقودهـم أميرهم عضد الدولة البويهي أبو شـجاع فناخسـرو الديلمي مدينة بغداد وكان ذكيـاً، فطناً، شـجاعاً وادارياً حازماً، وأسس البيمارستان العضدي في بغداد الذي يعتبر أول مستشفى في التاريخ الإسـلامي. وبنى أحد أحفاده (بهاء الدولة البويهـي) (دار علم) في جانب الكرخ ببغداد جمع فيها ما يزيد على عشرة آلاف كتاب من مختلف أصناف العلوم والمعارف.

واستمر حكم البويهيين إلى أن قضى السلاجقة عليهم خلال حكم القائم بأمـر الله ٤٢٣ ـ ٤٦٨هـ = ١٠٣١ ـ ١٠٧٥م).. ولم يمض على حكم السـلاجقة

طويل وقت حتى اندلعت الحروب الصليبية عام ٤٩٠هـ = ١٠٩٦م التي استمرت قرابة مئتي عام اســتنزفت خلالها الخلافة والخلفــاء والإمارة والأمراء، حتى قضى عليها صلاح الدين الايوبي واســتعاد القدس من أيديهم عام ٦٧١هـ = ١٢٧٢م.. وكأن الخلافة لم تكتف بما أثقــل كاهلها من مقارعة الصليبيين، فقد كانت إضافة إلى ذلك تخضع بشكل مستمر إلى تهديدات جنكيزخان المتكررة باحتلال بغــداد إلى أن تم له ذلــك على يد هولاكو الــذي فتحها في خلافة المستعصم بالله عام ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م، وشنع في أهلها أيما تشنيع وخرّب ودمر كل ما كان قد بني منذ نشــوء الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ = ٧٤٩م أي خمسة قرون... ولكن هذه ســنة الله في خلقه فالدول والحضارات كما الإنسان يولد صغيراً، ويشب ثم يصل إلى الكهولة ثم الشــيخوخة والضعف وأخيراً النهاية الحتمية الموت! قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤). كمــا قال تعالــى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

وهكذا نرى أن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) قد اتسم بتهميش الخليفة في بغداد، فلم يعد له من سلطان سوى ما يأمر به في مقره على خدامه ومواليه وبعض الأوامــر الصورية التي كان يصدرها كمنــح الرتب والألقاب للحكام الحقيقيين من الفرس والترك والديلم، وأصبح في العالم الإســلامي ثلاث خلافات وثلاثة خلفاء في آن واحد. فخلافة عباسية وخليفة عباسي في بغداد، وخلافة أموية وخليفة أموي في قرطبة، وخلافة فاطمية وخليفة فاطمي في إفريقية.. ورحم الله أبو البقاء الرّندي إذ قال:

لكلِّ شــيءٍ إذا ما تــمَّ نقصانُ   فلا يغرَّ بطيبِ العيشِ إنســانُ

وهذه الــدار لا تُبقي على أحدٍ   ولا يدومُ على حالٍ لها شــانُ.

الفصل الأول

انتقال العلوم اليونانية إلى العرب

ولمعرفة كيف انتقلت العلوم اليونانية إلى العرب والمسلمين فلا بد أن نعود بالذاكرة إلى بدء احتكاك العرب بدول الجوار كالفرس والروم مثلاً.. فلنذكر أن الحارث بن كلدة الثقفي قد سافر من موطنه الطائف إلى جنديسابور وتلقى العلوم الطبية هناك وعاد ليمارسها في مكة، ولما كانت جنديسابور تعتمد اللغة اليونانية في تدريس العلوم فإن الحارث، أول من احتكّ باليونانيين وتعلم لغتهم بل وأجادها.. وتبعه بعد ذلك أبو الحكم الدمشقي وابن أثال وغيرهم الكثير.

وقد لعب الموقع الجغرافي لسورية دوراً كبيراً في التلاقح الفكري والحضاري والعلمي بين الفرس واليونانيين والعرب إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية بزمن ليس بقصير. ويذكر أن عبد الملك بن أبجر الكناني قد تعلم ثم علّم في مدرسة الإسكندرية اليونانية، ونقل كمّاً لا بأس به من الكتب إلى إنطاكية حيث أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ = ٧١٧ ـ ٧٢٠م) أن يدرِّس العلوم الطبية فيها. وكما ذكرنا آنفاً فإن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ = ٧٠٤م) قد درس الكيمياء على يد الأساتذة الرومانيين، ويلاحظ أن هذه المحاولات أو الاحتكاكات الحضارية كانت فردية وغير منظمة بمنهج معين.. أما الاحتكاك الجدي والمثمر فكان عن طريق مدرسة جنديسابور (جنوب بلاد فارس على الحدود مع جنوب العراق) والتي كان الفضل الأكبر في حفظ العلوم والثقافة اليونانية يعود إلى النساطرة الناطقين باللغة السريانية...

ولم يشذ هذا الانتقال الثقافي عن النواميس الطبيعية للكون... فهناك دول تدول ثم تزول ليظهر من يخلفها ويحمل مشعل العلم... وهكذا نرى أن العلوم التي انتقلت من بلاد ما بين النهرين إلى اليونان قبل الميلاد بأكثر من ستة قرون قد عادت إلى حضن الأم الرؤوم في العهد العباسي بعد نحو اثني عشر قرناً..

ولا بد أن نذكر المحطات التي مرت بها تلك العلوم:

١ ـ من أثينا إلى الإسكندرية:

ما إن غزا الإسكندر المقدوني في نهاية القرن الرابع ق.م بلاد المشرق حتى غطت اللغة والثقافة والعلوم اليونانية معظم بل كل البلاد التي وصل إليها الغازي بجيوشه وتحت سنابك خيوله، ولم يتوقف الانتشار بموته عام ٣٢٣ ق.م بل ازداد فضول الشعوب المستعمرة من قبل جيوشه وراحوا ينبشون في الكنوز المعرفية اليونانية بكل شغف.. إلا أن الاضطهاد الذي وقع على أتباعه وأشياعه حدا بمعظم العلماء والمثقفين اليونانيين إلى الهرب خارج بلادهم حفاظاً على أرواحهم، وحطّ قسم كبير منهم رحاله في الإسكندرية على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط حتى غدت منافسة عنيدة لأثينا لا بل تفوقت عليها لا سيما أيام البطالسة (تلاميذ بطليموس) في القرون الثلاثة قبل الميلاد، ونشأت من هذا التمازج الفكري بين العلماء اليونانيين والمشرقيين ثقافة جديدة لا هي باليونانية الصرفة ولا هي بالمشرقية الصافية بل هي مزيج متجانس منهما معاً وسميت بـ(الثقافة الهيلينستية)، ونظراً لتقدم العلوم الطبية عند اليونانيين فقد نحا معظم المثقفين في العصر الهيلينستي منحى الطب اليوناني... وتربعت الإسكندرية على عرش الفكر والثقافة العالميين إلى أن غزاها القياصرة الروم واستولوا

عليها عام ٣٠م وفقد البطالسة مكانتهم العلمية وانتقل قسم منهم قسراً إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الجديدة. وانتقل مركز الثقل الثقافي والعلمي إلى مدن بلاد الشام.

٢ ـ الانتقال من الإسكندرية إلى بلاد الشام:

تزامن ازدهار مدينة الإسكندرية في شمال إفريقية مع وجود ثلاث مدن حضارية وثقافية في بلاد الشام وهي الرُّها[(١)] ونصيبين[(٢)] وانطاكية[(٣)]، وترسخت مكانة هذه المدن العلمية بشكل كبير في منتصف القرن الخامس الميلادي إثر الخلافات المذهبية بين أتباع الدين المسيحي، فهاجر عدد من علماء الإسكندرية ممن كانوا يتبعون المذهب النسطوري إلى الرها ونصيبين خاصة هرباً من بطش الإمبراطور البيزنطي (زينون) الذي كان يتبع مذهب اليعاقبة..

ومع الفتح الإسلامي لشمال إفريقية استعاد بعض العلماء مكانتهم في تلك الأصقاع، وقد حظي هؤلاء العلماء والأطباء منهم خاصة برعاية الخلفاء فقربوهم إليهم وأغدقوا عليهم العطايا والهبات، حتى إن الخليفة مروان الثاني (ت ١٣٢هـ = ٧٥٠م) أمر بنقل مدرسة الطب من انطاكية إلى حرّان[(٤)] التي كان يفضلها على دمشق لتكون عاصمة الخلافة..

---

(١) الرُّها: مدينة في الجزيرة الشامية تقع على الطريق بين الموصل وحلب (بلاد الشام) هاجر إليها الأطباء النسطوريون من انطاكيا هرباً من اضطهاد الإمبراطور الروماني واسسوا فيها مدرسة طبية كانت من أشهر المدارس الطبية. أصيبعة / نجار: ٤٣/١.

(٢) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة الشامية على طريق القوافل من موصل إلى الشام. أصيبعة / نجار: ٣١٠/١، ياقوت الحموي: معجم البلدان٢٨٨/٥.

(٣) انطاكية: مدينة تقع في لواء اسكندرون الذي سُلِخ عن سوريا وأُلحق بتركيا الأتاتوركية عام ١٩٢٩، وتقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.. هواؤها عليل وماءها عذب. (المؤلف).

(٤) حران: مدينة تقع في الجزيرة الشامية. أصيبعة / نجار: ٣٢٧/٥.



٣ ـ الانتقال من بلاد الشام إلى جنديسابور[١]:

لم يكن انتقال العلوم اليونانية إلى بلاد فارس بشكل آني وفوري وإنما مرّ بمراحل عدة يمكن تقسيمها لتسهيل المتابعة إلى ثلاثة مراحل:

أ ـ مرحلة دخول الإسكندر المقدوني إلى بلاد فارس نحو ٣٣١ ق.م.

ب ـ مرحلة دخول الأسـرى بلاد فارس بعد أن ربح سابور ملك الفرس معركة الرُّها ضد (ڤاليريان) الإمبراطور الروماني عام ٢٦٦م.

ج ـ مرحلة هجرة العلماء النسطوريين فراراً من ظلم واضطهاد الإمبراطور الروماني (جستانيان) وإغلاقه مدرسـة الرها عام ٤٨٩م. ويضاف إليها العلماء اليونان (النسطوريون) الذين أسرهم كسرى أنوشروان عام ٥٣٨م.

٤ ـ الانتقال من جنديسابور إلى بغداد:

ذكرنا سابقاً أن الخليفة أبا جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ = ٧٥٩ ـ ٧٨٥م) استقدم الطبيب جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي ليطببه من مرض ألّم به، وكان له كناش يعتبر موسوعة طبية آنذاك... ثم أغراه الخليفة بالمال والضياع والهدايا فبقـي إلى جانـب الخليفة، ومـا إن علم الأطباء النسـطوريون في جنديسابور بالمكانة التي أحرزها معلمهم حتى بدؤا يتوافدون على بغداد طمعاً بنيل ما ناله معلمهم من مكانـة وحظوة، وجلبوا معهم كنـوز العلم اليونانية والهندية والفارسية..

---

(١) جنديسابور: مدينة في الجزء الجنوبي الغربي من إيران حالياً. بناها الملك الساساني (سابور) وأنشأ فيها مدينة طبية اشتهرت بأسـاتذتها النساطرة الذين هربوا من انطاكية حوالي النصف الثاني مـن القرن الخامس... وترجمـوا ما نقلوه معهم من كنوز الثقافـة اليونانية إلى اللغة السريانية. وافتتحها المسلمون عام ١٩هـ = ٦٤٤م. أصيبعة / نجار ٤٣/١.

ومن المعلوم أن حنين بن إسحق العبادي قد ترجم كناش جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع إلى العربية، ويعتبر هذا أول كتاب يترجم من السريانية إلى العربية[١].

ثم بدأ بعد ذلك العصر الذهبي لبغداد حيث بُنيَ (بيت الحكمة) واتسع حتى غدا منارة العلم والترجمة لا سيما في عهد الخليفة المأمون، ولعبت ترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية والسريانية إلى اللغة العربية دوراً أساسياً في التطور والتقدم العلمي والثقافي لدى العرب..

ولذا فسوف أفرد الفصل القادم لذكر أشهر المترجمين الذين شغلوا هذا المنصب في بيت الحكمة...

* * *

(١) أصيبعة / نجار: ٢/٧ ـ ١٥، السامرائي ٢٩٤/١.





الفصل الثاني

الترجمة والمترجمون في بغداد(١)

كان للمترجمين في العصر العباسي دور محوري في بناء الجسر الحضاري والثقافي بين الحضارات التي بادت أو كادت أن تبيد كالحضارة اليونانية والفارسية والهندية وبين الحضارة اللاتينية في بداية عصر النهضة Renaissance... فلولا هذا الجسر لخسرت الإنسانية كنوز الحضارات القديمة إلى الأبد، ولتأخر عصر النهضة فترة قد تمتد لسنوات أو عقود أو قرون... وقد قال إمام المؤرخين في طب العيون يوليوس هيرشبرغ في مقدمة الجزء الثاني من موسوعته الفريدة: أن «أما بالنسبة لتاريخ الطب فعلينا أن نهتم أولاً وقبل كل شيء بما قام به العرب، فقد حافظوا على العلوم الإغريقية (اليونانية) وذلك بترجمتها إلى اللغة العربية، ثم قاموا بتعديل تلك العلوم وتمثّلها وتعزيز المعلومات الواردة فيها بما أثبتته تجاربهم وخبراتهم، ثم قدموها إلى الدول الأوروبية، حيث تمت ترجمة معظمها إلى اللغة اللاتينية مما حفز رغبة الأوروبيين للبحث عن الأصول اليونانية لتلك الكتب... وبهذه الطريقة تم شق الطريق إلى عصر النهضة في أوروبا»(٢).

ذكرنا سابقاً أن معظم الأطباء والمثقفين النسطوريين الذين يتكلمون اللغة السريانية قد هربوا من اضطهاد وظلم وعسف الإمبراطور الروماني (جستنيان)

---

(١) أصيبعة / نجار: ٤٣/١.

(٢) هيرشبرغ: ١٢/١.

الذي أغلق مدرسة الرها عام ٤٨٩م، واستقر معظمهم إن لم يكن جميعهم في مدينة جنديسابور في الجنوب الغربي من إيران اليوم. كما ذكرنا أن جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع قد حضر إلى بغداد لمعالجة الخليفة أبي جعفر المنصور الذي تمكن من إغرائه بالمال والمنصب واستبقاه في حضرته، وما إن اطلع الخليفة على ما يحمله معه جورجيوس من كتب قيمة (طبية أو علاجية) حتى شجعه على ترجمة بعضها من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية..

ولم يسبق جورجيوس في الترجمة إلا عبدالله بن المقفع الذي ترجم كتاب (كليلة ودمنة) من اللغة الفهلوية (إحدى لغات الهند القديمة) إلى اللغة العربية[1]... هذا بالنسبة للكتب الأدبية، أما الكتب الطبية فقد ذكرنا أن سرجيوس الرأسعيني (ت ٥٣٦م) كان أول من بدأ بترجمة الكتب اليونانية إلى السريانية[2].. وزيادة في إغراء جورجيوس بن جبرائيل فقد أمر الخليفة ببناء (بيت الحكمة) وجمع فيه كل ما كان يمكنه جمعه من الكتب اليونانية والفارسية والهندية... وسار على نهجه كلٌّ من خلفائه هارون الرشيد والمأمون والمتوكل على الله... وعرف عنهم أنهم كانوا يشترطون على زعماء المدن التي يدخلونها فاتحين أن يحصلوا على ما فيها من كتب، وبلغ الأمر حدَّ أن أصبح حكام الدول المتاخمة لأقطار الخلافة العباسية يتقربون إلى الخلفاء بهداياهم من نفائس الكتب تجنباً للدخول في معارك حربية محسومة مسبقاً لصالح هؤلاء الخلفاء..

---

(١) عبدالله بن المقفع: أديب ومؤلف عربي من أصل فارسي وبدأ حركة الترجمة للكتب الأدبية، غير أن الخليفة المنصور قتله عام ١٤٥هـ = ٧٦١م. (أصيبعة ٨/٣).

(٢) يعتبر سرجيوس الرأسعيني أول من بدأ عصر الترجمة قبل البعثة المحمدية بحوالي نصف قرن وبدأ بترجمة مؤلفات جالينوس.. وبقيت تلك الترجمات المرجع الأهم للدارسين إلى أن جاء حنين بن إسحق بعد نحو قرنين من الزمن ونقح هو وتلامذته ترجمات سرجيوس الأصلية. أصيبعة / نجار: ٤٣/١.

لم يكن الطريق إلى الترجمة سـهلاً ولا بسـيطاً نظراً لعدم وجود مرادفات لمعظم المصطلحات الطبية والأسماء التشريحية والتي تحتاج إلى من يتقن بل يسـيطر على زمام اللغات اليونانية والسـريانية والعربية... وقـد تعثرت حركة الترجمة في بدئهـا نظراً لعدم وجود المترجمين المؤهليـن... إلى أن ظهر على مسرح الترجمة حنين بن إسـحق العبادي (١٩٤ ـ ٢٦٤هـ = ٨٠٩ ـ ٨٧٧م) والذي يعتبر بحق شيخ المترجمين واستاذ الاساتذة في هذا المجال وذلك لأنه كان طبيباً ممارساً وأديباً، ولغوياً يجيد اللغات الثلاث (اليونانية والسريانية والعربية). وقد أوجد عن جدارة مدرسة خاصة بالترجمة تبعها كل من أعقبه وكان من أبرزهم ابنه إسحق بن حنين بن إسحق وابن أخته حبيش الأعسـم.. وتبرز براعة حنين في الترجمة بإجادته فن النحت والاشـتقاق وابتكار كلمات باللغة العربية لتعبر عن المصطلح اليوناني أو السرياني أو غيره... ولن أطيل في سرد كل الكلمات التي ابتكرها حنين، غير أنني سوف أقتصر على بعض الأسماء التشريحية في مجال طب العيون التي أوجدها من العدم، فعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر:

الطبقة المشيمية Choroid: سميت كذلك لأنها تشبه مشيمة الجنين.

الطبقة الشبكية Retina: سميت كذلك لأنها تشبه الشبكة.

الطبقة القرنية Cornea: سميت كذلك لصلابتها.

الطبقة الملتحمة Conjunctiva: سـميت كذلك لالتحامها بأطراف الجفن من الداخل.

السَبَل Pannus: وهو الغشاء الموعّى (الغزير بالأوعية) ويبدأ من الملتحمة التي تغطي العين ويمتد حتى يغطي حواف القرنية.

الظفرة Pterygium: غشاء مثلث الشكل ينشأ من الملتحمة الأنفية ويغطي جزءاً من القرنية.



الطرفة Subconjunctival Hemorrhage: نزيف تحت الملتحمة على شكل نقطة حمراء.

هذه بعض الأمثلة على ما ابتكره حنين من المصطلحات العينية، ويمكن لمن يرغب في الاستزادة الاطلاع على كتابه الأشهر (العشر مقالات في العين) الذي حققه وترجمه للإنكليزية ماكس مايرهوف عام ١٩٢٨[١]. ونشر بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً...).

ويمكننا تسهيلاً للبحث أن نقسم عصر الترجمة إلى ثلاث مراحل:

١ ـ المرحلة الأولى: وتبدأ مع أبي جعفر المنصور سنة ١٣٦هـ وتنتهي بوفاة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ، وبرز فيه ستة مترجمين كانوا الرواد الأوائل هم:

يحيى بن البطريق، وجورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع (ت ١٤٨هـ) وتيدوروس، وسلام الأبرش (الذي خدم البرامكة). وباسيل المطران،، ويوحنا بن ماسويه الذي خدم في بلاط الخلفاء بدءاً هارون الرشيد وانتهاءً بالمتوكل[٢]. هذا في مجال ترجمة الكتب الطبية، أما في مجال الكتب الأدبية فيلمع اسم عبد الله بن المقفع الذي قتله الخليفة المنصور عام ١٤٥هـ.

٢ ـ المرحلة الثانية: وتبدأ مع تسلم المأمون الخلافة ١٩٨هـ وتنتهي سنة ٣٠٠هـ وتعتبر هذه المرحلة بحق العصر الذهبي للترجمة، فقد برز فيها أربعة عشر مترجماً هم: الحجاج بن يوسف مطر الوراق الكوفي (ت ٢١٤هـ)، وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت حوالي ٢٢٠هـ). وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي (حوالي ٢٢٠هـ) وحنين بن إسحق العبادي (ت ٢٦٤) وإصطفن بن

---

(١) كتاب العشر مقالات في العين المنسوب لحنين ابن إسحق. د. ماكس مايرهوف. المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٨.

(٢) أصيبعة / نجار: ١/٤٠.

باسيل، وموسى بن خالد الترجمان، ويحيى بن هارون، وإسحق بن حنين بن إسحق (ت ٢٩٨هـ)، وثابت بن قرة الحراني الصابئي (ت ٢٨٠هـ)، وحبيش الأعسم، بن أخت حنين (ت ٣٠٠هـ)، وأيوب الأبرش، وعيسى بن يحيى بن إبراهيم من تلاميذ حنين، وأبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي وأبو نوح بن الصلت[1].

٣ ـ المرحلة الثالثة: وتبدأ من سنة ٣٠٠هـ حتى منتصف القرن الخامس الهجري واشتهر فيها ستة مترجمين هم: متى بن يونس (خدم في بلاط الراضي حوالي ٣٢٠هـ)، سنان بن ثابت بن قرة (ت ٣٦٠هـ) ويحيى بن عدي (ت ٣٦٤)، وعيسى بن سرنجت، وأبو علي بن زرعة، وهلال بن هلال الحمصي[2].

ويذكر أن عدد المترجمين في (بيت الحكمة) تجاوز المئة مترجم.. وسأعدد هنا الذين ترجموا الكتب الطبية وما يتعلق بالطب دون التطرق إلى كتب الفلسفة والفلك والرياضيات والآداب وذلك استناداً إلى ما ورد في كتابَيْ (عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة) و(مختصر تاريخ الطب العربي للأستاذ الدكتور كمال السامرائي).. ولا بد أن أذكر هنا أن ابن ابي أصيبعة قد ذكر تسعةً وأربعين مترجماً على حين ذكر السامرائي اثنين وخمسين، وقد أفرد أ.د. عامر النجار محقق (عيون الأنباء) الباب التاسع من الجزء الثاني (ص ٢٦٠ ـ ٢٧٠) لذكر المترجمين، بينما أفرد أ.د. السامرائي لهم الصفحات ٣١٠ ـ ٣١٩ في الجزء الأول من كتابه الشامل..

واللافت هو التطابق شبه الكامل بين الكتابين، ليس هذا بالمستغرب إذ لا بد من الاعتماد على كتاب ابن ابي أصيبعة لكل من ينوي الترجمة للأطباء

(١) أصيبعة / نجار: ٤١/١.

(٢) أصيبعة / نجار: ٤١/١.

إذ إنه الكتاب الأشمل والأوسع وإن لم يكن الأقدم، فقد سبقه في علم التراجم (الببيليوغرافيا) محمد بن إسحق النديم (٣٢٠ ـ ٣٨٠هـ = ٩٤٣ ـ ١٠٠٣م) مؤلف الكتاب الشهير (الفهرست)[١].

	ابن أبي أصيبعة	السامرائي
ص ٢٦١	جورجيوس	لم يذكره
	حنين بن إسحق العبادي	ص ٣١٠
	إسحق بن حنين بن إسحق	ص ٣١٠
	حبيش الأعسم	ص ٣١٠
ص ٢٦٢	عيسى بن يحيى بن إبراهيم	ص ٣١٣ ومكرر في ٣١٥
	قسطا بن لوقا البعلبكي	ص ٣١٠
	أيوب الأبرش	ص ٣١٠
	ماسرجيس	ص ٣١٢
ص ٢٦٣	عيسى بن ماسرجيس	ص ٣١٢
	شهدي الكرخي	ص ٣١٢
	ابن شهدي الكرخي	ص ٣١٣
	الحجاج بن يوسف بن مطر	ص ٣١١
	ابن ناعمة	ص ٣١٦
ص ٢٦٤	زوربا بن مانحوه الناعمي الحمصي	ص ٣١٠

(١) النديم: محمد بن إسحق، كتاب الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين واسماء ما صنفوه من الكتب. تحقيق وتعليقات أ.د. محمد عبد الرحمٰن المرعشلي، نشر دار النفائس، بيروت ط١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.



	ابن أبي أصيبعة	السامرائي
	هلال بن أبي هلال الحمصي	ص ٣١٦
	قينون الترجمان	ص ٣١٥ ذكره (فثيون)
	أبو نصر بن ناري بن أيوب	
	بسيل المطران	
	اصطفن بن بسيل	ص ٣١٨
	موسى بن خالد الترجمان	ص ٣١٩
	أسطات	ص ٣١١ ذكره (أسطاثبون)
ص ٢٦٥	حيرون بن رابطة	
	تدرس السنقل	
	سرجيس الرأسعيني	ص ٣١٢
	أيوب الرهاوي	ص ٣١٦
	يوسف الناقل	ص ٣١٤
ص ٢٦٦	إبراهيم بن الصلت	ص ٣١٤
	ثابت الناقل	ص ٣١٤
	أبو يوسف الكاتب	ص ٣١٤
	يوحنا بن بختيشوع	ص ٣١٩
	البطريق	ص ٣١١
ص ٢٦٧	يحيى بن البطريق	ص ٣١١
	قيضا الرهاوي	ص ٣١٥
	منصور بن باناس	ص ٣١٥



	ابن أبي أصيبعة	السامرائي
	عبد يشوع بن مهران مطران الموصل	ص ٣١٦ ذكره بأنه هو (مطران الموصل)
	أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي (كما ذكر في ص ٣٥٨)	ص ٣١٦
ص ٣٦٨	أبو إسحق إبراهيم بن بكس	ص ٣١٦
	ابو الحسن بن إبراهيم بن بكس	ص ٣١٦
	شيرشوع بن قطرب	
	محمد بن موسى المنجم	
	علي بن يحيى (ابن المنجم)	
ص ٣٦٩	تادري الأسقف	
	محمد بن موسى بن عبد الملك	
	عيسى بن يونس الكاتب (الحاسب)	
	علي الفيومي	
ص ٢٧٠	أحمد بن محمد	
	إبراهيم بن محمد	
	عبد الله بن إسحق	
	محمد بن عبد الملك الزيات	
ص ٣٧٥	نظيف القس الروماني	ص ٣١٩
ص ٣٦٣	أبو زكريا بن عدي التكريتي	ص ٣١٨
ص ٣٦٢	أبوبشر متى بن يونس	ص ٣١٨

	ابن أبي أصيبعة	السامرائي
٢٥٥/٢	يوحنا بن بختيشوع	ص ٣١٩
		تيوفيل بن توما الرهاوي ص ٣١٠
		سريوس بن إلياس الروقي ص ٣١١
		عبد الله بن علي ص ٣١٢
		الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن خورشيد الطبري ص ٣١٣
		يحيى بن سيار ص ٣١٤
		عيسى بن إسحق بن زرعة ص ٣١٤
		عيسى بن علي ص ٣١٤
		العباس بن سعيد الجوهري ص ٣١٦
		عيسى بن أسير ص ٣١٩
		ذكره ابن يونس ص ٣١٨
		موسى بن إبراهيم الحديثي ص ٣١٩
		أبو الحسن بن البهلول ص ٣١٩

وبمقارنة هذين العمودين في الجدول نرى أن المؤلفَيْن قد اشتركا في ذكر تسعة وثلاثين مترجماً، وأغفل السامرئي ذكر خمسة عشر مترجماً ذكرهم ابن أبي أصيبعة، كما أن السامرائي اضاف أحد عشـــر مترجماً لم يذكرهم بن أبي أصيبعة في من ذكر من المترجمين... ولا أدري سبب هذا السقط رغم ما عرف عن أ.د. السامرائي من دقة في التمحيص.

❃ ❃ ❃

الباب الخامس

الكحالة (طب العيون) والكحالون العرب والمسلمون

الفصل الأول: أطباء العيون الذين ألّفوا كتباً في هذا الفن

الفصل الثاني: الأطباء غير الكحاليــن الذين كتبوا عن طب العيون في موسوعاتهم

الفصل الثالث: الأطباء الذين عرفوا بممارســتهم لطب العيــون ولم يعرف لهــم تأليف في هذا التخصص





الفصل الأول

أطباء العيون الذين ألّفوا كتباً في هذا الفن

سأبحث في هذا الفصل سيرة الأطباء الذين عرفوا بممارستهم طب العيون وبرزوا فيه مع ذكر مؤلفاتهم... وما حقق منها وما نشر أو لم ينشر بعد، وأماكن وجود المخطوطات... وسأفرد مقطعاً أو أكثر لكلّ كتاب مبيّناً ما يمتاز به عمّا سبقه من الكتب، وما الجديد الذي أضافه إلى طب العيون...

١ ـ روفوس Rufus of Ephesus[١]:

كان روفوس الإفسيسي من أشهر الأطباء الإسكندرانيين، فقد عاصر الإمبراطور (تراجان Emperor Trajan) والذي حكم روما (بين ٩٥ ـ ١١٥م). وكتب أقدم كتاب في التشريح... أما في مجال طب العيون فقد كتب (كتاب العين) وذكره ابن أبي أصيبعة دون ذكر اسم الكتاب إلا أنه أشار إلى معالجة تفتق القزحية (نتوء الغشاء العنبي) في مريض أصيب بقرحة قرنية نافذة. أما (إفسس Ephesus) فهي مدينة إغريقية قديمة على شاطئ تركيا الغربي المطلّ على بحر إيجة.

(١) هيرشبرغ: ٣٠٥/١، سزكين: ٩٦/٣ ـ ١٠٣، أصيبعة/نجار: ٢٢٣/١ ـ ٣٣٥/١، ابن النديم: ٥٤٥ ـ ٥٤٦، غاريسون: ٩٦ ـ ٩٧.



٢ ـ جالينوس Galen (١٣٠ ـ ٢٠٠م)[(١)]:

من أعظم وأشهر الأطباء الإغريقيين بعد أبقراط... درس الطب في اليونان وآسيا الصغرى والإسكندرية ثم أقام بروما، عاش سبعة وثمانين عاماً منها ١٧ عاماً متعلّم ثم ٧٠ عاماً عالمــاً ومعلّماً. وذكر له ابن أبــي أصيبعة مئة وأربعة وخمسين كتاباً في مختلف مجالات الطب والفلسفة وأضاف: «أقول: وبالجملة فإن لجالينوس كتباً أخرى كثيرة لم يجد الناقلون لها أثراً، وممّا قد اندرس على طول الزمان...» وذكر منها كتابين في طب العيون:

١ ـ **كتاب في تشريح العين**: مقالة واحدة، غير أنه اقتبس من حنين بن إسحق قوله: «إن عنوانه باطل لأنه ينسب إلى جالينوس وليس هذا لجالنيوس، وخليق أن يكون لروفس أو لمن هو دونه». ويؤيده في ذلك هيرشبرغ إذ ينفي أن يكون هذا الكتــاب لجالينـــوس واعتمد في ذلــك على أن مجمل أســلوب العرض والترتيب يخالف أســلوب جالينوس فــي الكتابة والتأليف. وقــد ترجمه إلى اللاتينية ديمتريوس باسم «De oculis by claudius gallen» translated by Demetrius.

٢ ـ **مقالة في دلائل العين**: كتبها فــي حداثته لغلام كحال وقد لخص فيها العلل التي تكون فــي كل واحدة من طبقات العين ووصــف دلائلها... وذكر سزكين أن سرجيوس الرأسعيني قد ترجم هذه المقالة إلى السريانية في القرن السادس الميلادي.

كما ذكرها ابــن الهيثم في جوامــع جالينوس بعنــوان (في أمراض العين)[(٢)].

---

(١) أصيبعة / نجار: ٣٠٧/١ ـ ٣٧١، سزكين: ١٠٣/٣ ـ ٢٣٩، هيرشبرغ: ٣٠٧/١ ـ ٣٠٩، مايرهوف العشر مقالات في العين المنسوب لحنين بن اســحق العبادي ص٥٢ ـ ٥٤، ابن النديم: ٥٤١ ـ ٥٤٥، غاريسون: ٩٧ ـ ١٠١.

(٢) أصيبعة / نجار: ٣٨٩/٣.



المخطوطات المعروفة:

ـ القاهرة: تيمور طب ١٠٠ (ص١ ـ ٥٩٢/٢٤هـ).

ـ تشستربتي: دبلن، إيرلندة رقم ٣٤٢٥ (١٤١ ـ ١٥٦، ٨٣٤هـ).

ـ جامعة طهران: ٤٩١٤ (٤٤٠آ ـ ٤٤١آ) القرن الحادي عشر للهجرة

٣ ـ الإسكندروس الطبيب:

ويعرف أيضاً بـ(طراليغوس)[1] أو الإسكندر الطرللي Alexander of Tralles (٥٢٥ ـ ٦٠٥م). عاش ومارس الطب على خطا جالينوس. وذُكِرَ له كتاب واحد في طب العيون سمّاه (كتاب علل العين وعلاجاتها). وقد اقتبس الرازي من هذا الكتاب بشكل مكثف في الجزء الثاني من الحاوي، كما رجع إليه مراراً يوحنا بن ماسويه في (علل أمراض العين).

٤ ـ ماسرجويه البصري[2]:

ويسمى أيضاً ماسرجيس وهو يهودي من أصل فارسي، درس في جنديسابور ثم استوطن البصرة وعاش وعمل فيها في أيام الخلفاء المروانيين الأمويين، كان يجيد اللغتين السريانية والعربية ويشتهر بأنه ترجم أيام مروان بن الحكم كناش (أهرن بن أعين) من اللغة السريانية إلى اللغة العربية... وبذلك يعرف بأنه أول من ترجم كتاباً طبياً إلى اللغة العربية... أي أنه كان أول من بدأ عصر الترجمة إلى أن ازدهرت هذه الصنعة في العصر العباسي وخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون.

---

(١) أصيبعة / نجار: ٢٢٧/١، ابن النديم: ٥٤٨، السامرائي: ١٨٦/١، هيرشبرغ: ٣٠٧ ـ ٣٠٩، سيزكين: ٢٥٧/٣ ـ ٢٦١، سارتون: ٤٥٣/١،، غاريسون: ١٠٧.

(٢) أصيبعة / نجار: ١٣٣/٢ ـ ١٣٨، سزكين: ٣٤٠/٣ ـ ٣٤١، ابن النديم: ٥٥٤، السامرائي: ٢٦٤/١، حمارنة ورجب: ١٨٥ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨، ن. حمارنه: ٤٠/٢ القفطي: ١٣٠.

وذكر بن أبي أصيبعة أنه ألــف كتاباً في طب العيون ســمّاه (كتاب في العين) وأشــار ســزكين وجود نســخة منه في حلب، نحاس (الأب سباط، فهرس٦٠، رقم ٢٩٧٥).

ونقل الرازي في موسوعته (الحاوي) عن الترجمة العربية للكناش بشكل وفير وكان لا يذكر اســمه بل يشــير إليه بالـ (يهودي). فكان يسبق كل فقرة مقتبسة منه بـ(قال اليهودي). ولم يذكر أي من الباحثين أو المؤرخين تاريخ ولادته أو وفاته غيــر أنه عاش في القــرن الأول الهجري نظــراً لأن الخليفة عمر بن عبد العزيز المتوفى (١٠١هـ) قد أمر بوضــع الترجمة العربية لكناش أهرن بن أعين في الخزانة العامة للكتب عسى أن ينتفع بها بعض الناس..

٥ ـ تدري[١]:

يعتقد أنه أسقف الكرخ في بغداد، عاش في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، له كتــاب (مقالة في العين)، ذكر ســزكين وجود نســخة منها في (حلب ـ زابيطا، فهرس الأب سباط٣٨/١ رقم ٢٧٣).

٦ ـ جابر بن حيان[٢]:

لم تحدد كتب التراجم تاريخ ولادة أو وفــاة جابر بن حيان فقد ذكر ابن النديم أنه عاش في أيام عز الدولة بن معز الدولة أحمد بن بويه، أحد سلاطين العراق الذي حكم بين (٣٣٢ ـ ٣٦٧هـ = ٩٥٧ ـ ٩٩٠م). أما ن. حمارنة يذكر أنه عاش في أيام البرامكة وكان أثيراً لــدى جعفر بن يحيى البرمكي (ت ٨٠٣م) الذي كان وزيراً لهارون الرشيد (ت ٨٠٩م).

---

(١) سزكين: ٤١٧/٣ ـ ٤١٨، ن. حمارنه: ٢٣/٢، حمارنة ورجب: ٣٩٨، أصيبعة / نجار: ٢٦٩/٢.

(٢) ســزكين: ٣٢٥/٣ ـ ٣٣٩، ابن النديم: ٦٥٣ ـ ٦٥٩، أصيبعة / نجار: ٢٢٠/٤، ن. حمارنه: ٩٢/٢، حمارنة ورجب: ٩٦ ـ ١٢٠ ـ ١٩٣، السامرائي: ٤٨٦/٢.

وكان رجلاً فاضلاً، عالماً غزير الإنتاج، ذكر له ابن النديم نحو مئة وخمسين كتاباً، ورسالة في مختلف أصناف العلوم... غير أن جابراً نفسه ذكر في فهرس كتبه أنه ألف أكثر من خمسمائة كتاب، بيد أن شهرته في مجال الكيمياء طغت على إسهاماته في الطب.. حتى إن ابن النديم لم يذكر كتابه الوحيد عن طب العيون (كتاب العين) الذي أسهب فيه في الكلام على (تشريح العين ووظيفتها)، ولسوء الحظ لم يسلم هذا الكتاب من الضياع أو التلف وقد يكون هذا أحد أسباب إهماله نظراً لجهل المؤرخين به. غير أن هذا لا يقلل من مكانته العلمية لا سيما وأن الرازي يكرر دائماً في اقتباساته عن جابر بن حيان «قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان».. وهذا أكبر شاهد ودليل على مكانته العلمية واحترام الرازي له إذ دعاه بـ (أستاذنا).

ومن المستغرب أن يترجم له السامرائي باقتضاب دون أن يذكر كتبه... بل ذكر أنه توفي في مدينة (طوس) عام (٢٠٠هـ = ٨٠٥م).

ومع أن سزكين قد خصه بترجمة مطولة، وذكر أن (كتاب العين) قد أشير إليه في (كتاب الإخراج) إلا أنه لم يذكر وجود أي نسخة له في أي مكتبة عامة أو خاصة.

٧ ـ جبرائيل بن بختيشوع بن جرجيس[١] (ت ٢١٤هـ = ٨٢٨م):

خدم في بلاط جعفر بن يحيى البرمكي ثم أصبح الطبيب الخاص لهارون الرشيد عام ١٩٠هـ = ٨٠٥م، ثم للمأمون نحو عام ٢١٢هـ = ٨٢٧م وتوفي ودفن

(١) أصيبعة / نجار: ١٩/٢ ـ ٥٢، سزكين: ٣٤٣/٣، السامرائي: ٣٣٨/١ ـ ٣٤٣، كحالة: ١١٣/٣، الزركلي: ١١١/٢، هيرشبرغ: ١٠٣/٢ ـ ١٠٤، حمارنة ورجب: ١٢٢، ن. حمارنة٢: ١٢/ لم يذكر الكتاب. ابن جلجل: ٦٤، القفطي: ٩٣، لوكليرك: ٩٩/١ ـ ١٠٢.



في دير ماسرجيس بالمدائن قرب سامراء. وله كتاب (مقالة في العين) ذكره سزكين[(١)] وذكر أنه يوجد في مجموعة الجراح (فهرس الأب سباط ٨/١ رقم١٢).

وأفرد له أصيبعة ثلاثة وثلاثين صفحة ذكر فيها بعضاً من مواقفه مع الخلفاء الذين خدمهم وذكر له أربعة كتب ولم يذكر (مقالة في العين)[(٢)].

٨ ـ يوحنا بن ماسويه[(٣)] (١٩٠ ـ ٢٤٢هـ = ٨١٥ ـ ٨٦٥م) ويرجح هيرشبرغ على أنه عاش بين٧٧٧ ـ ٨٥٣هـ:

هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه أشهر من عُرف من علماء أسرة ماسويه، ورد اسمه في الترجمات اللاتينية باسم Mesue senior أو Janus Damascenus. كان طبيباً حاذقاً ومحدثاً لبقاً ذا بديهةٍ حاضرةٍ أبداً، لقي حظوة لدى الخلفاء العباسيين الذين خدمهم بصناعة الطب بدءاً بالمأمون، ومروراً بالمعتصم بالله، والواثق بالله، وانتهاءً بالمتوكل على الله. ولد في مدينة جنديسابور حيث كان أبوه يعمل طبيباً في البيمارستان، وأتقن منذ صغره اللغتين السريانية والعربية، ارتحل إلى بغداد في مطلع شبابه وكان قد أتقن صناعة الطب في مسقط رأسه، وارتقى هناك في المناصب الحكومية والمراتب الاجتماعية حتى ترأس بيت الحكمة ودائرة الترجمة فيه وذلك في خلافة المأمون وكان أول من يشغل هذا المنصب الرفيع.

وكان معتدّاً بنفسه إلى حدِّ الغرور، وذكر في الأثر أنه طرد تلميذه حنين بن إسحق العبادي بطريقةٍ مهينة ومذلَّة. ويروي ابن أبي أصيبعة عنه جملة من

---

(١) سزكين٣/٣٤٣.

(٢) أصيبعة / نجار: ١٩/٢ ـ ٥٢.

(٣) ابن النديم: ٥٥١ ـ ٥٥٢، أصيبعة / نجار: ١٧٢/٢ ـ ١٩٩، السامرائي: ٣٦٥/١ ـ ٣٧٤، حمارنة ورجب: ١٢٤، ن حمارنة: ٤٣/١ ـ ٤٨، كحالة: ٢٦٣/١٣، الزركلي: ٢١١/٨، القفط ٣٩١/٣٨، الصفدي: ٦١/٢٩ ـ ٦٤، ابن جلجل: ٦٥ ـ ٦٦، سزكين: ٣٥٢/٣ ـ ٣٦١، مايرهوف مقدمة كتاب (العشر مقالات في العين) المنسوب لحنين ابن اسحق العبادي ص١٠، لوكليرك: ١٠٥/١ ـ ١١١.

الحوادث والفكاهات التي اشتهر بها يوحنا فكان لا يرعوي أن يتلفظ بفاحش الكلام ولو في حضرة الخليفة. توفي في سامراء سنة ٢٤٢هـ = ٨٦٥م.

وقد عدد له ابن أبي أصيبعة ستة وأربعين كتاباً في مختلف أصناف الطبّ والتّشريح والأمراض النّفسية منها كتابان في طب العيون وهما:

١ ـ كتاب العين أو ما يعرف بـ(دغل العين) أو (كتاب معرفة العين وطبقاتها)

وهو أول كتابٍ متخصص في طب العيون كتب باللغة العربية وترجمه قسطنطين الإفريقي (ت ٤٨١هـ = ١٠٨٧م) إلى اللغة اللاتينية وانتحله لنفسه.

ومخطوطاته في: القاهرة طب تيمور ١٠٠ ص ٢٥ ـ ٥٩٢/٧٥هـ

حلب جراح (فهرس سباط ١٩/١، رقم ٩٧) وأبلغني نشأت حمارنة حديثاً أنه في صدد تحقيق هذا الكتاب.

٢ ـ معرفة محنة الكحاليين ذكره سزكين (معرفة مهنة الكحالين).

وعدَّد مخطوطات الكتاب:

١ ـ القاهرة: تيمور طب ١٠٠ ص ١٠ ـ ٢٤، ٥٩٢هـ.

٢ ـ لينينغراد: مكتبة غريغوريوس، م ٤ ص ٤٢٥. وقد طبعه سزكين[١] في (سلسلة طب العيون عند العرب والمسلمين نصوص وترجمات) فرع الطب ج ٣/٣.

وأما السامرائي فقد عدد له سبعة وخمسين كتاباً منها أربعة في طب العيون وهي إضافة إلى دغل العين ومعرفة محنة الكحالين ما نقله عن سزكين:

---

(١) سلسلة/طب العيون عند العرب والمسلمين: نصوص ودراسات وترجمات (منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية) في اطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الغربية، فرع الطب م ٣/٣ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

٣ ـ **رسالة في العين**: مخطوطة واحدة، حلب: حكيم فهرس سباط ١٩/١ رقم ٩٦.

٤ ـ **كتاب تركيب العين وعللها وأدويتها**. مخطوطة حلب: حكيم، فهرس سباط ١٩/١، رقم٩٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب المعروف بدغل العين تأليف يحيى بن ماسويه المتطبب
في مائية العين وكيفيتها وتركيبها وعدة رطوباتها وحجبها
وعضلها وعصبها واسمائها ومنفعة كل واحد منها ومن اين
ابتدائها والى اين انتهائها وجميع الادواء العارضة لكل
واحد منها وعلاج ذلك بشرح موجز مختصر وبالله التوفيق
فلنبتدئ الآن بتقديم ذكر فصول هذا الكتاب وهو سبعة واربعون فصلا

الفصل الاول
في حجب العين ورطوباتها

الثاني
على الدماغ

الثالث
على فعل حجاب حجاب من حجب العين ومنافعها واول ذلك الشبكيه

الرابع
على فعل الرطوبة الزجاجيه

الخامس
على منفعة الرطوبة البرديه

السادس
على فعل الرطوبة البيضيه

السابع
على فعل الحجاب العنبي

الثامن
على الحجاب القرني

التاسع
على الحجاب الشبكي

العاشر
على مادة مرع السبل

الحادي عشر
على الشيء الذي ذكره هيوقراطيس

الثاني عشر
على علاج مرع السبل بالقطع





٩ ـ حنين بن إسحق العبادي[١] (١٩٤ ـ ٢٦٤هـ = ٨٠٩ ـ ٨٧٧م):

لعلّ أبلغ ما وصف به حنين بن اسحق العبادي هو قول لوكليرك (١٨٤٦ ـ ١٨٩٣م) «حنين بن إسحق من أشدّ رجال التاريخ ذكاءً وأحسنهم خلقاً، وربما كان أقوى شخصية أنجبها القرن الثالث الهجري».

هو أبو زيد حنين بن إسحق العبادي ولد في الحيرة[٢] عام ١٩٤هـ = ٨٠٩م لأبٍ نسطوري كان يشتغل بالصيدلة، ودرس الطب في جنديسابور في الجنوب الغربي من بلاد فارس تتلمذ في أول حياته على يوحنا بن ماساويه الذي ضاق ذرعاً بأسئلة حنين المتكررة والمحرجة أحياناً، فما كان منه إلا أن طرده من مجلسه بأسلوبٍ مهين ومذل يعيره بأن يعود إلى صنعة آبائه وأجداده (الصّيرفة) إذ لا مكان له في صناعة الطّب. فكان لهذه الإهانة ردّة فعل إيجابية لدى حنين إذ غادر جنديسابور وطاف في الأمصار، ودرس اللغة اليونانية، وتعمّق بدراستها وفهمها، ثم رجع إلى البصرة (المركز الأمثل لتعلم اللغة العربية) ودرس على تلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وبذلك تربع لسانه

---

(١) ابن النديم: ٥٤٩ ـ ٥٥٠، أصيبعة / نجار: ٢٠٣/٢ ـ ٢٥١، السامرائي: ٣٧٦/١ ـ ٤٠٠، حمارنة + رجب: ١٢٥ ـ ١٣٣، ن حمارنة: ١/٢ ـ ٢٢، كحالة: ٨٧/٤، زركلي: ٢٨٧/٢ ـ ٢٨٨، القفطي: ١٧١ ـ ١٧٧، ابن جلجل: ٦٨، ابن خلكان: ٢٠٩/١ ـ ٢١٠، الذهبي: ٢٥٩/٨، الصفدي: ١٥٥/١١ ـ ١٥٧، حاجي خليفة: ٢١٧، ١٩٨٣، ١٧٨٣، ١٥١٣، ١٤٦٨، سزكين٣٨٠/٣ ـ ٣٩٨، لوكليرك: ١٣٠/١ ـ ١٥٢، هيرشبرغ: ٤٦/٢ ـ ٤٨، مايكس مايرهوف تحقيق وترجمة إلى اللغة الانكليزية كتاب العشر مقالات في العين المنسوب إلى حنين ابن سحق (٢٦٤ ـ ١٩٤هـ) المطبعة الأميرية في القاهرة ١٩٢٨.

(٢) الحيرة: عاصمة اللخميين المناذرة: تقع على بُعد أربع كيلومترات من الكوفة يعود تاريخ بنائها إلى نبوخذ نصر (القرن السادس قبل الميلاد) اشتهر أهلها بممارسة الصيرفة والصيدلة (الأعشاب) وشيء من الطب لاحتكاكهم الطويل الأمد بالفرس. غزها سيف الله المسلول خالد بن الوليد عام ١٢هـ = ٦٣٢م وفتحها دون حرب إذ صالح أهلها على دفع جزية وبقي أهلها على دين النصارى.

على عرش أربع لغـات وهي السـريانية (لغته الأم) والفارسـية (لاحتكاكه بالفرس على مدى عدة أعوام) واليونانية التي تلقاها مـن منابعها والعربية، ويقال إنه هو من أدخل (معجم العيـن) للفراهيدي[١] إلى بغداد وذلك حينما عاد إليها عام ٢١١هـ عالماً باللغات وملماً بالطب، ودخل في خدمة جبرائيل بن بختيشوع (ت ٢١٤هـ) عميد أسرة آل بختيشـوع الذين كانوا ذوي حظوة في بلاط الخليفة المأمـون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ) الذي شـجع العلماء ورعاهم وأغدق عليهم الأموال والهبات تشـجيعاً لهم على ترجمة كلّ ما يمكن ترجمته من الكتب العلمية إلى اللغة العربية. وهنا في بيت الحكمة بدأ نجم حنين يسطع إذ ترجم أول ما ترجم كتاب (أصناف الحميّات) لجالينوس من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية، ثم كتاباً آخر لجالينوس أيضاً بعنوان (في القوى الطبيعية) مما أثار إعجاب جبرائيل بن بختيشـوع بموهبة حُنيـن وتمكنه من اللغات الأربع، فسـعى إلى إدخاله في خدمة الخليفة الذي عينه فوراً رئيسـاً لبيت الحكمة، فجعل حُنين من هذا المكان قبلـة للمترجمين وخلية نحل لا تهدأ للترجمة من اليونانية إلى السريانية ثم إلى اللغة العربية وأحياناً من اليونانية إلى العربية مباشرةً.

واشتهر حُنين بكونه مترجماً غزير الإنتاج لا سيما ترجمة كتب جالينوس أكثر من شهرته كطبيب وله يعود الفضل في ترجمة جوامع من كتب جالينوس في الذبول وما نقله عن أبقراط وأفلاطون في الحث على تعلم الطب.

إضافة إلى كتب عدة ذكر منها ابن أبي أصيبعة مئة وأحد عشر كتاباً ما بين ترجمة وتأليف منها أربعة في طب العيون. أما السـامرائي الذي أفرد له أربعة

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيـدي: من كبار النحـاة واللغويين العرب وينسـب اليه وضع علم العروض، وله أول معجم باللغة العربية واسمه (معجم العين)، وذلك لأن مخرج حرف العين هو من أعمق المخارج نطقاً.

وعشرين صفحة من كتابه فقد عدد له مئة وتسعة وثلاثين كتاباً ولعلَّ الزيادة في عدد الكتب (ثمانية وعشــرين كتاباً) اكتشــفت بعد أن ألف ابن أبي أصيبعة كتابه، أما سزكين فقد ذكر له خمسة كتبٍ تبحث في طب العيون.

ولحُنين يعود الفضل في انشاء مدرســة فريدة في أسلوب الترجمة، وقد تتلمذ عليه عددٌ لا بأس فيه من التراجمة الذين أثروا المكتبة العربية بما نقلوه من اللغات اليونانية والفارســية والســريانية ولعــل من أشــهر تلاميذه ابنه إسحق بن حُنين بن إسحق وابن أخته حبيش الأعسم.

كان حُنين يتمتع بقدرة كبيرة من الكرامة والتمسك بأخلاقيات مهنة الطب إضافة إلى التزامه الديني، ومما يذكر عنه أن الخليفة المتوكل كان قد طلب إليه أن يصف له سماً ليتخلص من بعض أعدائه فرفض حنين طلب الخليفة رفضاً قاطعاً بالرغم مما تعرض له من تهديد ووعيد، بل وسجن لمدة سنة فلم يبالِ بالسّجن وأمضى تلك الفترة في الترجمة والتأليف، وعندما سأله الخليفة عن ســبب عدم الرضوخ لطلبه أجابه «منعني من ذلك شــيئان: الدين والصناعة، فالدين يأمر بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف مع أصحابنا وأصدقائنا، أما الصناعة فتمنعنا من الإضرار بأبناء الجنس لأن صناعة الطب وضعت لنفعهم ومقصورة على مصالحهم، وقد أقســمنا أيماناً مغلّظة ألّا نعطي دواءً قتالاً أو مؤذياً، فلم أر أن أخالف هذين الأمرين من الشريعتين».

فعلَت مكانته عند الخيلفة ووثق به أيما ثقة حتى غدى طبيبه الخاص وما فتئ الواشون يُكيدون له إلا أنه تبين للخلفاء وخاصة المتوكل كذبهم واستقامة حُنين، فأعاده إلى مكانته السامية وعاش مبجلاً في العشرين السنة الأخيرة من حياته خــدم خلالها كل مــن الخلفاء المتــوكل والمنتصر بــالله (ت ٢٤٨هـ) والمســتعين بــالله (ت ٢٥١هـ) والمعتــز بــالله (ت ٢٥٥هـ) والمهتــدي بالله (ت ٢٥٦هـ) والمعتمد على الله (الذي حكم بين عامين ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ).

وذكر العلامة ماكس مايرهوف في مقدمة تحقيقه لكتاب (العشر مقالات في العين) استناداً إلى رسالة حنين إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجمه من كتب جالينوس أن حنين ترجم إلى السريانية خمسة وتسعين كتاباً من كتب جالينوس، وترجم منها إلى العربية تسعة وثلاثين كتاباً، وأصلح ستة كتب مما ترجمه تلاميذه إلى السريانية، ونحو سبعين كتاباً إلى العربية، كما أصلح معظم الكتب الخمسين التي ترجمها كلّ من سرجيس الرأسعيني وأيوب الرهاوي إلى السريانية، كما ترجم أربعة عشر كتاباً من كتب أبقراط، فضلاً عن كتاب لأورباسيوس وآخر لبولص الاجنيطي وآخر لديوسقوريدس، وكتاب الجراحة وكتاب الطب البيطري لـ (ثاومنستوس). ولم يكتف بترجمة الكتب الطبية والفلسفية بل تعدّاها إلى كتب الرياضيات فأصلح كتابين ترجمهما ثابت بن قرة الحراني (ت ٢٨٨هـ) لـ (أوطوقيوس) وهما في (الكرة) وفي (الأسطوانة).

وامتاز حنين عن كل أترابه من المترجمين بجعل الترجمة فناً وليس علماً فقط، فقد حدد للترجمة قواعد في نقل التعابير والمصطلحات الطبية إلى ما يقابلها باللغة العربية، وأما إذا ما رأى بحسه الفني واللغوي أن استعاضتها بكلمة عربية قد تشوش المعنى المقصود منها بدقةٍ أو ينقص جمالها في التعبير فإنه يؤثر حينئذ رسمها بحروفٍ عربيةٍ لتقرأ كما تلفظ باليونانية، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابه العشر مقالات في العين. وأفرد ابن أبي أصيبعة أكمل قائمة لمؤلفات حنين العربية اقتبسها عنه كل من لوكليرك وغابرييلي Gabrieli وعددا أكثر من مئة كتاب في مختلف فروع الطب[١].

أما فيما يتعلق بطب العيون فقد ذكر له كل من ابن أبي أصيبعة والسامرائي أربعة كتب هي:

---

(١) مايرهوف المقدمة ص ٣٣.

١ ـ العشر مقالات في العين

٢ ـ كتاب في العين على طريقة المسألة والجواب

٣ ـ كتاب في تركيب العين

٤ ـ مقال في تقاسيم علل العين

أما سزكين فقد عددها خمسة كتب هي:

١ ـ تركيب العين وعللها وعلاجها على رأي أبقراط وجالينوس وهي عشر مقالات أي في طبيعة العين وطبيعة الدماغ وعصب الرؤية والرؤية وحفظ صحة العين وعلل العين وعلاجها. وذكر لهذا الكتاب عدة مخطوطات:

١ ـ القاهرة: طب تيمور ١٠٠ (ص١٥٦ ـ ١٩٢، ٥٩٢هـ).

٢ ـ القاهرة: دار الكتب، طب ١٣٥، صورة عن: حلب ـ زابيطا، فهرست سباط م١ ص٤٣ رقم ٣٠٩.

٣ ـ لينينغراد: غريغوريوس الرابع، رقم ٤٢ (ص٧٧ ـ ١٢٧، ٥٥١هـ).

٢ ـ كتاب (في العين مئتان وسبع مسائل) أو كتاب (المسائل في العين) كتبه لولديه داود وإسحق وذكر مخطوطات هذا الكتاب في:

ـ لينينغراد: غريغوريوس الرابع، رقم ٤٢، ٨٨٦هـ.

ـ المتحف البريطاني: OR ٦٨٨٨، ص٢٤ وما بعدها، ٨٩١هـ.

ـ القاهرة: طب رقم ٤٧٧.

ـ لايدن: OR ٦٧١، ص٩٤ وما بعدها، ٩٥٨هـ.

ـ أنقرة: صايب ١٨٤٨.

ـ القاهرة: تيمور.

ـ بيروت: مكتبة القديس يوسف، رقم ١/٢٨٧ من ورقة ١ إلى٧.

وقد طبعه سزكين على طريقة الفاكسميلي دون تحقيق أو تعليق في سلسلة (كتب طب العيون عند العرب والمسلمين نصوص ودراسات وترجمات)[١].

٣ ـ **مقالة في تقاسيم علل العين**: ذكر لها مخطوطة واحدة

ـ حلب: حكيم (فهرس سباط ج١، ص٤٣، رقم ٣٢٠).

٤ ـ **أجناس أدوية العين** (في الحاوي مجلد٢، ص٢٨ ـ ٤٦)

٥ ـ **كتاب البصر في الجموع في العين** (في الحاوي مجلد ٢، ص٤٦ ـ ٤٨)

ويعتبر كتاب (العشر مقالات في العين) أول كتاب أُلف باللغة العربية بأسلوبٍ علميٍ اتبع فيه حنين أسلوب الإغريق في التأليف فذكر في المقالة الأولى طبيعة العين وتركيبها، وفي الثانية طبيعة الدماغ ومنافعه، وفي الثالثة العصب الباصر والروح الباصرة وآلية الابصار وكان تلميذاً وفياً لأبقراط وجالينوس فلم يخالفهما في نظرية الابصار. ثم ذكر في المقالة الرابعة جملة من الأشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها، وبدأ في ذكر الأمراض الحادثة في العين في المقالة الخامسة ليذكر في المقالة السادسة علاجاتها، ويسترسل في المقالات الاربعة التالية في ذكر قوى الأدوية وأجناسها والأدوية المفردة ثم الأدوية المركبة الموافقة للعين في المقالة العاشرة.

ويذكر حنين أنه كتب هذا الكتاب على شكل مقالات متفرقة بفترات زمنية متقطعة على مدة ثلاثين عاماً، إلى أن أشار عليه ابن اخته حبيش الأعسم

---

(١) طب العيون عند العرب والمسلمين نصوص ودراسات وترجمات: القسم الثاني ص٧٦٧ ـ ٨٢٨، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، فرانكفورت جمهورية ألمانيا الاتحادية ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦. وأنا الان في صدد تحقيق وتدقيق والتعليق على هذه النسخة وآمل أن أنشرها في القريب باذن الله.

بجمعها في كتاب واحد ويعتقد أن حبيش أضاف مقالاً إلى هذا الكتاب يذكر فيها (علاج الأمراض التي تعــرض للعين بالحديــد) أي المعالجة الجراحية لبعض أمراض العين.

وبقي هذا الكتاب مرجعاً لدارسي طب العيون إلى أن صدر كتاب (تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى الكحال البغدادي) (ت ٤٠٠هـ = ١٠١٠م). وقد أغرت شهرة الكتاب بعض المترجمين إلى اللغة اللاتينية بنسبة الكتاب إلى أنفسهم أمثال قســطنطين الإفريقي الذي انتحل باســمه تحت اســم Liber De Oculis Constantini Africani ومرة أخرى Constantini Africani Liber De Oculis.

وديمتريوس باسم: Galeni De Oculis Liber a Demetrio Translatus وطبعت هذه الكتب عدة مرات في أوروبا ما بين القرنين الخامس عشــر والسابع عشر، ولم يُكتشف زيف الكاتبين أو المترجمين ونسبة الكتاب إلى أنفسهما إلا بعد أن قام العلامة يوليوس هيرشبرغ المعروف عنه أنه فقيه باللغات بمقارنة هذين الكتابين بالنسخة الأصلية، ووجدهما نسخة طبق الأصل تقريبا عن النسخة العربية.

وتردد اسم الكتاب مرات عديدة في المؤلفات العربية والفرنسية وحتى التركية في طب العيون بعد أن تبين أهميته العلمية. وأهم ما يميز هذا الكتاب هو أنه:

ـ أول كتاب باللغة العربية أُلِف بأسلوبٍ اكاديمي.

ـ أول كتاب يضع رسماً للعين والعضلات الست والعصب البصري[1].

ـ أول كتاب يناقش آلية الإبصار على مذهب أرسطوطاليس وجالينوس[2].

---

(١) وتعتبر هذه الرسوم أفضل وأجمل بكثير من تلك الرسوم التي زينت بها الكتب الأوروبية في القرون الوسطى (مايرهوف ص٥٧)

(٢) والآلية تقول: إن النور المنعكس من الأشياء يقابل شعاع البصر النوري الذي ينبعث من الروح النوري هو الذي يجري من المخ في العصب الباصر والعدســة وإنسان العين (الحدقة) وأن الهواء توسط بين الشعاعين؟ مقدمة الكتاب تحقيق ماكس مايرهوف ص٥١.

ويرفض رفضاً باتاً نظرية (أمبدوقليس) التي تقول بأن (شـعاعاً ذا تماثيل يترك الجسـم إلى أن يلتقي بالعين). ونظرية (أبقورس) أو (هيبارخس) التي تقول بأن (الشـعاع البصري يترك العين ويمتد إلى الأجسام ويلمسها ثم يرتد إلى العين حيث الرؤية).

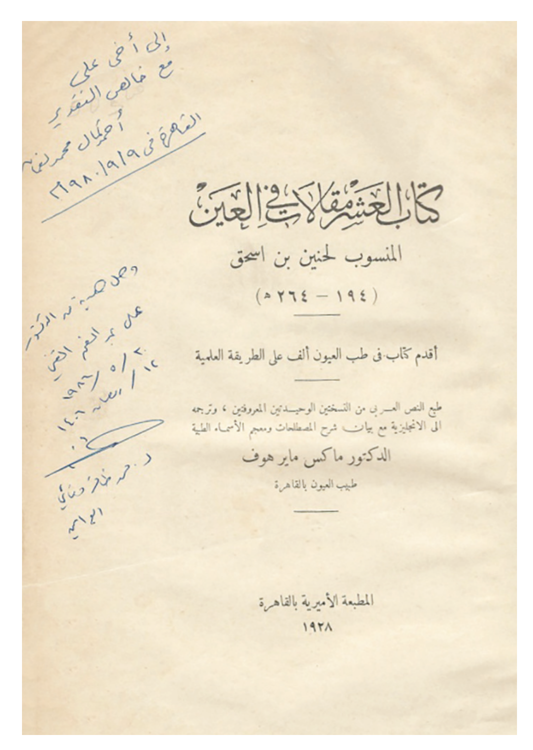
ـ ابتكر حنين عدداً كبيراً مـن المصطلحات العربية التي لم تكن معروفة من قبل.

ـ وصف بدقة مقتضبة عملية قدح الماء (خلع الساد).

وبذلك أكون قد أتيت على ذكر حنين ابن اسحق العبادي الطبيب والكحال والمترجم والمؤلف، آملاً أن أكون قد وفيته بعض حقه. وليس لي إلا أن أكرر ما قاله لوكليرك في الجزء الأول من كتابه تاريخ الطب العربي ص ١٣٠ ـ ١٥٢ بعد أن اسـتعرض إنجازاته العلمية: إنه أي حنين، «أبرز شـخصية في القرن التاسـع الميلادي وأكبر العقول المتحلّيّة بأسـمى الأخلاق، وإذا لم يكن هو الذي خلق النهضة في المشـرق، فليس هناك أي مخلـوقٍ عمل أكثر منه في سبيل العلم».







كتاب العشر مقالات في العين

المنسوب لحنين بن اسحق

(١٩٤ - ٢٦٤ هـ)

أقدم كتاب في طب العيون ألف على الطريقة العلمية

طبع النص العربي من النسختين الوحيدتين المعروفتين ، وترجمه الى الانجليزية مع بيان شرح المصطلحات ومعجم الأسماء الطبية

الدكتور ماكس مايرهوف

طبيب العيون بالقاهرة

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٢٨

١٠ ـ حبيش الأعسم[(١)] (ت ٢٦٤هـ = ٨٧٨م):

هو حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي ابن أخت العلامة حنين بن إسحاق العبادي ومن أنبغ تلاميذه في الترجمة، وكان يترجم من اللغتين اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية ثم يراجع حنين الترجمة وينقحها قبل أن يجيزها للنسخ. ولم يذكر ابن أبي أصيبعة لحبيش إلا خمسة كتب، ولا ندري من أين حصل السامرائي على لائحة من ستة وثلاثين كتاباً لم يكن من بينها كتاب (تعريف في أمراض العين) أو (تعريف أمراض العين) بحسب نشأت حمارنة. ولم يرد أي ذكر لحبيش كمؤلف في طب العيون إلا في ما ذكره خليفة بن أبي المحاسن الحلبي في الصفحة ٣١ من كتابه الكافي في الكحل[(٢)]، حيث قال «وكتاب لحبيش ابن اخته وضعه لتعريف أمراضها وذلك أنه وصف شكل العين وشكل مرضها كالظفرة الكبيرة، والظفرتين الملتقيتين، والعين المسبولة وما أمكنه وضع أمراضها في التشكيل وسماه كتاب (تعريف أمراض العين)».

ولعل إهمال النسّاخ والكحالين لكتاب حبيش يعود إلى مدى شهرة حنين وكتابيه (العشر مقالات في العين) و(المسائل في العين) وطغيانه على كل من عاصره أو من جاء بعده بفترة قصيرة غير كافية لإزالة حنين ومؤلفاته من الذاكرة.

---

(١) انظر ابن النديم: ٥٥٤، أصيبعة / نجار: ٢/٢٥٤ ـ ٢٥٥، السامرائي: ١/٤٠٣ ـ ٤٠٦، سزكين: ٣/٤١٢ ـ ٤١٣، حمارنة + رجب: ١٣٢، ن. حمارنة: ٢/٢١ ـ ٢٢، كحالة: ٣/١٨٩، القفطي:١٧٧، هيرشبرغ: ٢/٤٩.

(٢) خليفة بن أبي المحاسن الحلبي ـ الكافي في الكحل (ص٣١) تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعه جي نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ISESCO ـ الرباط ـ المملكة المغربية ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

لم يذكر أي من ابن النديم أو ابن أبي أصيبعة أن حبيشاً قد ألف كتاباً في طب العين، إلا أن سزكين ذكر له كتاباً اسمه (تعريف في أمراض العين) دون ذكر أي مخطوطة له. وكم أتمنى أن يصار إلى اكتشاف هذه المخطوطة وغيرها من المخطوطات مما يثري التراث ويظهر الوجه الحقيقي لعلماء المسلمين.

١١ ـ ثابت بن قرَّة الحراني[1] (٢١١ ـ ٢٨٨هـ = ٨٣٦ ـ ٩٠١م):

كتاب البصر والبصيرة

هو أبو الحسن ثابت بن قرّة الحراني الصابئي، ولد في حران عام ٢١١ هجرية ودرس علوم الرياضيات وعلم النجوم على محمد بن موسى بن شاكر الذي كان له الفضل بوصل ثابت بالخليفة المعتضد بالله، فأدخله في جملة المنجمين وأصبح من أقرب المقربين من الخليفة لدرجة أنه كان يجلس في حضرة الخليفة بينما يقف الوزراء ورجال الدولة. ولم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب أو التنجيم أو الرياضيات أو الفلسفة أو تعدد اللغات، فقد كان من أوائل التراجم وفطاحلهم، وكان أسلوبه في اللغة السريانية كلاسيكيا تقليديا، أما تمكنه من اللغة اليونانية فقد جعلت حاجي خليفة يشهد بأنه «لولا ترجمة ثابت للكتب الفلسفية اليونانية لما كان من الممكن الاستفادة منها».

كما أنه كان ضليعاً باللغة العربية مما جعل محمد بن موسى بن شاكر يؤثره على أقرانه ويقدمه ليخدم في بلاط الخليفة المعتضد بالله.

---

(١) انظر ابن النديم: ٥١٦، أصيبعة / نجار: ٣٠٥/٢ ـ ٣٢١، السامرائي: ٤٢٨/١ ـ ٤٣١، سزكين٣: /٤٠٣ ـ ٤٠٨، حمارنة + رجب: ١٣١، ن. حمارنة: ٢٠/٢ ٥٨/٢ ـ ٧١، كحالة: ١٠١/٣، الزركلي: ٩٨/٢، القفطي: ١١٥ ـ ١٢١، ابن خلكان: ٣١٣/١ ـ ٣١٥، الذهبي: ١١٥/٩، ابن عماد الحنبلي٦: /١٨٩ ـ ١٩٦، حاجي خليفة: ٢١٨، ٢٩٠، ١٥١٣، ١٤٦٥، ١٤٦١، هيرشبرغ: ٤٩/٢ ـ ٥١، سارتون: ١٠١/٤ ـ ١٤٢، ١٥١ ـ ١٦١.

وأمـــا تفوقه في علـم الفلك فقـد دعـا المسعـــودي[(١)] إلى تصنيفـه مـن أعظم فلكيي الإسـلام وقـارنه بالكندي[(٢)] وأبي معشر[(٣)] والفرغاني[(٤)].

ولذا لا نرى غرابة في وصفه بالعالم الشمولي (حكيماً كاملاً في كل أصناف العلوم)، فقد عدد له ابن أبي أصيبعة مائة واثنين وخمسين كتاباً في كل مجالات العلوم وخاصة الرياضيات والهندسة والفلك والطب إضافة إلى الترجمات من الإغريقية والسريانية إلى العربية، أما السامرائي فعدد كتب الطب تسعة وعشرين كتاباً منها (البصر والبصيرة) دون أي تعليق ولقد أحدث هذا الكتاب جدلاً كبيراً بين إمامين من أئمة المؤرخين هما يوليوس هيرشـــبرغ وماكس مايرهوف فقد أعلن هيرشبرغ عام ١٩٠٥ عن وجود كتابين مختلفين، الأول هو (الأصل) والثاني

(١) المسـعودي (٢٨٣ ـ ٣٤٦هـ = ٨٩٦ ـ ٩٥٧م) هـو أبو الحسـن علي بن الحسـين بن علي المسـعودي، من بلاد المغرب، مؤرخ، جغرافي ورائد في نظرية الانحراف الوراثي، ولقب بـ(هيرودوتس العرب). من أشـهر مؤلفاته: مروج الذهب والذي وصف فيه الزلزال والبحر الميت وطواحين الهواء.... انظر ابن النديم: ٢٧٣.

(٢) الكندي: (١٨٥ ـ ٢٥٦هـ = ٨٠٥ ـ ٨٧٣م) هو يعقوب بن إسحق الكندي، اشتهر بالغرب باسم (Alkindus). علامة عربي مسـلم ولد في الكوفة وعاش في بغداد، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس وعلم المنطق (علم الكلام) ولقب بـ(فيلسوف العرب). وهو الذي أدخل الأرقام الهندية إلى العالمين الإسلامي والعربي، ألف في معظم مجالات العلوم.. انظر: بن النديم ٤٨٨، أصيبعة / نجار: ٢٧١/٢.

(٣) أبو معشر: (١٧٠ ـ ٢٧٢هـ = ٧٨٧ ـ ٨٨٦م) هو أبو معشـر جعفر بن محمد بن عمر البلخي، ويعرف في الغرب باسم (Albumaser). فلكي ورياضي ومنجم وفيلسوف ولد في مدينة بلخ (شرقي خراسان) أفغانستان اليوم. من أشهر كتبه (المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم). انظر: أصيبعة / نجار: ٢٧٤/٢، بن النديم: ٥٢٣، ابن خلكان: ٢٥٨/١.

(٤) الفرغاني: (ت ٢٤٧هـ = ٨٦١م) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني، ويعرف في الغرب بـ(Alfaraganus)، ولد في مدينة فرغانة في أوزبكستان ثم انتقل إلى بغداد، له مؤلفات عدة من أشـــهرها: (كتاب جوامع علم النجوم والحركات السماوية). انظر: ابن النديم: ٥٢٦، أصيبعة / نجار: ٢٧٥/٢، القفطي ٥٦.

هو (إصلاح الأصل). وجاء بعده مايرهوف واكتشف عام ١٩٠٩ مع زميله بروفر (كتاب البصر والبصيرة) في مكتبة أحمد تيمور باشا. وهنا ازداد الجدل بين العلماء فيما إذا كان هناك كتاب واحد أم كتاب (أصل) وكتاب آخر (إصلاح البصر والبصيرة) وضعه طبيبٌ متأخر قليلاً عن زمن المؤلف.

ومؤخراً قام محققا (كتاب البصر والبصيرة) أ.د. قلعه جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي بحسم الخلاف وبيّنا في مقدمة التحقيق كل ما دار حول الكتاب من لغطٍ، وخلصا إلى أن النسخة التي اعتمدا عليها بتحقيق الكتاب (تيمور طب ١٠٠ ص ٣٨٥ ـ ٤٥١) التي تم نسخها عام ٤٣٩هـ = ١٠٦٢م هي النسخة الوحيدة لهذا الكتاب وأن مؤلف الكتاب هو حقاً ثابت بن قرة الحراني[1].

أما سزكين فيذكر وجود مخطوطتين لهذا الكتاب (وأعتقد شخصياً أنه قد خلط بينهما) فهو يقول في حاشية ص ٤٠٧/٣ المخطوطات: القاهرة تيمور طب ١٠٠، ٥٩٤هـ، والقاهرة، دار طب ١٣٥٠، ثمة صورة ترجع إلى ٨٤٥هـ ورقة ٣٨٥ ـ ٤٥٢).

وأنا شخصياً بحثت في القاهرة وفي غيرها من المراكز العلمية على أمل أن أعثر على نسخة ثانية فلم أفلح ولذا اعتمدنا في تحقيقنا على النسخة الوحيدة المعروفة.



صورة غلاف الكتاب.

(١) كتاب البصر والبصيرة للمؤلف ثابت بن قرة الحراني، حققه أ.د. محمد رواس قلعه جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي. نشر مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤١١هـ = ١٩٩١.



١٢ ـ قسطا بن لوقا[(١)]: (ت ٣٠٠هـ = ٩١٢م):

عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي (ت ٣٠٠هـ = ٩١٢م) وتوفي في مطلع القرن العاشر في أرمينية، طبيب حاذق ومرموق وترجمان متفوق جيد العبارة، يجيد اللغات العربية والسريانية واليونانية، برع في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والأعداد والموسيقى، يعدد له سزكين ٥١ كتاباً ورسالة في مختلف التخصصات الطبية وذكر منها كتابين في طب العيون هما:

١ ـ **رسالة في تركيب العين وإظهار حكمة الله فيها**... ويذكر أن نسختها موجودة في حلب، مكتبة حكيم. يرجع إليها في فهرس الأب سباط ٥٨/١ رقم٤٤٩.

٢ ـ **كتاب في تركيب العين وعللها**.. وذكر أن نسخته موجودة في حلب، مكتبة حكيم يرجع إليها في فهرس الأب سباط ٥٨/١ رقم ٤٥٠.

أما ابن النديم فقد عدد له خمسة وثلاثين كتاباً، ولم يذكر أيّاً من الكتابين اللذين ذكرهما سزكين عن طب العيون..

١٣ ـ أبو علي خلف الطولوني[(٢)] (ت بعد ٣٠٢هـ = ٩١٤م):

أبو علي خلف الطولوني من أهالي مصر وعاش في زمن الطولونيين (وإليهم ينتسب). كان طبيبا وكحالا وكتب كتاباً واحداً أسماه (النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما) ويذكر أنه فرغ من كتابته عام ٣٠٢هـ = ٩١٤م.

---

(١) سزكين ٤٢٠/٣ ـ ٤٢٨، ابن النديم: ٥٥٠، ن. حمارنة ٢٤/٢، أصيبعة / نجار ٢٦٢/٢، حمارنة ورجب ١٣٧ ـ ٢٠٣.

(٢) انظر: أصيبعة / نجار: ٣٥٣/٣، السامرائي: ٤٩١/٢، حمارنة ورجب: ٤٠٣، ٢٠٤، ١٣٧، ١٠٦، ن. حمارنة: ٢٧/٢، كحالة: ١٠٥/٤، الزركلي: ٣١٠/٢، هيرشبرغ ٥٢/٢، لوكليرك: ٤٠٢/١.

ومن المستغرب أن يبقى المؤلف وكتابه مغمورين تماماً، إلا أن ابن أبي أصيبعة قد ذكره بما لا يزيد عن بضعة أسـطر، ولم يزد السامرائي شيئا على ما ذكره أصيبعة، وكذا هيرشـبرغ ولوكليرك. إلا أن خليفة بن أبي المحاسـن الحلبي ذكره برقم ٧ ضمن قائمة المراجع التي ذكرها في الصفحتين (٣١ ـ ٣٢) من كتابه (الكافي في الكحل)[1]، كما أن نشـأت حمارنة ذكر أن الأب سباط رأى نسخة من الكتاب في حلب دون ذكر اسـم المكتبة أو رقم المخطوطة، وعزا للأب سباط أن عبد المسيح الكحال الحلبي (ت بعد ١٧٧٣م) قد اعتمده مرجعا لكتابه (الكامل في طب العين).

١٤ ـ إسحاق بن سليمان الإسرائيلي[2] (ت ٣٣٠هـ = ٩٤١م):

يُعرف عند الأوروبيين Isaac Judaes، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أنه توفي عام ٣٢٠هـ إلا أن كل من سـواه جعل تاريخ وفاته بعد٣٣٠هـ لكونه خدم الحاكم الفاطمي عبيد الله ومن بعده ابنـه القائم بأمر الله ثم المنصـور وأخيراً المعز لدين الله الذي حكم بيـن ٣٤١ ـ ٣٦٥هـ = ٩٥٣ ـ ٩٧٥م وقد عمر أكثر من مئة عام ولم يتزوج ولم يعقب ولداً.

ولد وعاش في مصر وبـدأ مهنة الطب كحالاً في أيـام أحمد بن طولون (٢٥٤ ـ ٢٧٠هـ = ٨٦٨ ـ ٨٨٤م)، ثم سافر إلى القيروان ودرس على إسحق بن عمران، ثم عاد إلى مصر ليحقق ما كان يطمح إليه من بلوغ المراكز المرموقة في حقل الطب والحكمة.

---

(١) الكتاب من تحقيقنا ونشر (ايسيسكو) الرباط، المملكة المغربية ١٤١٠ ـ ١٩٩٠.

(٢) انظر: ابن أبي أصيبعة / نجار: ١٧٨/٣ ـ ١٨١، السـامرائي: ٥١٦/١، حمارنة + رجب: ٢٠٣، ١٣٧، ن. حمارنة: ٢٦/٢، كحالة: ٢٣٤/٢، ابن جلجل: ٨٧ ـ ٨٨، حاجي خليفة: ٢٤٣، ١٣٩١، ١٤٠٤، ١٤١١، ١٤١٣، ١٤٦٦، سزكين: ٤٦٨/٣ ـ ٤٧٢، هيرشبرغ: ٢٨/٢، لوكليرك: ٤٠٩/١ ـ ٤١٢، غاريسون: ١١٥.

وتتلمذ عليه ابن الجزار القيرواني الذي بلغ شأواً مرموقاً في بلاد تونس. عدد له ابن أبي أصيبعة أحد عشــر كتاباً في مختلف اختصاصات الطب ولم يذكر كتابه في طب العيون، أما أشهر كتبه فهو كتاب (الحميّات) الذي (أغناه عن المرأة والولــد) على حدِّ تعبيــره وترجمه إلى اللغة اللاتينية قســطنطين الإفريقي مع عدد آخر من كتبه.

وانفرد كلٌّ من سزكين ومن بعده السامرائي بذكر كتابه (مقالة في الكحل) وذكر له مخطوطاً موجوداً في (حلب، زبيدي، خضور، فهرس الأب سباط ج١ ص ٨٨ رقم ٧٤٥).

١٥ ـ أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي المقدسي[١] (حوالي ٣٦٩هـ = ٩٨٠م):

مقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه

ولد ونشــأ (كما يدل اسمه) في القدس الشريف، درس الطب على يد جده سعيد الذي كان طبيباً ثم تخرج بعد التمرس في الصنعة على يد راهب اسمه (الأنبا زخريا بن ثوابة). طوَّف في بلاد الشام ثم استقر في مدينة الرملة[٢] في فلسطين في خدمة الأمير (عبد الله بن طغج الإخشــيدي (٣٢٣ ـ ٣٢٥هـ = ٩٣٤ ـ ٩٤٢م) ثم انتقل إلى مصر ليخدم في بلاط الخليفة (المعز لدين الله الفاطمي).

برع في ممارسة الطب فكان مقرباً من الخليفة وذا حظوةٍ عنده. عدد له ابن أبي أصيبعة ســتة كتب ألفها تقرباً من الأمراء الذين كان في خدمتهم أحدها في العين أسماه (مقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه) لم يذكره السامرائي

---

(١) انظر: أصيبعة / نجار: ٣٦١/٣ ـ ٣٦٦ ٣٢/٤، السامرائي: ٢٣/٢ ـ ٢٤، حمارنة ورجب: ٣٩٢، ٢١١، ١٠٦، ن. حمارنة: ٣٢/٢، الزركلي: ٢٦٣/٨ ـ ٢٦٤، القفطي: ١٠٥ ـ ١٠٦، ابن أيبك الصفدي: ٨١/٢، سزكين: ٥٠٤/٣ ـ ٥٠٦، هيرشبرغ: ١٠٥/٢، لوكليرك: ٣٨٨/١ ـ ٣٩١.

(٢) الرملة: مدينة قديمة بفلسطين قريبة من اللد، يقال أن نبي الله داود والملك سليمان قد سكناها في غابر الأزمان.

فيما ذكر مــن مؤلفاته، كما أنه أغفــل ذكر كتابين آخرين همــا (كتاب الفحص والأخبار، وكتاب مادة البقاء بإصلاح فســاد الهواء والتحــرز من ضرر الأوباء) واللذين ألفهما للوزير (أبي الفرج يعقوب بن كلس) وزير الخليفة المعز.

ولم يعرف مصير هــذه المخطوطات ولم يذكر أي منهمــا في الكتب أو الفهارس المعروفة.

١٦ ـ أعين بن أعين المصري[١] (ت ٣٨٥هـ = ٩٩٥م):

كتاب في أمراض العين ومداواتها

كتاب في امتحان طبيب العيون

لم يعرف الشــيء الكثير عــن هذا الطبيب فقــد ذكره ابن أبــي أصيبعة باقتضابٍ شديد وقال عنه: «كان طبيباً متميزاً في الديار المصرية وله ذكر جميلٌ وحسن معرفة وكان أيام العزيز بالله وتوفي في شهر ذو القعدة سنة ٣٨٥هـ وله من الكتب (كتاب الكناش) و(كتاب في أمراض العين ومداواتها)».

ولم يزد السامرائي شيئاً عما ذكره ابن أبي أصيبعة.

أما نشأت حمارنة فقد ذكر له كتابين في الكحل الأول (كتاب في أمراض العين ومداواتها) وذكر أن عبد المسيح الكحال قد اقتبس منه بعض الفقرات، أما الكتــاب الثاني فهــو (امتحان الكحــل) وذكر أن كلاً من صــلاح الدين الكحال[٢] وخليفة بن أبي المحاســن الحلبي[٣] قد ذكــراه ضمن مراجعهما،

(١) انظر أصيبعة / نجار: ٣٦١/٣، السامرائي: ٥٧١/١، حمارنة ورجب: ١٤٩، ٢١٠، ٣٩٤، ن. حمارنة: ٢٩/٢، الزركلي١: /٣٣٥، سزكين٣: /٤٩٥، هيرشبرغ: ٣٨٢/٢، لوكليرك١: /٤٠٦.

(٢) صلاح الدين الكحال الحموي، نور العيون وجامع الفنون، تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي، مراجعة وتعليق أ.د. محمد رواس قلعه جي.

(٣) خليفة بن أبي المحاســن الحلبي، الكافي فــي الكحل، تحقيق أ.د. محمــد ظافر الوفائي وأ.د. محمد رواس قلعه جي

وبالرجوع إلى كتاب خليفة (الكافي في الكحل) ـ من تحقيقنا ـ وجدت كتاب (امتحان الكحل) رقم ١٩ دون ذكر المؤلف[١].

وأعتقد أن نشأت حمارنة قد نقل ما كتبه عن سزكين دون التحقق من ذلك وذكر وجود الكتابين في حلب، فهرس الأب سباط، م٢ ص ٧٣ للكتاب الأول وص١٥٩ للكتاب الثاني. ولا بد من البحث في مكتبات حلب الخاصة للتحقق من هذين الكتابين إن وجدا.

١٧ ـ موسى بن هارون بن سعدان المتطبب[٢] (عاش أوائل القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي):

كتاب في علم العين

طبيبٌ مجهول لم نعثر على أية معلومة عنه، أين مولده وأين عاش ومتى توفي فلم يذكره أي من مؤرخي الطب المشهورين كابن أبي أصيبعة أوالسامرائي أو لوكليرك.

وجُل ما عثرنا عليه هوما ذكره سزكين من وجود مخطوطة لكتاب (في علم العين) كتبه لولده يهودا بصورة أسئلة وأجوبة في اسطنبول. نور عثمانية رقم ٣٥٧٦ ص ١٩٨ أ ـ ٥٩ ب كتبت عام ٧٨٦هـ.

كما ذكر اسمه أيضاً المستشرق الألماني ديترش Dietrich في الصفحة ١٧٣ من كتابه. أما نشأت حمارنة فلم يزد أي شيء يذكر عما كتبه سزكين إلا أنه رجح أن أسلوب كتابته يوحي بأنه كتب إما في أوائل القرن الخامس الهجري أي أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر الميلاديين.

(١) كتاب خليفة (الكافي في الكحل) من تحقيق أ.د. محمد رواس قلعة جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي.

(٢) سزكين٣/٥٣٨ ـ ٥٣٩، ن. حمارنة ٢/٣٤.

١٨ ـ جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع[١] (٣١١ ـ ٣٩٦هـ = ٩٢٣ ـ ١٠٠٦م):

رسالة في عصب العين

وهو الخامس من سلالة آل بختيشوع المتطببين الذين مارسوا مهنة الطب وحازوا ثقة الخلفاء والحكام في بغداد، خدم في بـلاط الخليفة عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ = ٩٩٥م) واهتم إضافة إلى صناعة الطب بالعلوم الفلسفية والدينية وتوفي في ميافارقين[٢] عام ٣٩٦هـ = ١٠٠٦م، عن عمر يناهز الخامسة والثمانين.

وقد عدد له ابن أبي أصيبعة ثمانية كتب فـي مجالات متعددة في الطب أحدها كان (رسالة في عصب العين)، ذكر سزكين وجود نسخة منها في حلب: الجراح، فهرس الأب سباط م١، ص٨ رقم ١٥. ولم يضف السامرائي شيئاً عما ذكره سابقوه من مؤرخي الطب.

١٩ ـ عمار بن علي الموصلي[٣] (ت ٤٠٠هـ = ١٠١٠م)

المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد

هو أبو القاسم عمار بن علي الموصلي المولد المصري السكن والإقامة في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ ـ ٤١١هـ = ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م)، عاش ومارس طب العيون وجراحتها في مصـر وألف كتاباً واحداً في طب العيون أسـماه

---

(١) انظر: أصيبعة / نجار: ٧٢/٢ ـ ٨٥، السامرائي: ٣٤٥/١ ـ ٣٤٦، حمارنة + رجب: ١٢٢، ن. حمارنة: ٣٠/٢، كحالة: ١٦٥/٣، الزركلي: ١١١/٢، القفطي: ١٤٦ ـ ١٥١، سزكين: ٤٩٩/٣، مايرهوف: مقدمة (العشر مقالات في العين) ص١٢.

(٢) ميافارقين: كانت من أشهر مدن الجزيرة الفراتية، أسمها اليوم (سلوان) وتقع شمال شرقي ديار بكر بين دجلة والفرات، أنظر: ياقوت الحموي: ٢٣٦/٥ ـ ٢٣٨.

(٣) انظر: أصيبعة / نجار: ٣ ٣٦٨، سامرائي: ١٧/٢ ـ ٢٠، حمارنة + رجب: ٦٧ ـ ٩٨، كحالة: ٢٦٨/٧، الزركلي: ٣٦/٥، سزكين: ٥٢٨/٣ ـ ٥٣٣، هيرشـبرغ: ٥٩/٢ ـ ٦٧، سارتون: ٧٢٩/١، لوكليرك: ٥٣٣/١ ـ ٥٣٨.



(المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد)[١] أهداه إلى قاضي القضاة (مالك بن سعيد) الذي شغل هذا المنصب ما بين عامي١٠٠٨ ـ ١٠١٤م.

ذكره ابن أبي أصيبعة باقتضابٍ شديد إلا أنه لم يغمطه حقه، فقد أثنى عليه بقوله: «كان كحالاً مشهوراً ومعالجاً مذكوراً، له خبرة بمداواة أمراض العين ودربة في أعمال الحديد»، وقد حاز كتابه شهرةً لا بأس بها فقد اقتبس منه كلٌّ من محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي (ت ١١١٠م) في كتابه (المرشد في الكحل)[٢]. وصلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي (ت ١٢٩٦) في كتابه (نور العيون وجامع الفنون)[٣] وخليفة بن أبي المحاسن الحلبي (ت ١٢٥٦) في كتابه (الكافي في الكحل)[٤].

حظي كتاب عمار باهتمام بالغ من إمام المستشرقين ومؤرخي طب العيون البروفسور يوليوس هيرشبرغ الذي أشبعه بحثاً وتمحيصاً، وترجمه إلى اللغة الألمانية بالاشتراك مع المستشرقين (ليبرت وميتفوخ) في كتابه الشهيرDie Arabischen augenarzte، الذي ضمنه ترجمة كاملة لكتاب عمار مع عرض مسهب لكتابي خليفة بن أبي المحاسن الحلبي وصلاح الدين الكحال

(١) تحقيق أ.د. محمد رواس قلعه جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعوية عام ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

(٢) الكتاب من تحقيق أ.د. محمد رواس قلعه جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي ونشر مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠.

(٣) الكتاب من تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعه جي نشـرمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية في الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧.

(٤) الكتاب من تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعه جي نشر المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة، في الرباط المملكة المغربية ١٩٩٠.

الحموي ونشره عام ١٩٠٥. وقد تمكنا من ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنكليزية ونشرته مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية[١].



كما قام المحقق والمستشرق الكبير البروفسور ماكس مايرهوف بدراسة هذا الكتاب ونشر عنه كتاباً أسماه (حكايات في قدح الماء) باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية ونشر عام ١٩٣٧ في برشلونة بإسبانيا[٢]. وقد ذكر في هذا الكتيب الأساليب الجراحية الستة التي اتبعها عمار في معالجة الساد (الماء النازل في العين) والتي أوردها في كتابه المنتخب، مما يدل على عبقريته الجراحية ومهارته في اختيار العمل الجراحي المناسب لكل حالةٍ على حدة، وتعديل العملية إذا اقتضت الحاجة.

---

(١) The Arabian Ophthalmologists: translated into English by: Pro Frederick C. Blodi, Wilfried. J. Rademaker, Gisela Rademaker and Kenneth F. Wildman, Edited by: M, Zafer Wafai, MD. Published by: King AbdulAziz City for Science and Technology, Riyadh, Saudi Arabia, 1413AH = 1993AD.

(٢) حكايات في قدح الماء: ماكس مايرهوف Laboratorios del notre de Espana، ١٩٣٧.

ولعل أعظم اسهام لعمار في جراحة العيون هو اختراعه (المقدح المجوف hollow couching needle) وهو عبارة عن إبرة مجوفة يدخلها الجراح داخل الماء الأبيض ويقوم المساعد بشفط محتويات الماء، والأهم هو الحذر الشديد الذي يؤكده عمار عند امتصاص الماء والتحذير من امتصاص الخلط الزجاجي لئلا تصاب العين بالضمور.

وقد تُرجم هذا الكتاب مراتٍ عدة إلى لغاتٍ عدة منها العبرية والتي قام بها ناثان هامعـــازي Nathan Ha M'athi نحــو ١٢٧٩م، واللاتينية التي قام بها (دايفيد هيرمينوس) من جامعة بادوا بإيطاليا ونشرها عام ١٤٩٩ باسم tractatus de Oculis Canamusali.

ولو لم يكن لهذا الكتاب أهمية علمية فريدة مقارنة بما ســواه من الكتب لما حظي بهذا الاهتمام من المترجمين والمستشرقين والمؤرخين.

ولإظهار هذه الأهمية أذكر بعض ما ورد فيه من ابتكارات في جراحة العين لم يسبقه أحدٌ إليها، فقد عرف عنه أنه كان كثير الترحال والتجوال (كما لوحظ من ذكر قيامه بعدد من العمليات في كلٍ من ديار بكر ومصر والكوفة). كما أنه كان شديد الثقة بنفسه إذ يقول في الصفحة الأولى من مخطوطة الكتاب: «إن قدرتي وعلمي بــه (يقصد علم الكحالــة) ما عجز عنه ســواي من أهل هذه الصناعة» ويقول أيضاً: «لم أذكر في هذا الكتاب شيئاً إلا وقد جربته وعالجت به الناس طول عمري فخذ منه على ثقة إن شاء الله».

أما الابتكارات فــلا أعرف أهم ولا أعظم من اختراعــه العبقري للمقدح المجوف والمصنوع من النحاس وقد ذكر ذلك بقوله: «وهذا المقدح ما سبقني أحدٌ قدح به».

والابتكار الثانــي هو تعديله للمقدح من مدور الــرأس إلى مثلث الرأس ويبرر ذلك بقوله: «وأما الشعيرة التي تكون للمقدح فإنما جعلت مثلثة لسببين:

أحدهما لأنه إذا فتح الموضع جُعل الموضـــع المفتوح له ثلاث زوايا لأنه إذا كان الجرح بزوايا كان أسرع برءاً أما إذا كان مدوراً كان أبطأ، فلهذا جعل مثلثاً، وأما السبب الثاني أنه جعل مثلثاً حتى إذا دخل في العين فأي جانبٍ وقع على الماء حدره».

ـ ويقترح لأول مرة في التاريخ جــرح القزحية وإحداث علقة دموية يعلق فيها الماء إذا تعذر قدحه.

ـ كما يذكــر لأول مرة في التاريخ انخلاع العدســة إلــى البيت الأمامي كاختلاط جراحي لعملية قدح الساد لما قد يسببه ذلك من وذمة قرنية معندة.

ـ كما يذكر لأول مرة في التاريخ عملية تفتيت وتقشير الساد واستخراجه.

ـ وكان أول من استعمل كلمة (الحدقة) بدل (ثقب العنبية)

ـ وكان أول من ذكر ووصف (الساد الهوائي)

وذكر صفات الجــراح الحاذق فقال: «ها هنا يحتــاج الطبيب الذي يقدح العين أن يكون ذا قدرة، ويحتاج إلى حدة نظر وثبات يده عن الرجفة».

المخطوطات:

لدى تحقيق الكتاب اعتمدنا على خمسة مخطوطات كـــانت متوفرة آنئذٍ وهي:

١ ـ الرباط: الخزانة العامة رقم ٧٨٢

٢ ـ القاهرة: طب طلعت ٦١٨

٣ ـ لندن: المكتبة البريطانية رقم ١٠٢٥٧

٤ ـ اسطنبول: أحمد الثالث رقم ٢٠٨ من ورقة ٤٥١ ـ ٤٦٩

٥ ـ إسبانيا: الأسكوريال رقم ٨٩٤ (وهي التي ترجمها ماكس مايرهوف)

أما البروفسور سزكين فقد ذكر ثمانية مخطوطات، ذكرت أربعة منها آنفاً وهي: الرباط القاهرة طب طلعت اسطنبول إسبانيا، وأغفل مخطوطة لندن، ولكنه أضاف أربعة مخطوطات لم تكن متوفرة لدينا وهي:

ـ القاهرة: طب تيمور ١٠٠ رقم ٥٩٢ ص ٢٤٣ ـ ٣١٠

ـ القاهرة: دار ـ طب رقم ١٣٥٠

ـ لينغراد: دون ذكر رقم

ـ حلب: حكيم، فهرس الأب سباط مجلد١، ص١٠٩، رقم ٩٤٦.

أما ما يؤخذ على الكتاب رغم عبقرية المؤلف وأصالة المحتوى فهو:

ـ اعتماده على كتاب (البصر والبصيرة) لثابت بن قرة الحراني واقتباسه المتعدد.

ـ خلو الكتاب من أي رسوم توضيحية (تشريحية أو أدوات جراحية) إلا من رسم واحد لمكواة في نسخة اسطنبول ص١٦.

ـ الإيجاز الشديد في بعض الفصول قد يصل إلى درجة المسخ.

ـ فشله في شرح أسباب الحول، بل وتخبطه في ذكر أسباب الحول، هل هو من أمراض ثقب العنبية (الحدقة) أم من أمراض الرطوبة الجليدية (العدسة)؟؟.

ـ لم يذكر شيئاً عن أمراض الشبكية أوالرطوبة الزجاجية.

غير أن هذه المآخذ البسيطة لا تنقص من القيمة العلمية والتاريخية لهذا الكتاب الفريد في محتواه ولا من عبقرية وريادة مؤلفه في مجال طب العيون.



٢٠ ـ ابن مندويه الأصفهاني[(١)] (ت ٤١٠هـ = ١٠١٩م):

هو أبو علي أحمد بن عبد الرحمٰن ابن مندويه، ينحدر من إحدى الأسر العريقة في مدينة أصفهان فقد كان والده شاعراً وأديباً وذا باعٍ طويلٍ في العلوم الشرعية. استدعاه عضد الدولة فنا خسرو (٣٣٨ ـ ٣٧٢هـ = ٩٤٩ ـ ٩٨٣م) إلى بغداد ليرأس فيها البيمارستان العضدي الذي أنشأه حديثاً، واشتهر بكونه طبيباً بارعاً غزير الإنتاج وتصدى لشرح بعض كتب جالينوس.

عدد له ابن أبي أصيبعة سبعة وأربعين كتاباً ورسالة كان من أشهرها كتاب (الجامع المختصر من علم الطب) وهو عشرة مقالات وكتاب (الكافي في الطب) أو ما يسمى بـ(القانون الصغير). وأما بالنسبة الكتب المتخصصة في طب العيون فذكر منها:

ـ رسالة إلى حمزة بن الحسن (في تركيب طبقات العين).

ـ رسالة إلى أبي الحسين بعنوان (الوارد في علاج انتشار العين).

إلا أن سزكين أضاف رسالة ثالثة بعنوان (في علاج ضعف البصر) وأشار إلى وجود نسخة في حلب، نحاس فهرس الأب سباط، ملحق ٤٤ رقم ٢٨٢١. كما أنه أشار إلى وجود نسخة من (رسالة في تركيب طبقات العين) في حلب، نحاس، سباط: ملحق ٤٤ رقم ٢٨٢٠. وقال أن هذه الرسالة كانت مصدراً رئيسيا لكتاب (الكامل في طب العين) لمؤلفه عبد المسيح الكحال (ت بعد سنة ١٧٧٣). فهرس الأب سباط مجلد ٢، ٧٤.

---

(١) انظر: أصيبعة / نجار: ١٢١/٣ ـ ١٢٥، السامرائي: ٤٦٤/٢ ـ ٤٦٦، حمارنة + رجب: ٢١٠، ١٠٨، ن. حمارنة: ٣٣/٢، كحالة: ٢٦٩/١، القفطي: ٤٣٢، ابن ايبك الصفدي: ٣٦/٦ ـ ٣٧، حاجي خليفة: ٥١٧، سزكين: ٥٢٥/٣ ـ ٥٢٨، لوكليرك: ٤٧٧/١ ـ ٤٧٨.

كذلك أشار إلى وجود نسخة من (رســالة في علاج انتشار العين) فهرس الأب سباط مجلد ٢، رقم٢٨٢١.

ولم يعلم أي شيء عن هذه المخطوطات زيادة عن ما ذكره سزكين.

٢١ ـ علي بن عيسى الكحال البغدادي[١] (ت ٤٣٠هـ ـ ١٠٣٩م)

ويعرفه الغرب اللاتيني بـ Jesu Hally

تذكرة الكحالين

ذكره ابن أبي أصيبعة باقتضاب وأثنى عليه بكونه «مشهوراً بالحذق في صناعة الكحل متميزاً فيهــا وبكلامه يقتدى في أمــراض العين ومداواتها، وكتابه المشـــهور (تذكرة الكحالين) هو الذي لا بد لــكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه».

أما السامرائي فقد أسهب في مدحه وأفرد له ثلاث صفحات ذكر فيها لقبه (شرف الدين) وأنه من أشـــهر أطباء العيون العرب وكتابه (تذكرة الكحالين) أفضل وأوســع ما كتبه العرب في هذا الاختصاص. لا يعرف الكثير عن نسبه وكل ما يعرف عنه أنه عاش ومارس الكحالة في بغداد وكان تلميذاً لأبي الفرج عبد الله بن الطيب (ت ٤٣٥هـ = ١٠٤٣م) ولم يذكر ذلك سواه، ونقل ذلك عنه حمارنة ورجب، كما ذكر السامرائي أنه كتب إضافة إلى تذكرة الكحالين كتاباً آخر أسماه (كتاب المنافع التي تســتفاد من أعضاء الحيوان) ولم نتمكن من توثيق هذه المعلومة.

(١) انظــر: أصيبعة/ نجار: ٤١٠/٢ ـ ٤١١، الســامرائي١: /٥١٩ ـ ٥٢٣، حمارنــة ورجب: ١٤٥ ـ ١٤٦، ن. حمارنــة: ٥٨/١ ـ ٦٤، كحالة: ١٦٣/٣، الزركلــي: ٣٠٨/٤، حاجي خليفة: ٣٩٠، ســزكين: ٥٤٠/٣ ـ ٥٤٤، هيرشــبرغ: ٥٣/٢ ـ ٥٩ و١٢٩ ـ ١٥٣، ســارتون١: /٧٣١، لوكليرك٤٩٨/١ ـ ٥٠٣ و٥٠٠/٢.

أما كتابه الأشهر (تذكرة الكحالين) فقد عدّه جميع المؤرخين أول كتاب باللغة العربية جمع كل ما كتب قبله فــي طب العيون، إذ عوض بكفاءة كبيرة عن كل ما ضاع أو اختفى من الكتب اليونانية القديمة، وأضاف معلومات جمّة مبتكرة من خبرته وبحوثــه وتجاربه في هذه الصنعة، فهــو لا غنى عنه لكل طبيب عيون. وبظهوره انتهت مرحلة تأسيس طب العيون في العصر الإسلامي، إذ جاء الكتاب ليتوّج الإنجازات الضخمة التي حصلت في القرنين التاســع والعاشر الميلاديين، وبه اكتملت المؤلفات العربية في الكحل وبلغت ذروتها.

أما هيرشبرغ إمام المؤرخين والمحققين في طب العيون فقد قرظه ومدحه بما يعجز عن ذلك سواه، وأفرد له ست صفحات في بدء كتابه (ص٥٣ ـ ٥٩) وأربعة وعشرين صفحة في وسط كتابه الموســوعي (ص١٢٩ ـ ١٥٣) إذ قال: «يكاد لم يصنف خلال القرون الثمانية التي تلت الكتاب أي كتاب آخر في علم طب العيون يماثله أو يفوقه» وأضاف: «كان يمكن لطب العيون في الغرب أن يبلغ مســتوى عالياً خلال هذه الفترة من الزمن وكان يمكن أن تحقق البشرية انتفاعاً أكثر لو أن ترجمته اللاتينية انتشرت واستخدمت بشكل أفضل».

ويؤكد أنه «توجب علينا أن ننتظر إلى مطلع القرن الثامن عشر إذ صارت نظرية كبلــر Kepler المتكاملة فــي علم الضوء وقياس الكســيرات Diopteric وانتشــر اســتعمال النظارت منذئذٍ، واذ حســم النزاع المزمــن عن الموضع التشــريحي للماء الأبيض (الســاد)، لنجــد كتباً أفضل في طــب العيون من (التذكرة). وهذه هي مكانة علي بن عيسى التاريخية والحضارية».

وتراه يدافع عنه بشراسة ويتهم كل من أهمله أو قلل من شأنه بـ«اللامسؤولية واللاموضوعية» وأخذ على عدد من المستشرقين والمؤرخين تلكؤهم في ترجمة الكتاب إلى لغةٍ لاتينيةٍ تليق به، كما أنه عاب على المستشــرق الكبير (لوسيان لوكليرك) عدم استطاعته أو رغبته بترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية.



إلا أن البروفسور سـزكين أشـار وجود ترجمة لاتينية يرجح أن (جيرارد الكريموني) قد أتمّها وطبعت في البندقية ـ ايطاليـا عامي ١٤٩٧ و ١٤٩٩. كما أشـار إلى وجود ترجمة تركية لم يعرف اسم مترجمها، موجودة في اسطنبول المكتبة السليمانية، مختلف رقم ٣٧.

وفي بدء القرن العشرين (١٩٠٣) نشر المستشـرق Pansier طبعة جديدة للترجمة اللاتينية باسـم Memoriale Oculariorum. وفي السـنة نفسها نشر الدكتور عارف أرسلان (بيروت) الترجمة الفرنسـية للجزء الأول المتعلق بتشريح العين.

أما أحدث ترجمة لهذا الكتاب الذي بقي ثمانمائة سـنة مرجعاً لطلاب وأطباء العيون فهي الترجمة الإنكليزية التي قام بها Casey A. Wood عام ١٩٣٦ ونشرتها جامعة Northwestern في شـيكاغو، وقد قدّم لها بمقدمة مستفيضة بلغت سـبع عشـرة صفحة لا بدّ لكل باحثٍ من أن يقرأهـا ليعرف عظمة الكتاب ومؤلفه.

وكانت آخر طبعة لهذا الكتاب هي الطبعة باللغة العربية التي أشرف على تصحيحها والتعليـق عليها (الحكيم السـيد غـوث محيي الديـن القادري الشرفي)، ونشرتها مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، بالهند عام ١٣٨٢هـ = ١٩٦٤م.

أما السبب الرئيسـي لاعتبار الكتاب فريداً من نوعه وبهذه الأهمية التي جعلت هيرشبرغ يستميت بالدفاع عنه ويهاجم كل من أهمل أو حطّ من شأن الكتاب فلأنه اعتبره نقطة تحوّل جريئة ورائدة في أسلوب تأليف وكتابة الكتب المتخصصـة في طب العيـون لأنه أصبح مثـالاً وقدوّة لكل مـن أعقبه من المؤلفين في هذا المجال.

فقد بدأت المقالة الأولى بذكر تشريح العين وطبقاتها وأعصابها وعضلاتها وأربطتها ورطوباتها وآلية الإبصار.

أما المقالة الثانية فبحث فيها في أمراض الجفن ثم الملتحمة ثم القرنية ثم أمراض الحدقة.

وخلافاً لأسـلوب (حنين بن اسـحق العبادي) فـي التأليف فقد ذكر بطريقة نموذجية:

١ ـ أعراض المرض التي يشتكي منها المريض

٢ ـ علامات المرض وما يراه الطبيب عند فحص المريض.

٣ ـ التشخيص التفريقي للمرض عن سواه من الأمراض.

٤ ـ المعالجة الغذائية بالاستفراغ أو بإطلاق البطن.

٥ ـ المعالجة الدوائية بالأدوية المفردة.

٦ ـ المعالجة الدوائية بالأدوية المركبة.

٧ ـ المعالجة الجراحية إذا ثبت استطبابها.

أما المقالـة الثالثة فتبحث فـي الأمراض الخفية عن الحـس، واتبع في دراستها الأسلوب النموذجي الذي اتبعه في المقالة الثانية.

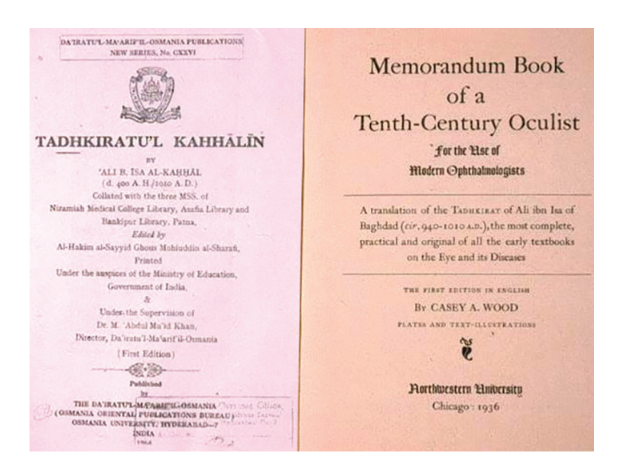
والغريب أنه يذكر في الباب الخامس والعشـرين من هذه المقالة شرحاً تفصيلياً لمرض التهـاب الشـريان الصدغـي Temporal Arteritis والطريقة الجراحية لعلاجه بسلّ الشـريان الصدغي، والذي يعتبر فتحاً علمياً للأطباء العرب والمسلمين عامةً ولـ علي بن عيسـى خاصةً، إذ لم يذكره أحد ممن سـبقوه لا بل لم يعرف هذا المرض ولم يدرس سريرياً حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

المخطوطات:

ذكر البروفسور سزكين إحدى وعشرين مخطوطة لهذا الكتاب موزعة في أنحاء العالم كما يلي:

- اسطنبول: خمس مخطوطات.
- غوته، ألمانيا: مخطوطة واحدة.
- توبنغن، المانيا: مخطوطة واحدة.
- المتحف البريطاني: ثلاث مخطوطات.
- باريس: مخطوطة واحدة.
- الفاتيكان: مخطوطة واحدة.
- تشستر بيتي (إيرلندا): مخطوطتين.
- القاهرة: مخطوطتين.
- بنكيبور: مخطوطة واحدة.
- حلب: مخطوطة واحدة.
- سان بطرسبرغ: مخطوطة واحدة.
- رامبور: مخطوطة واحدة.
- طهران: مخطوطة واحدة.





DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. CXXVI

TADHKIRATU'L KAHHĀLĪN

BY
'ALI B. ISA AL-KAHHAL
(d. 400 A. H./1010 A. D.)
Collated with the three MSS. of
Nizamiah Medical College Library, Asafia Library and
Bankipur Library, Patna,
Edited by
Al-Hakim al-Sayyid Ghous Mohiuddin al-Sharafi,
Printed
Under the auspices of the Ministry of Education,
Government of India,
&
Under the Supervision of
Dr. M. 'Abdul Mu'id Khan,
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania
(First Edition)

Published
by
THE DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD—7
INDIA

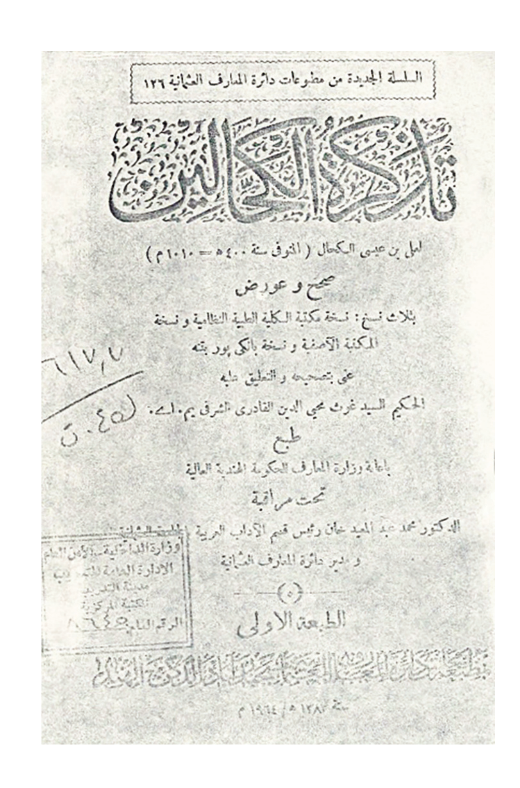
Memorandum Book
of a
Tenth-Century Oculist
For the Use of
Modern Ophthalmologists

A translation of the Tadhkirat of Ali ibn Isa of Baghdad (cir. 940-1010 A.D.), the most complete, practical and original of all the early textbooks on the Eye and its Diseases

THE FIRST EDITION IN ENGLISH
By CASEY A. WOOD
PLATES AND TEXT-ILLUSTRATIONS

Northwestern University
Chicago: 1936

صورة غلاف الترجمة الإنكليزية.



السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ١٢٦

تذكرة الكحالين

لعلي بن عيسى الكحال (المتوفى سنة ٤٠٠هـ = ١٠١٠م)
صحح و عورض
بثلاث نسخ: نسخة مكتبة الكلية الطبية النظامية و نسخة
المكتبة الآصفية و نسخة بانكى پور پتنه
عني بتصحيحه و التعليق عليه
الحكيم السيد غوث محي الدين القادري الشرفي بم.ا.ے.
طبع
باعانة وزارة المعارف الحكومة الهندية العالية
تحت مراقبة
الدكتور محمد عبد المعيد خان رئيس قسم الآداب العربية
و مدير دائرة المعارف العثمانية
الطبعة الاولى
بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند
سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م

٢٢ ـ زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى[1] (ت حوالي ٤٦٠هـ = ١٠٦٧م):

كتاب في أمراض العين ومداواتها

طبيبٌ نصراني من النساطرة، أصله من مدينة السن القريبة من كركوك بالعراق، مارس الطب في ميافارقين في بلاط نصير الدولة بن مروان الدوستكي (٤٠١ ـ ٤٥٦هـ = ١٠١٠ ـ ١٠٦٣م) الذي كان يجلّه ويحترمه، ثم كلفه ببناء البيمارستان والذي غدا من أفخم البيمارستانات في زمانه.

وعدد له ابن أبي أصيبعة خمسة كتب أحدها في طب العيون أسماه (كتاب في أمراض العين ومداواتها)، ولا يعرف أي شيء عن مصير هذا الكتاب أو مستواه العلمي.

٢٣ ـ علي بن ابراهيم بن بختيشوع الكفرطابي[2] (ت بعد ٤٦٠هـ = ١٠٦٨م):

تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها

بقي هذا العالم الجليل وكتابه (تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها) مغمورين ولم يعرف عنه أو عن كتابه شيئاً، ولم يذكره أحدٌ من مؤرخي الطب كابن أبي أصيبعة أو الباحثين في التراجم كابن النديم أو القفطي أو غيرهم، ولم يعرف عنه أي شيء حتى ذكره العلامة ماكس مايرهوف في مقدمة كتابه (العشر مقالات في العين) الذي حققه وترجمه إلى اللغة الانكليزية، فقد قال في الصفحة ١١ «هذا الكتاب مجهول ولم يذكره أحدٌ سواي وتوجد منه نسختان خطيتان كاملتان في مكتبتي لينينغراد والقاهرة». والذي يطّلع على نسخة

---

(١) انظر: أصيبعة/نجار: ٤٢٠/٢ ـ ٤٢٢، السامرائي: ٤٩٦/٢، حمارنة ورجب: ٢١٤، ١٥٦، كحالة: ١٨٠/١٣، لوكليرك ٤٩٧/١ ـ ٤٩٨.

(٢) انظر السامرائي: ٥١٢/٢، حمارنة + رجب: ١٥٣ ـ ٣٤٥، ٢١٣، ١٥٤، كحالة: ٤/٣، الزركلي: ٢٥٠/٤.

القاهرة (طب تيمور رقم١٠٠) يقرأ في ختامها ما كتبه الناسخ محمود صدقي إذ قال: «وقد وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب في صباح يوم الأربعاء ١٣ رمضان سنة ١٣٤٨هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٣٠م نقلا عن نسخة استحضرها جناب الدكتور ماكس مايرهوف الطبيب الأخصائي في العيون من مدينة لينينغراد عاصمة روسيا بالتصوير الشمسي»[١]. وبذلك نعرف أن أصل الكتاب موجود في لينينغراد ونسخها طبيب اسمه (عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن بسام بن عمار الأنصاري المقدسي) ويقول الناسخ أنه «وقع الفراغ بنسخها سنة ٥٥١ للهجرة النبوية» وبهذا تكون هذه المخطوطة قريبة جداً من عهد المؤلف أما نسخة القاهرة فهي نسخة عنها.

وقد قيض الله لهذا الكتاب الدكتور محمود أحمد صقر و أ.د. محمد رواس قلعة جي وكاتب هذه السطور فقمنا بتحقيق الكتاب بناءً على نسخة القاهرة وتحديث المعلومات ووضع ملاحق وفهارس للأدوية المفردة والأدوية المركبة والأسماء التشريحية ونشر عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م[٢].

تدل نسبة المؤلف الكفرطابي على أنه وُلد وترعرع في مدينة (كفرطاب) وهي قرية اندثرت منذ أمدٍ بعيد تقع على الطريق بين حلب ومعرة النعمان في سورية، ويبدو أنه تعلم مهنة الكحالة من ملازمته لوالده إذ كثيراً ما يذكر في الكتاب بعض الأدوية المركبة التي استعملها والده وأبرأت بعض المرضى كما أنه مدح وكرر مراراً مهارة والده في صناعة الكحل، فيقول في عدة مواقع من الكتاب: «كحل وجدته بخط والدي في كتبه».

(١) مايرهوف: مقدمة العشر مقالات في العين ص١١ ـ ١٢.

(٢) تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها، تأليف علي ابن ابراهيم ابن بختيشوع الكفرطابي، تحقيق وتعليق وتدقيق الدكتور محمود أحمد صقر، أ.د. محمد رواس قلعه جي، و أ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر مكتبة العبيكان الرياض، المملكة العربية السعودية عام ١٤١١هـ = ١٩٩١م.



ويبدو ممــا ورد في الكتــاب أنه سافــر إلى اليمــن واتصل ببعض العلمـاء، فقد ذكر أنه التقى بقاضي اليمن «أسعد»؟؟، ثـم قضى شطراً من حياته في مصر إذ يحدثنا عن معالجته لابي نصر؟؟ في القاهرة عام ٤٦٠هـ وقد أبرأ علته، كما ذكر أنه عالج امرأة كبيرة بالســن في القاهرة أيضاً وفي السنة نفسها.

ونلاحظ في لغة الكتاب التكلف الشــديد من قبل المؤلف بحرصه على استعمال لغة عربية ســليمة جداً وإجهاد النفس في السجع، إلا أنه اضطر إلى استعمال المصطلحات العلمية باللغة اليونانية رغم توفر البدائل باللغة العربية منذ عهد حنين بن إسحق.

أما محتوى الكتاب فإنه لسوء الحظ لا يطابق عنوانه، إذ لم يذكر تشريح العين إلا في جزء من صفحة واحدة ولم يتكلم عن شكلها، غير أنه أسهب في الكتابــة عن مــداواة أمراضها، هــذا بالإضافة إلى أنه أثــرى الكتاب بمعلومات تشريحية عامة عن جسم الإنســان وما فيه من عضلات وعظام وأعصاب، كمــا يجد القارئ ذكــره لأدوية لا علاقة بهــا بالعين كمعالجة الأســنان وذكره دواء يقوي اللثة وينبت اللحم وآخر يطيب النكهة ويقوي الأسنان، ودواء آخر لقطع البواسير، كما أنه عدد أمراض البيضية والزجاجية والجليدية وأمراض الروح الباصر ولم يعالج أيّاً منها.

ويعاب عليه أنه أهمل نهائياً ذكر أمراض العصب البصري وأمراض الشبكية والمشيمية والعضلات المحركة للعين ولم يتطرق إلى آلية الابصار.

وأهم ما يميز هذا الكتاب الاختصار الشديد والمخل أحياناً وخلوه من أية رسوم سواء تشريحية أو الادوات الجراحية.

بالجملة فإن الكتاب لم يضف إلى علم الكحالة ما يستحق الذكر.



٢٤ ـ أبو الفرج بن الطيب[(١)] (ت ٤٣٥هـ = ١٠٤٣م):

كتاب تعاليق في العين

ذكر السامرائي أن المؤلف توفي في بغداد نحو ٤٣٥هـ = ١٠٤٣م وقال انه «أدرك خلافة القائم بأمر الله الذي حكم ٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ = ١٠٣١ ـ ١٠٧٥م »

هو أبو عبد الله أبو الفرج بن الطيب، سرياني من نصارى بغداد كان ضليعاً باللغات الرومية واليونانية والعربية درس اللاهوت في بدء حياته وحاز في الكنيسة مكانة مرموقة حتى شغل مكتب الجاثليق في بغداد، ثم تعلم الطب على يد ابن سوار (ت ٣٣٠هـ = ٩٤٩م) وعمل في البيمارستان العضدي وكان من الأطباء المشهورين في صناعة الطب، كما كان واسع العلم جليل القدر كثير التصنيف خبيراً في الفلسفة والمنطق، عدد ابن أبي

(١) انظر أصيبعة / نجار: ٣٧٨/٢ ـ ٣٨٥، السامرائي: ٥٠١/١ ـ ٥٠٤، حمارنة ورجب: ٣٩١، ٣٨٨، كحالة: ٦٦/٦، الزركلي: ٢٧٧/٤، القفطي: ٢٣٣.



أصيبعة له واحداً وأربعين كتاباً منها تسعة كتب تفسير لكتب أرسطوطاليس، وأربعة كتب تفسير لكتب أبقراط، وسبعة عشر كتابَ شرحٍ وتفسيرٍ لكتب جالينوس، وكتاب شرح لكتاب حنين بن إسحق اسمه (شرح ثمار المسائل)، وتفسير كتاب أيساغوجي لفورفوريوس، وسبع مقالات في مجالات مختلفة، وكتاب واحد في طب العيون أسماه (تعاليق في العين)، بالإضافة إلى كتاب في شرح الإنجيل، ولذلك غلب عليه لقب (أبو الفرج المفسر). وبلغ من شهرته وعلو منزلته في الطب أن تتلمذ على يده عدد من كبار الأطباء القرن الحادي عشر الميلادي أمثال الشيخ الرئيس ابن سينا وابن بطلان البغدادي وهبة الله بن أثردي وزهرون الصابئي وظافر بن جابر السكري وعلي بن عيسى الكحال، كما أنه كان من معاصري ابن الهيثم والناتلي، وبذلك يقر كل من كتب عنه أنه كان أستاذاً جليلاً حمل مشعل الفكر الطبي الفلسفي وشرح الكتب القديمة شرحاً مبسطاً شافياً ليسهل فهمها على المتعلمين.

٢٥ ـ ابن وافد اللخمي[(١)] (٣٨٨ ـ ٤٦٨هـ = ٩٩٨ ـ ١٠٧٥م):

كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر

ويعرف بالغرب باسم Abengefit

هو الوزير ذو الوزارتين (أبو المطرف عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي) من أشراف طليطلة في الأندلس خدم في بلاط (المأمون بن ذي النون)، ودرس الطب على أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي واهتم وتأثر بأفكار ديوسقوريدس

(١) انظر: أصيبعة / نجار: ٢٣١/٣ ـ ٢٣٢، السامرائي: ٤٦٧/٢ ـ ٤٦٨، حمارنة ورجب: ٦٧، ١٠١، ١٥٢، ١٥٣، ٢١١، ٢١٢، كحالة: ١٨٩/٥، القفطي٢٢٥ ـ ٢٢٦، سارتون: ٧٢٨/١، لوكليرك ٥٤٥/١ ـ ٥٤٧، هيرشبرغ ٧٣/٢ ـ ٧٤.

وجالينوس، وكان له ولع خاص بالأدوية المفردة وألف فيها كتاباً غدا مرجعاً لابن البيطار، وكان يؤثر الغذاء على الدواء والأدوية المفردة على المركبة.

عدد له ابن أبي أصيبعة خمســة كتب أضاف إليها السامرائي كتاباً سادساً اسمه (رسالة في الطب).

أما في طب العيون فله كتابٌ واحد أســماه (تدقيق النظر في علل حاسة البصر) لم يعثر له على أثر، ويبدو أنه كان معروفاً لدى الكحالين حتى القرن الثامن عشر الميلادي فقد اعتمده خليفة بن أبي المحاسن الحلبي وذكره ضمن مراجعه ص ٣١ ـ ٣٢[١] وعبد المسيح[٢] والبالســي[٣] الذي اختصر كتاب ابن وافد وذلك سنة ١١٧٥هـ = ١٧٦١م.

وانفرد نشأت حمارنة بذكر منظومة شعرية طبية له مؤلفة من خمسة آلاف بيت شعر وذكر أنها محفوظة بالمكتبة الوطنية في تونس دون ذكر الرقم؟.)

٢٦ ـ محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي[٤] (ت بعد ٥٩٥هـ = ١٠٩٧م):

كتاب المرشد في الكحل

بقي المؤلف وكتابه (المرشــد في الكحل) مغموريــن ومجهولين عقوداً طويلة من الزمن فلم يرد ذكره في كتــب ابن النديم أو ابن أبي أصيبعة أو ابن جلجل المعروفين بدقتهم في تقصي الترجمات وتدوينها، ويبدو أن الغافقي لم ينل شهرةً مهنيةً، مما جعل المؤرخين القدامى يتاجهلون ذكره.

(١) الكافي في الكحــل: خليفة بن أبي المحاســن الحلبي: تحقيق: أ.د. محمــد ظافر الوفائي وأ.د. محمد رواس قلعه جي.

(٢) عبد المسيح الكحال الحلبي ـ الكامل في طب العيون، حمارنة ورجب: ١٩٤، ٢١٢.

(٣) محمد بن علي البالسيّ الكحال (حمارنة ورجب ص ٢١٢).

(٤) الســامرائي: ٥١٨/٢ ـ ٥١٩، حمارنة ورجــب: ١٥٧، ١٥٩، ٢١٥ ـ ٢١٦، هيرشــبرغ ٢: /٧٧ ـ ٧٩، سارتون: ٣٠٥/٢، لوكليرك٨١/٢ ـ ٨٢.

ويعتقد أن أول من ذكـره حديثاً هو القس السـوري ميخائيـل الغريزي المعـروف باسـم casiri[١] الذي وضع عـام ١٧٦٠ فهرسـاً باللغـة اللاتينية للمخطوطات العربية في مكتبة الاسـكوريال، فقد ذكر مخطوطة هذا الكتاب وذكر رقمها ٨٣٥. ثم تبعه وستنفيلد في كتابه عن الحضارة العربية الذي نشره عام ١٨٤٠[٢] ثم تبعه لوكليرك عام ١٨٦٧، ثم قدم Pansier دراسة عن هذا الكتاب مع مجموعة كتب عن طب العيون عام ١٩٠٣[٣]، وفي عام ١٩٢٥ أشـار العلامة هيرشبرغ وليبرت وميتفوخ إلى مخطوطة الإسكوريال الضخمة دون أن يدرسها أو ينشرها[٤].

وفي عام ١٩٣٣ قام العلامة ماكس مايرهوف بدراسة المخطوطة ثم ترجم قسماً منها (من ص ٢٦٥ إلى ص ٤٠٦) إلى اللغة الفرنسية ونشرها في برشلونة بإسبانيا[٥]. ثم قدم الدكتور حسن علي حسن دراسة عن هذا الكتاب كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في جامعة مدريد عام ١٩٧٧[٦].

يدل اسـمه على أنه ولد وعـاش وترعرع فـي مدينة غافـق التي يعتقد المستشرق الإسـباني البروفسور ميغيل أسين بالاسـيوس (Prof. Miguel Asin Palacios) أنها مدينة (de Quigo) الحالية في منطقة Pedroche من أعمال قرطبة.

---

(١) Casiri: Bibliotica Arabico- Hespana Escorialensis, Vol.1 Page 274 matriti 1760.

(٢) Geschichte der Arabischen aerzte und naturforscher Gottengen .Wustenfeld, 1840.

(٣) Collectio ophthalmologica veterum aucorum, facs. I-VII. pansier, Paris 1903.

(٤) unter mitwirkung von J. lippert und E. Mittwoch- 5 -J. Hirschberg: die Arabischen lehrbucher der augenheilkunde, ibea beitet von J. Heirschberg (anhang zu den abhandlungen). d.kga. Preussischen Academy Mie der wissenschaften

(٥) le guide d' ocullistique de mohamad ibn Qassum ibn aslam el ghafiqi: Meyerhof M Barcelona – espagne: laboratories de nord de. L' espagna-1 933.

(٦) tesis doctorar resume (la Ophthalmologia De Al -ghafiqi) sigio XII) Por Hassan Ali Hassan, 1977.

ثم قمنا (أ.د. محمد رواس قلعه جي و أ.د. محمد ظافر وفائي) بتجميع كل النسخ المخطوطة المعروفة لهذا الكتاب وهي:

ـ الإسكوريال رقم ٨٣٥.

ـ القاهرة رقم ١٨٠٨ وهي نسخة طبقة الأصل عن نسخة الإسكوريال تم نسخها عام ١٩٣٧،

ـ القاهرة ٣٣١٩ نسخة عن نسخة القاهرة رقم ١٨٠٨ دون ذكر تاريخ النسخ.

وقمنا بتحقيق المخطوطة وتدقيقها والتعليق على المعلومات الواردة فيها مع مقارنتها بما يتلاءم مع التقدم العلمي الهائل في طبّ العيون. ثم قامت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في الرياض مشكورةً بنشر الكتاب عام ١٩٩٠[١].

ومما يذكر للمؤلف أنه اطلع وقرأ واقتبس من معظم ما كتبه سابقوه في مجال طب العيون فقد ذكر لنا ثلاثة وعشرين عالماً من العرب واليونان وغيرهم، كما أنه عدد خمسة عشر كتاباً من أوائل ما كتب في طب العيون واقتبس قدراً لا بأس به من (تذكرة الكحالين) لـ علي بن عيسى الكحال و(العشر مقالات في العين) لحنين بن إسحق العبادي.

كما أنه عدد ووصف أكثر من خمسمائة دواءً مفرداً وتسعة وستين دواءً مركباً، وكان كثيراً ما يعلق على بعض هذه الأدوية، وكان يعدل بمقادير هذه الأدوية بحسب ما اختبره هو شخصياً، ومن الملاحظ أنه تحاشى استعمال أي دواء محرم شرعاً كالخمور أو شحم الخنزير.

---

(١) كتاب المرشد في طب العين تأليف محمد بن أسلم بن قسوم الغافقي، تحقيق وتعليق أ.د. محمد رواس قلعه جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي
نشر: الادارة العامة للتوعية العلمية والنشر، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية عام ١٩٩٠.



وذكر في مقدمة كتابـه أنه يحرص علـى أن يكون كتابـه (كاملاً لا ينقصه شيء) ويعتقد أنه حقق ذلك، وقد رسم أربعة عشر أداةً جراحية صنعها بنفسه.

ونظراً لأن الكمال لله وحده فلا بد أن نذكر بعـض المآخذ على الكتاب فمنها مثلاً أنه توسع في الوصف التشريحي ووظائف الأعضاء وعلاقتها بعضها ببعض بشكل كبير، كما توسع في الأحوال النفسية وتأثيرها على العين دون أن يكون هناك مبرر لهذا الشرح والإطالة، كما أن الكتاب يحتوي على سيل من الأخطاء اللغوية والنحوية.

ويمكننا أن نخلص إلـى نتيجة منصفة، فنقول مع أن الكتاب سـيء من الناحية التصنيفية وضعيف جداً لغوياً ونحوياً إلا أنه يعتبر مراجعةً شـاملة لما كتبه سابقوه.





٢٧ ـ عبدالله بن قاسم الحريري الإشــبيلي البغدادي[١] (٥٩١ ـ ٦٤٦هـ = ١١٩٥ ـ ١٢٤٨م):

نهاية الأفكار ونزهة الأبصار

هو أبو محمد عبدالله بن قاسم بن محمد بن خلف اللخمي الإشبيلي، ولد (بجزيرة شقر)[٢] القريبة من ساحل الأندلس موطن أسلافه عام ٥٩١هـ = ١١٩٥م، درس القرآن وأتقنه وهو ابن عشر سنوات، ثم انتقلت عائلته إلى (إشبيلية) وهناك تتلمذ على يد (ابن الرومي)[٣] ولازمه حتى توفي، ثم تابع دراسة الفقه والحديث على كبار علماء إشــبيلية، وبرع في صناعة الخط، عمل في شــبابه في صناعة الحرير وســمي (الحرَار) غير أنه أثر عليها كلمة الحريري وعُرف بذلك. ويشاع عنه أنه قرض الشــعر يافعاً، ويقال أن عدد شــيوخه زاد على المئتين مما جعله يؤلف كتاباً ترجم فيه حياتهم وذكر أعمالهم سماه (كتاب الدرر والفرائد في نخب الأحاديث وتحف الفوائد) ثم ألف كتاباً بشيخه الأثير أسماه (نثر النور والزهر).

ونظراً لولعه بأخبار العلماء الأندلسيين ألف كتاباً سمّاه (المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشــكوال[٤] وابن الفرضي[٥]) ترجم فيه لكثير من أهل

---

(١) السامرائي: ٥١٠/٢، حمارنة + رجب: ١٦٢ ـ ١٦٤، كحالة: ١٠٤/٦، الزركلي: ١١٤/٤.

(٢) جزيرة شــقر: هي جزيرة صغيرة تقع في جنوب شــرقي اســبانيا وتســمى حالياً جزيرة (خثيرس).

(٣) ابن الرومية: (٥٦١ ـ ٦٣٧هـ = ١١٦٦ ـ ١٢٣٩م)، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرح بن أبي الخليل المشهور بـ(النباتي)، عالم أندلســي ولد وتعلم في اشبيلية، برز في علم البات والأدوية، تتلمذ عليه ابن البيطار (العشاب الأشهر).

(٤) ابن بشكوال: (ت ٥٧٨هـ = ١١٨٣م) هو القاســم خلف الأنصاري الخزرجي بن عبد الملك الأندلسي القرطبي، قاضي ومؤرخ ولد وعاش وتوفي في قرطبة.

(٥) ابن الفرضي (٣٥١ ـ ٤٠٣هـ) هو أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، ولد وعاش في قرطبة وزار المشرق الاسلامي لدراســة الفقه والحديث، له عدة مؤلفات أهمها: تاريخ علماء الأندلس وأخبار شعراء الأندلس.



الاندلس. ثم ألف كتاباً في الأنساب سمّاه (حديقة الأنوار) وجعله ذيلاً لكتاب (اقتباس الأنوار والتباس الازهار) لمؤلفه الرشاطي[(١)].

ثم أولع بالطب ودرسه وتعمق فيه حتى إنه عشق فن الكحالة فأمضى معظم وقته في دراسة هذا الفن لأنه كما قال في مقدمة كتابه «الكحل هو أول مراتب العلاج في الطب»، وللاستزادة من هذا الفن فقد سافر إلى العراق وبلاد الشام وبلاد فارس ومصر وشمال إفريقيا غير أنه قضى وقتاً طويلاً في العراق ومن هنا جاء لقبه (البغدادي). ثم عاد أخيراً إلى وطنه واستقر في إشبيلية وعكف على تدوين ما جمعه في ترحاله إضافة إلى تجاربه الخاصة، وألف كتاباً يعتبره من أشمل ما كتب في طب العيون سمّاه (نهاية الأفكار ونزهة الأبصار)[(٢)] قدمه إلى الملك شاه أرمن أبي الفتح موسى ابن الملك العادل أبي بكر[(٣)]، أحد سلاطين السلاجقة الذي اتخذ مقره في (خلاط) من مدن أذربيجان، وجعل كتابه مرتباً على مقدمة وأربعة أجزاء، وقسم كل جزءٍ إلى أقسام وكل قسمٍ إلى فصول فجاء هذا الكتاب آية في الترتيب والتنظيم. وبدأ بدراسة أحوال العين وشرفها وفعلها ووضعها ومداها، ثم انتقل إلى الأدوية المفردة وأجناسها وقواها وأفعالها بالعين، ثم بحث في أمراض العين الجزئية وعلاجاتها مرضاً مرضاً، وخصص الجزء الرابع للأدوية المركبة المستعملة في أمراض العين كحلاً وشرباً وسعوطا وضماداً.

---

(١) الرشاطي (٤٦٦ ـ ٥٤٢هـ = ١٠٧٤ ـ ١١٤٧م) هو أبو محمد عبدالله بن علي بن عبدالله اللخمي الأندلسي، عالم بالأنساب والحديث من أهل (أوريولة)، قرب المرية، له كتاب (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار).

(٢) نهاية الأفكار ونزهة الأبصار، تأليف عبدالله بن قاسم الحريري الاشبيلي البغدادي، تحقيق وتعليق د. حازم البكري ود. مصطفى شريف العاني،
نشر: دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ـ العراق ١٩٧٩.

(٣) أرمن ابو الفتح موسى (٢٦٦ ـ ٣٥١هـ = ١١٨٢ ـ ١٢٣٧م) هو الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى بن الملك العادل محمد بن أيوب من ملوك الأيوبيين، ولد في القاهرة وتوفي في دمشق.

وعند قراءة الكتاب والتمعــن فيه يتبين أن مؤلفه واســع الاطلاع غزير المعرفة إلا أنه لم ينل حظه من المهارة الجراحية كغيره من الكحالين، وقد اقتبس كثيراً من كتاب حنين بن اسحق (العشــر مقالات في العين) وكتاب علي بن عيسى (تذكرة الكحالين). إلا أنه يؤخذ عليه أنه لم يضع أية رسوم توضيحية سواء لتشــريح العين أو للأدوات الجراحية، كما أنه لم يذكر أي شيء ذي قيمة علمية عن آلية الإبصار والنظريات المختلفة في تفسيرها، على عكس معاصره صلاح الدين الكحال الحموي صاحــب كتاب (نور العيون وجامع الفنون) الذي أفرد فصلاً مطولاً في شرح آلية الإبصار وآراء العلماء والحكماء فيها.

وعلى أي حال يمكن اعتبار كتــاب (نهاية الأفكار ونزهة الأبصار) جامعاً لمعظم ما يحتاج إليه الطبيب الممارس وخاصةً الكحال، فهو مرجع شــامل ومنظم يغني القارئ عن البحث المضني عن المعلومة.





٢٨ ـ خليفة بن أبي المحاسن الحلبي[١] (ت بعد ٦٥٤هـ = ١٢٥٦م):

كتاب الكافي في الكحل.

لم تذكر المراجع المعتمدة وكتب التراجم أي شيء عن هذا العالم الفذّ، ولم يذكر تاريخ ولادته أو وفاته، حتى إن ابن أبي أصيبعة لم يذكره على الاطلاق، كما لم يذكر ابن النَّفيس وصلاح الدين الكحال الحموي، رغم أن العلماء الأربعة بما فيهم ابن أبي أصيبعة عاشوا في بلاد الشام (سورية اليوم) وفي الفترة الزمنية ذاتها أي القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، ودرسوا الطب في المكان ذاته أي البيمارستان النّوري، وأشرف عليهم الدخوار الذي كان رئيساً للأطباء في ذلك البيمارستان، وقد يكون ذلك التجاهل من قبل ابن أبي أصيبعة بسبب الحسد والغيرة مما وصل إليه هؤلاء العلماء من مكانةٍ علمية مرموقة، خلافاً له، إذ هو لم يبلغ شأوًا يذكر في مجال الطب، وإن كان من كتاب التراجم الروّاد.

والأغرب من هذا تغافل المؤرخين المعاصرين في القرن العشرين عن ذكر اسمه أو الإشارة إليه أو إلى كتابه كـ «خير الدين الزركلي» صاحب (الأعلام)، و«عمر رضا الكحالة» صاحب (معجم المؤلفين) و(المستدرك على معجم المؤلفين). و«محمود دياب» صاحب كتاب (الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية)، و«الدكتور أحمد عيسى» صاحب كتاب (معجم الأطباء، ذيل عيون الأنباء). وبعد سنين من هؤلاء المؤرخين العمالقة يذكره الأستاذ الدكتور كمال السامرائي بما لا يزيد على السطرين والنصف، ثم يتبعه نشأت حمارنة ورجب فيفردان له صفحتين من كتابهما دون أن يضيفا شيئاً على ما قاله من سبقهما.

---

(١) انظر: السامرائي: ٤٩١/٢، حمارنة ورجب: ١٦٤ و١٦٦، أمين خير الله: ٨١، لوكليرك: ١٤٥/٢ ـ ١٤٧، هيرشبرغ: ٨٣/٢ ـ ٨٦، سارتون: ٧٨٩/٢ و١١٠١/٢.

ويعود الفضل بعد الله تعالى إلى المستشـرق والمؤرخ الفرنسـي الشهير لوسـيان لوكليرك في اكتشـاف المخطوطة الوحيدة لهذا الكتاب في المكتبة الوطنية في باريس ذات الرقم Arabe ١٠٤٣d أما الآن فتحمل الرقم Arabe ٢٩٩٩، وقد كتب فكرة موجزة عنها في كتابه الأشـهر بلغـت صفحتين عرض فيهما محتوى الكتاب. ثم تتالت البحوث تنشر عن هذا الكتاب ومحتواه ومضامينه دون الالتفات إلى الكاتب ومهاراته.

ويمكن أن نستنتج تاريخ وفاته من حدثين وقعا له في مدينة حلب شمالي سورية، فقد ذكر الحدث الأول في الصفحة ١١٤ وقد وقع عام ٦٥٢هـ = ١٢٥٢م وذكر الحادث الثاني في الصفحة ٤٥٨ وقـد وقع عام ٦٥٤هـ = ١٢٥٤م وبذلك يمكننا أن نقدِّر أنه توفي بعد سنة ٦٥٤هـ = ١٢٥٤م.

ويبدو من قراءة الكتاب أن المؤلف ولد وعاش ومارس الطب في حلب، وألّف كتاباً فريداً في فصوله ورسـوماته التوضيحية، ويبـدو ذلك خاصةً في نسخة إسـطنبول التي تفوق نسـخة باريس دقةً وأناقةً. وبعد أن ذكر لوكليرك الكتاب ومؤلفه في كتابه الشـهير قام المؤرخ الألماني الأشهر وطبيب العيون J. Hirschberg مع المستشرقين J. Lippert و E. Mittwoch بدراسة الكتاب بشكلٍ مفصل، وكتبا كتاباً باللغة الألمانية سمّوه Die Arabischen Augenarzte[(١)] وتضمن هذا الكتاب دراسة دقيقة وعميقة لثلاثة كتب في طب العيون هي:

١ ـ المنتخب في علم العين، لعمار بن علي الموصلي.

٢ ـ الكافي في الكحل، لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي.

٣ ـ نور العيون وجامع الفنون، لصلاح الدين الكحال الحموي.

---

(١) Die Arabischen Augenarzte J. Hirschberg, J. Lippert, E. Mittwoch Verlag Von Veit&Company Leizig 1905.



ثم قام كلٌّ من البرفسور Frederick C. Blody و Wilfried J. Rademaker والسيدة حرمه Gisela Rademaker والسيد Kenneth F. Wildman بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنكليزية، وقمت أنا بتدقيقه وتحريره، ونشرته مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في الرياض عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م(١).

ولا ينكر أن هذه الدراسة كانت الأكثر جدّية لهذا الكتاب، إلى أن تم تحقيقه بجهدٍ مشترك وتعاون بين الأستاذ الدكتور محمد رواس قلعه جي ومؤلف هذا الكتاب ونشرته المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة (إسيسكو) في الرباط بالمملكة المغربية عام ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م(٢).

يعتبر (الكافي في الكحل) من الكتب المتأخرة التي كُتبت في أواخر عصر النهضة للحضارة الإسلامية وبدء عصر الانحطاط، ولعل أهم ما يميز هذا الكتاب أنه:

ـ يعتبر تلخيصاً لما سبقه من الكتب في علم الكحالة.

ـ يحتوي على أسماء عشرين كتاباً تعتبر مرجعاً للباحثين وخاصةً الكتب التي اندثرت منها فقد ذكر المقالات العشر لحنين ومقالاته الثلاثة بطريقة السؤال والجواب، وكتاب حبيش ابن اخته، وتذكرة الكحالين لـ علي بن عيسى الكحال، وشرحها لدانيال ابن أشعيا، والمشجرة للرازي، وكتاب النهاية في الكحل، وتذكرة منصور، وكتاب العكبري، وكتاب الآمدي الكحال، ومقالة

---

(١) The Arabian Ophthalmologists: translated into English by: Pro Frederick C. Blodi, Wilfried. J. Rademaker, Gisela Rademaker and Kenneth F. Wildman, Edited by: M, Zafer Wafai, MD. Published by: King AbdulAziz City for Science and Technology, Riyadh, Saudi Arabia, 1413AH = 1993AD.

(٢) الكافي في الكحل: تأليف خليفة بن أبي المحاسن الحلبي، تحقيق: أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعه جي، نشر: المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة والتربية (ايسيسكو). الرباط ـ المملكة المغربية، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

ابن ذهيل المصري الكحال، وكتاب موسى ابن أبي ماهر الكحال، ومقالة ابن أبي سيار في العين، ومقالة أيضا لابن ذهيل المصري في الماء وعلاجه وقدحه، وكتاب عبدان الكحال، وكتاب آرمادان الترياني الكحال، ومقالة ألفها أبو المطرف ذو الوزارتين المغربي في علاج الروح الباصر وسمّاها (نزهة الافكار في علاج الأبصار)، وكتاب إصلاح الباصر والبصيرة، وكتاب امتحان الكحال، وأرجوزة للحصني في العين وأمراضها وعلاجها[١].

ولقد أثارت قائمة المراجع هذه جدلاً علمياً منذ أن كتب عنها هيرشبرغ في موسوعته، إذ إن عدداً من هذه المراجع غير معروف أو فقد وضاعت نسخه، ومع ذلك فإن دلت هذه القائمة على شيء فإنما تدل على سعة اطلاع (خليفة) وتمرسه في فن الكحالة.

هذا بالإضافة إلى أنه اقتبس عن ثلاثة وسبعين كتاباً لواحدٍ وأربعين مؤلفاً فضلاً عمّا ما ذُكر آنفاً ونسب كل اقتباس إلى صاحبه.

ـ أول كتاب يفرد فصلاً خاصاً للمكاييل والأوزان والمقاييس المستعملة في الطب آنذاك.

ـ أول كتاب يفرد فصلاً خاصاً للفصد أوفى مما ذكره ابن سينا في القانون.

ـ أول كتاب يضع رسماً تشريحياً لمقطع العينين والعصبين البصريين والبطينات الدماغية، ويعتبر هذا الرسم معجزة في التشريح وخاصةً في القرن الثالث عشر، فقد حدد مكان البطينات الدماغية، ومقطع العينين، وحدد مكان الجليدية خلف القزحية، كما رسم العصبين البصريين كأنبوبين لمرور الروح الباصر من خلالهما، ورسم التصالب البصري ووضع خلفه دائرة صغيرة وكأني به يحاول أن يذكر الغدّة النخاميّة (شكل ـ ١).

(١) الكافي في الكحل، ص٣١ ـ ٣٢.



ولو عرف العرب والمسلمون قيمة هذه الرسمة لصنّعوها من الذهب ووضعوها في كل قاعات التدريس في جميع كليات الطب في العالمين العربي والإسلامي.

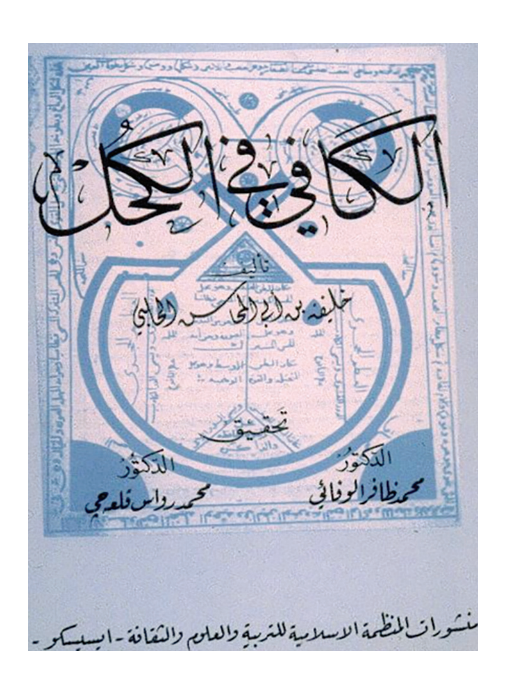
ويكفي هذه الرسمة فخراً أن تتخذها (بعد تشويهها) الأكاديمية الأمريكية لطب العيون (The American Academy of Ophthalmology) شعاراً لمؤتمرها السنوي الذي عقد في مدينة دالاس بولاية تكساس عام ١٩٨٧ ولم يجرؤ المسؤولون بالأكاديمية أن يذكروا مصدر الرسمة، ولا اسم من رسمها بل اعتبروها مجرد (خيال فنان) كما ذكر لي رئيس الأكاديمية آنذاك (شكل٢).

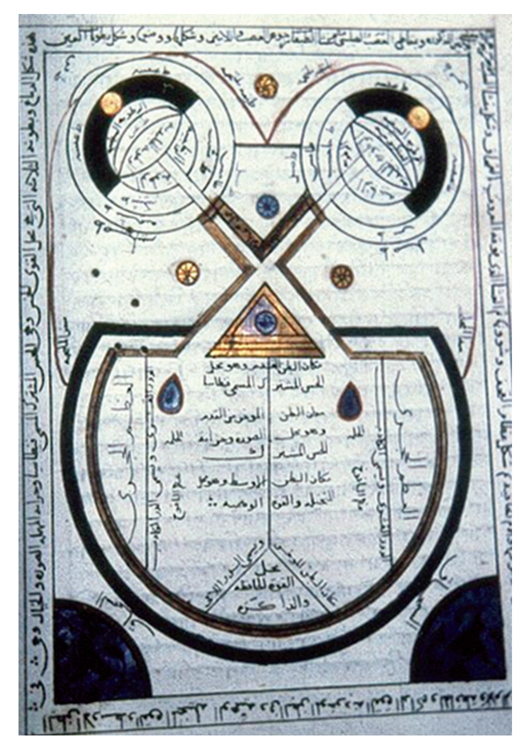
ـ أول كتاب يضع رسوماً للأدوات الجراحية في جداول أنيقة، فقد حوّت نسخة باريس على رسمات لـ (٣٦) آلة جراحية على صفحتين، أما نسخة إسطنبول فقد اشتملت على نفس عدد صور الأدوات الجراحية في صفحتين وربع، وتجد في الجدول رسم الآلة الجراحية وفوق الرسم اسم الآلة وأسفل منه طريقة استعمالها، وهذا لعمري آية من آيات الفن في ذلك الوقت (شكل٣، وشكل٤).

ـ أول كتاب يضع جداول منظمة أنيقة لأمراض الأجفان والعين وآلية الإبصار (شكل٥).

غير أن الكمال لله وحده إذ يؤخذ على الكتاب والمؤلف استخدام اللغة العامية في كثير من الأحيان مما يتعذر فهم المقصود إن لم يكن القارئ متمرساً باللكنة الحلبية، كما يؤخذ عليه كثرة الأخطاء النحوية والإملائية إضافةً إلا أنه لم يكن يلتزم تماماً بالنص الذي ينقله عن غيره من المؤلفين.

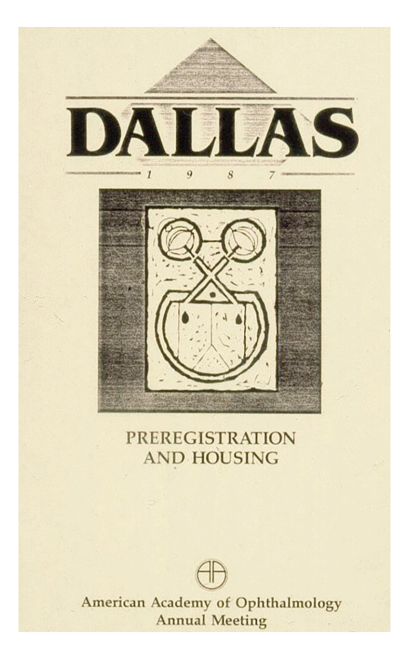
ومع ذلك فلا بد أن يعتبر هذا الكتاب وما يحتويه من رسومات رائعة من أنفس وأثمن ما كتب في علم الكحالة حتى ذلك التاريخ.


الكافي في الكحل
تأليف
خليفة بن أبي المحاسن الحلبي
تحقيق
الدكتور
محمد ظافر الوفائي
الدكتور
محمد رواس قلعه جي
منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة - ايسيسكو -



الشكل رقم (١).

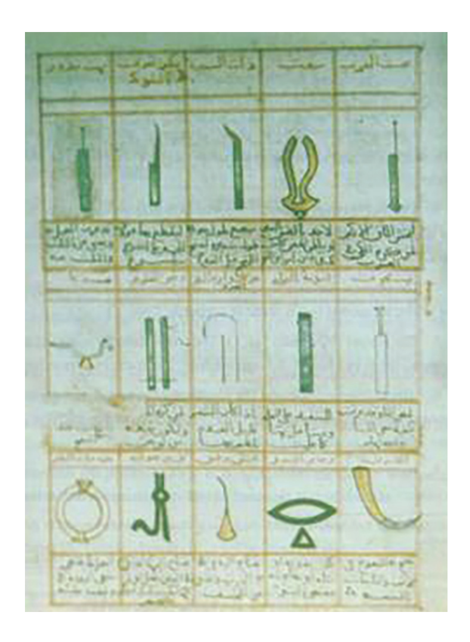




الشكل رقم (٢) الشعار الذي اتخذته الأكاديمية لمؤتمرها.







الشكل رقم (٣) رسم الأدوات الجراحية من نسخة إسطنبول.

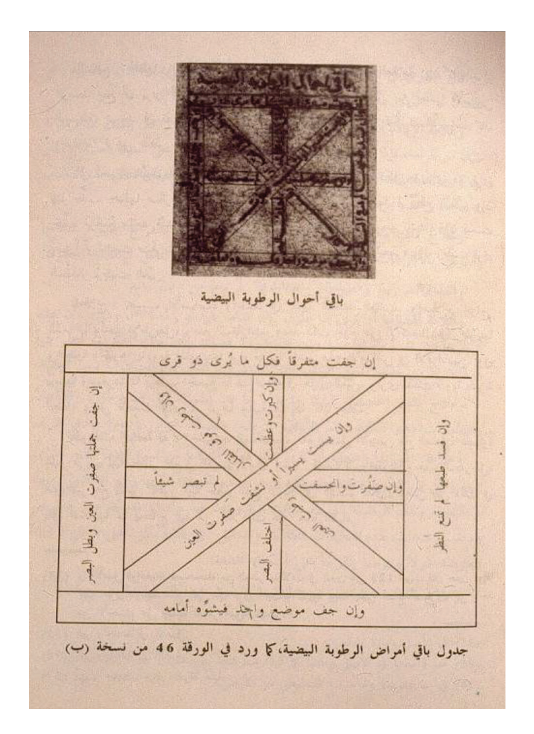




الشكل رقم (٤) رسم الأدوات الجراحية من نسخة باريس.



جدول يبين أمراض الجفن.



جدول بأمراض الرطوبة البيضية.

٢٩ ـ أبو العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله القيسي المشهور بـ(ابن ابي الحوافر) (ت ٦٥٧هـ = ١٢٥٩م)

كتاب نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر

هو الشيخ الإمام العالم أبو العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي ويعرف بـ(ابن أبي الحوافر)[1]، أوحد عصره وفريد دهره أتقن الصناعة الطبية وتميز في أقسامها العلمية والعملية وكان كثير المروءة وذا أفضالٍ غمر بإحسانه الخاصة والعامة من الناس وشملهم بكثرة الإنعام.

(١) أصيبعة/نجار: ٤٦٥/٣ ـ ٤٦٦، السامرائي: ٥٢٠/٢، حمارنة ورجب: ١٧٠ ـ ٢٢١، كحالة: ٣١١/١، حاجي خليفة: ١٩٢٦، هيرشبرغ: ٨٨/٢ ـ ٩٠، لوكليرك: ٢١٩/٢ ـ ٢٢٠.

ولد ونشأ في دمشق ودرس الطب على (مهذب الدين بن نقاش)[١] وعلى (الشيخ رضي الدين الرحبي)[٢] وخدم السلطان الملك العزيز (عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين) وأقام معه في الديار المصرية حيث تولى رئاسة الطب فيها، ثم خدم بعد ذلك في بلاط السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب وتوفي بالقاهرة نحو عام ٦٥٧هـ = ١٢٥٩م. وكانت قد صدرت له الأوامر السلطانية بتأليف كتاب في طب العيون فكان أن ألف كتاب (نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر) الذي غدا مرجعاً لمعظم من اشتغل في طب العيون من بعده، واقتبس عنه الكثير من الكحالين، وكان من أكثرهم نقلاً واقتباساً صلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي (ت ٦٩٦هـ = ١٢٩٦م) في كتابه (نور العيون جامع الفنون) وعزا بعض الاقتباسات إلى أصلها (نتيجة الفكر) وأهمل عزو معظم الاقتباسات خشية الإحراج. وبما أن (نتيجة الفكر) لم يكن من الكتب التي تعتبر رائدة في هذا الفن إلا أنه لا يخلو من بعض المحاولات الرائدة فمثلاً:

- حاول وصف الزرق (ارتفاع ضغط العين) عند ذكره أمراض الرطوبة الجليدية.

- حاول بشيء من التردد أن يذكر أن الماء (الساد) هو من أمراض الرطوبة الجليدية (العدسة).

كان الباحث الألماني Hans Dieter Bischof أول من ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية وذكر وجود ثلاثة عشر نسخة لهذا الكتاب موزعة في أرجاء

---

(١) هو الإمام العالم أبو الحسن علي بن أبي عبدالله عيسى بن هبة الله النقاش، ولد وتعلم في بغداد حيث تعمق بعلوم العربية وآدابها ثم اشتغل بصناعة الطب على يد أمين الدولة هبة الله بن صاعد بن التلميذ، ثم انتقل إلى دمشق يطبب فيها ثم قصد القاهرة وأقام فيها مدة وأخيرا عاد إلى دمشق حيث توفي...... انظر: أصيبعة / نجار: ٤٣٤/٣.

(٢) أنظر الباب الخامس، الفصل الثالث

أوروبا والقاهرة ودمشــق وبغداد مما يدل على ســرعة انتشار الكتاب وشهرة مؤلفه. وذكر Bischof في مقدمة الترجمة أنه «ومــا نحن عليه اليوم من معرفة جيدة في علم العين إنما بفضل علم طب العيون عند المسلمين»[١].

مخطوطات الكتاب:

ذكر Dieter Bischof ثلاثة عشر نسخة لهذه المخطوطة على النحو الآتي:

١ ـ **إسطنبول**: طوب قابي سراي رقم ١/١٠٩٧.

٢ ـ **إسطنبول**: نور عثمانية رقم ٣٦٠٩.

٣ ـ **شيستربيتي ـ دبلن ـ ايرلندا** رقم ٣٤٢٥.

٤ ـ **باريس**: رقم Arabe ٣٠٠٧.

٥ ـ **واشنطن العاصمة**: مكتبة المتحف الطبي رقم ٨٤٨.

٦ ـ **مكتبة غوتة**: ألمانية: رقم ١٩٩٣.

٧ ـ **القاهرة**: دار الكتب القومية، طب رقم ٥٠٥.

٨ ـ **القاهرة**: دار الكتب القومية، طب رقم ٩٥٩.

٩ ـ **القاهرة**: دار الكتب القومية، طب رقم ٦٧١.

١٠ ـ **القاهرة**: دار الكتب القومية، طب تيمور رقم ٢٩٩.

١١ ـ **القاهرة**: دار الكتب القومية، طب تيمور رقم ١٦٨.

١٢ ـ **دمشق**: المكتب الظاهرية، رقم ٥٨٢٨.

١٣ ـ **بغداد**: المتحف العراقي، رقم ٢٦٢٥٤.

---

(١) مقدمة الكتاب كما ترجمها عن الألمانية د. محمد لطفي مهروسة.

وقد قمت مع الأستاذ الدكتور محمد رواس قلعه جي بتحقيق هذا الكتاب ونشرته مشكورةً مؤسسة الفرقان في لندن عام ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م[١]. واعتمدنا في تحقيقنا على أربعة نسخ هي:

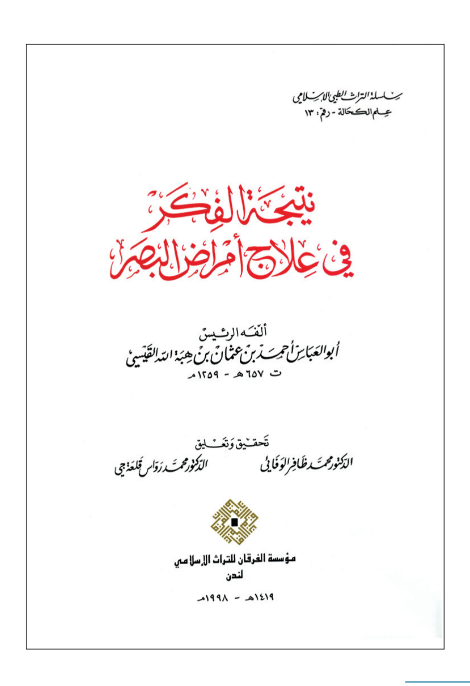
أ ـ إسطنبول: طوب قابي سراي رقم ١/١٠٩٧.

ب ـ باريس: المكتبة الوطنية، رقم Arabe ٣٠٠٧.

ج ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٢٨٨٩.

د ـ دمشق: المكتبة الظاهرية، رقم ٥٨٢٨.

وقد اكتفينا بهذه النســخ الأربعة لاعتقادنا بأنها تفي بالغرض، ولصعوبة الحصول على أفلام مصغرة ميكروفيلم من المكتبات الأخرى.



(١) نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر، ألفه الرئيس ابــو العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله القيسي، تحقيق وتعليق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعة جي، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن عام ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٣٠ ـ المفضل بن هبة الله بن علي الجميزي الأسنائي (ابن الصنيعة) (ت حوالي ٦٧٠هـ = ١٢٧٢م)

مقدمة في الكحل

لم أعثر على اسم هذا المؤلف في أي من المراجع وكتب التراجم المتوفرة إلا ما ذكره نشأت حمارنة واكتمال رجب في كتابهما (المرحلة العربية الإسلامية من تاريخ طب العيون ـ المقدمة)[1] فقد ذكرا في الصفحة ١٧٠ أنه تلميذ ابن النفيس وتوفي حوالي ٦٩٠هـ = ١٢٩١م وله منظومة شعرية يزيد عدد أبياتها على ٧٠٠ واسمها (مقدمة في الكحل).

وفي الصفحة ٢٢٢ من نفس الكتاب ذكرا أنه توفي حوالي سنة ٦٧٠هـ = ١٢٧٢م، وذكرا في الصفحة ٣٤٥ وجود مخطوطة في إسطنبول: نور عثمانية رقم ٣٥٧٦ صفحة ١٤٨ ـ ١٩٣.

وذكرا أربعة مراجع لترجمته وهي:

ـ ششن: صفحة ٧٩

ـ كحالة: ٣١٦/١٢

ـ الزركلي: ٢٨٠/٧

ـ وديترش: رقم ٧٤ صفحة ١٧١

ولدى البحث في (الباحث العلمي ـ قسم المخطوطات) تبين لي وجود نسخة من هذه المخطوطة في مكتبة الأسد، دمشق ـ سورية رقمها ٦٤٦٧٤ رقم ٢ صفحة ٦٥، مؤلفة من ٤١ ورقة ومصنفة في الطب الشعبي ٢ ـ ٨١٥.

---

(١) حمارنة ورجب: ١٧٠، ٢٢٢، ٣٤٥.



٣١ ـ علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي (ابن النفيس)[١] (٦٠٧ ـ ٦٨٧هـ = ١٢١٠ ـ ١٢٨٨م)

كتاب: المهذب في الكحل المجرب

ولد ابن نفيس بأحد ضواحي دمشق حيث نشأ وترعرع ودرس الطب على أستاذه الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد الدخوار الذي كان رئيس الأطباء في البيمارستان النوري و«انتهت إليه رئاسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي وتحقيق كلياتها وجزئياتها» كما قال عنه تلميذه المشهور ابن ابي أصيبعة صاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) الذي تجاهل فيه ابن النفيس تماماً، ولا يدري أحد إذا كان هذا التجاهل من باب الحسد والغيرة أو لأسباب أخرى لا نعلمها.

اشتهر ابن النفيس كطبيب ماهر وممارس يتحلى بالأخلاق والجدية والذكاء المفرط والحافظة النادرة، فاستدعاه الملك الكامل محمد الأيوبي إلى مصر وعينه رئيساً للبيمارستان الناصري ثم رئيساً للبيمارستان المنصوري، واستقر به المقام فيها إلى أن توفاه الله عام ٦٨٧ للهجرة. وإن من يقرأ كتب ابن نفيس يجد فيه ذلك العالم المفكر ذا العقلية المنهجية الجبارة يجاهر برأيه مع احترامه لآراء الآخرين، إلا أنه لا يتردد في فرض ما يراه الأصح ولا يعير اهتماماً لصغائر الأمور إلا إذا كانت قضية ذات قيمة علمية متميزة فينبري لإبداء رأيه بل وفرضه. وليس أدل على منهجيته من أسلوبه في محاكمة ما يعرض عليه من مسائل وإشكالات فكان يطرح المقدمات المحكمة الدرس ثم يخرج بنتائج صحيحة حسب قناعاته.

(١) انظر: السامرائي: ٦٣/٢ ـ ٧٣، حمارنة ورجب: ١٦٦، ١٦٨، ٢٢٠، كحالة: ٥٨/٧، الزركلي: ١٩٣/٥، ابن تغري بردي: ٣٧٧/٧، ابن عماد الحنبلي: ٤٠١/٥ ـ ٤٠٢، ابن ايبك الصفدي: ٢١/١٢ ـ ٢٢، جاجي خليفة: ٧١٤، سزكين: ٣٨٦/٣ ـ ٤٣٨ ـ ٦٧٩، هيرشبرغ: ٩٠/٢، لوكليرك: ٢٠٧/٢ ـ ٢٠٩.

اشتهر ابن النّفيس بولعه بالتشريح بل ربما مارس التشريح المقارن، أي تشـــريح الحيوانات وتطبيق مرئياته على الإنســـان، إلا أن ما ثبت عنه في كتـابه (**شـرح تشريح القانون**)[١] أي أنه شرح ما ورد في قانون (ابن سينا) من آراء في التشـــريح ـ قد يدل أو على الأقلّ لا ينفي أنه عمل في تشريح الإنسان بشكل خفي ارضاءً للعامة التي ساد فيها القول أن (الانسان بنيان الله لعن من هدمه).

ويرتبط اسم ابن النفيس ارتباطاً وثيقاً بالدورة الدموية الصغرى التي ثبت أنه أول من اكتشـــفها، واعتبرت منعطفاً تاريخياً في تطور العلوم الطبية. إذ إنه رفض في كتابه (شـــرح تشـــريح القانـــون) ما كان شـــائعاً منذ عهـــد أبقراط وجالينوس إلى يومه من وجود (ثقوب غير مرئية) بين البطين الأيمن والبطين الأيسر للقلب تمر من خلالها الروح اللطيفة، وأعلن بكل جرأة وصراحة أن هذا الكلام «باطل ولا وجود لثقوب مرئية أو غير مرئية بين البطينين» وفســـر بأن الدم يخرج من البطين الأيمن إلى الرئتين حيث يختلط بالهواء والروح اللطيفة ثم يعود إلى البطين الأيسر ويضخ إلى سائر أنحاء الجسم.

أما الاكتشاف الثاني الذي يغفله المؤرخون عامةً رغم أهميته القصوى فهو أن ابن النفيس أقر وأكد أن العضلة القلبية تتغذى من الأوعية الدموية المبثوثة في داخلها لا من الدم الموجود في أجواف القلب (كما كان شائعاً من قبل).

ولا أعتقد أن أي طبيبٍ أو مؤلـــفٍ يجرأ أن ينتقد ويتحـــدى نظرية طبيّة سادت لقرون عدة وأقرها أعظم أطباء التاريخ كأبقراط وجالينوس وابن سينا إلا أن يكون أثبت رأيه تشريحياً وعملياً.

---

(١) شرح تشريح القانون علي ابن حزم القرشي الدمشـــقي (ابن نفيس) تحقيق البروفسور بول غليونجي والبروفسور سلمان قطاية، تصدير أ.د. ابراهيم مدكور، نشرالهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ ١٩٨٨.

أما كيف اكتشف أن هذه النظرية (الدورة الدموية الصغرى) من بنات أفكار ابن النفيس وليست من اختراع ميشال سرفيتوس (ت ١٥٥٣) الذي أعدم حرقاً مع معظم كتبه إلا نزراً يسيراً منها لم يدركها الحريق ومن ضمنها الترجمة اللاتينية لـ (شرح تشريح القانون) الذي قام بها (أندريا الباغو) الذي درس العربية وعاش في المشرق الإسـلامي لمدة ثلاثين سـنة وتوفي عام ١٥٤٧. ثم بعد ثلاثمائة وأربع وثلاثين سـنة لوفاة ابن النفيس ألف (ويليام هارفي) الإنكليزي عام ١٦٢٢م كتاباً بعنوان (في التشـريح عن نبض القلب وحركة الدم في الحيوان) ونشرته جامعة لندن آنئذٍ لكونه مدرساً للطب والفيزيولوجيا في تلك الجامعة وشاعت الفكرة أن (هارفي) هو من اكتشف الدورة الدموية الصغرى، إلى أن عثر الطبيب المصري (محي الدين التطاوي ت ١٩٤٥) على مخطوطة شرح تشريح القانون عام ١٩٢٤ في برلين، وفيها ذكر الدورة الدموية الصغـرى، وتقدّم بترجمتها إلى اللغة الألمانية كأطروحة لنيل شهادة الطب من جامعة برلين، ومنذ ذلك الحين اكتشف الباحثون سرقة سرفيتوس لهذه المعلومات من ترجمة (أندريا الباغو) ونسبتها إلى نفسه ثم اطلاع هارفي عليها وإثباتها فـي كتابه المذكور آنفاً زاعمـاً أنه هو صاحب هذا الإكتشاف العلمي العظيم.

لم تقتصر مقدرة ابن النفيس على التشريح فقط بل تجاوزته إلى شرح كتب بعض من سبقوه، لا بل كتب في السيرة النبوية الشريفة أيضاً، وقد عدد السامرائي عن غليونجي من كتابه (ابن نفيس ص ١٠٠ ـ ١٠٤) خمسـة عشرة كتاباً يعتقد أنها جزء ضئيل من مؤلفات ابن النفيس التي فقد معظمها، ويلاحظ من قراءة أسماء الكتب غزارة معرفة ابن النفيس وسعة اطلاعه وقدرته على الإنتاج الفكري.

وما يهمنا في هـذه القائمة هـو كتاب (المهـذّب في الكحـل المجرب) المتخصص في أمراض العيون، علماً أن ابن النفيس لم يدَّعِ يوماً أنه كان كحالاً، كما لا يعرف عنه أنه مارس طب العيون سـواء في بلاد الشام أو في مصر. وقد

أعاننا الله (أ.د. محمد رواس قلعه جي وأنا) على تحقيق هذا الكتاب اعتماداً على ست نسخ مخطوطة توفرت لدينا، ونشرته مشكورةً المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو) في الرباط عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م[١].

ولا أنكر أنني كطبيب عيون أمارس المهنة منذ عام ١٩٦٥ قد دهشت بما أضافه ابن النفيس في هذا الكتاب إلى سابقيه من الكحالين والمؤلفين، وما ذكر فيه من مفاهيم علمية راسخة منذ بدء عصر الترجمة في بغداد إلى يومه، وسأعدد على سبيل المثال لا الحصر بعض هذه الومضات التي مازالت مقبولة علمياً حتى يومنا هذا.

١ ـ عدل رأس المقدح فجعله رقيقاً كالسيف بدل من المثلث، وذلك ليسهل دخوله في المقلة أثناء القدح.

٢ ـ أول من عزا الكمنة hypopion إلى التهاب القزحية والجسم الهدبي Iridocyclitis ونصح بمصها من البيت الأمامي باستعمال المقدح المجوف.

٣ ـ أكد وبثقة تامة بأن الساد يقع خلف القزحية (مخالفاً بذلك كل من سبقوه).

٤ ـ أول من نصح ببزل الخلط المائي من العين لتسهيل رد تفتق القزحية.

٥ ـ ذكر للمرة الأولى توسع الحدقة وعدم ارتكاسها للنور في حالة ارتفاع ضغط العين (الزرق الحاد).

٦ ـ وصف ولأول مرة تسطح القرنية الناجم عن نقص الضغط في العين Hypotony الذي قد يشاهد في حالة التجفف الشديد.

٧ ـ أول من نصح باستعمال الاستفراغ لمعالجة حالة هجمة الزرق الحادة.

---

(١) المهذب في الكحل المجرب، تأليف علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي (ابن النفيس)، تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعه جي، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو)، الرباط ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٨ ـ أول من استعمل تعبيري (القدح الناقل والقدح المخرج).

٩ ـ أول من وصف انخلاع العدسة الجزئي Subluxation وما يسببه من ازدواج الخيال في العين المصابة به (monocular diplopia).

١٠ ـ ويؤكد ويصر على سلامة حس الضياء وارتكاس الحدقة للنور قبل القيام بعملية القدح، وهو بذلك يقر ما قاله علي بن عيسى في كتابه (تذكرة الكحالين).

١١ ـ يحذر من أن انخفاض ضغط العين المزمن الذي قد يؤدي إلى انكماش العين phthisis bulbai.

١٢ ـ يحذر بشدة من إجراء عملية القدح في العينين بجلسة واحدة خشية التلوث واصابة العينين في آن واحد.

١٣ ـ يقرر بكل ثقة ضرورة معالجة الحول الخلقي في الطفولة الباكرة وإلا فلا تنفع المعالجة المتأخرة.

١٤ ـ يحذر ويمنع تخريش الأنسجة السرطانية ويحذر منها خشية انتقال الورم موضعياً أو إلى أنحاء أخرى من الجسم.

١٥ ـ يقرر ما قاله ثابت بن قرة الحراني في كتابه (البصر والبصيرة) بأن معالجة الغطش أي كسل إحدى العينين تتم بتغطية العين السليمة كي ينتقل الروح الباصر إلى العين الكسولة.

١٦ ـ كان أول من قرر دون أي مساومة أن (العين أداة للإبصار وليست مبصرةً بذاتها).

ومن أهم ما يميز أسلوبه بالمعالجة عامةً أنه لا يصف دواءً ما أمكنه وصف غذاء، ولا مركباً ما أمكنه الاستغناء عنه بمفرد.

نسخ المخطوطة التي اعتمدنا عليها:

١ ـ **روما**: مكتبة الفاتيكان رقم Arabo ٣٠٧.

٢ ـ **دمشق**: المكتبة الظاهرية رقم ٨٤٣٥.

٣ ـ **القاهرة**: المكتبة الوطنية رقم ١٨٤٤.

٤ ـ **القاهرة**: المكتبة الوطنية طب طلعت رقم ٥٩٣.

٥ ـ **القاهرة**: المكتبة الوطنية طب تيمور رقم ٤٠٥.

٦ ـ **إسطنبول**: حاجي محمود رقم ٥٥١٥، واسمها (رسالة في علم الكحل مجهولة المؤلف).

وقد ذكر الزميل نشأت حمارنة نسختين لم يذكرهما سواه إضافة إلى النسخ الثلاث (الفاتيكان والظاهرية وإسطنبول) وهما نسخة سباط ونسخة برلين دون أن يذكر أرقامهما[١] ثم تبع هذا المقال بمقال آخر ذكر فيه ست نسخ[٢].

ويؤخذ على الكتاب:

أولاً: إغفال صور الآلات الجراحية التي وردت في المتن.

ثانياً: إغفال وضع أشكال توضيحية تشريحية أو هندسية.

ثالثاً: بعض الأخطاء النحوية القليلة التي قد تعزى إلى النساخ وليس للمؤلف لما عرف عنه من غزارة معرفته بالنحو والأدب ولا سيما أنه حفظ القرآن طفلاً.

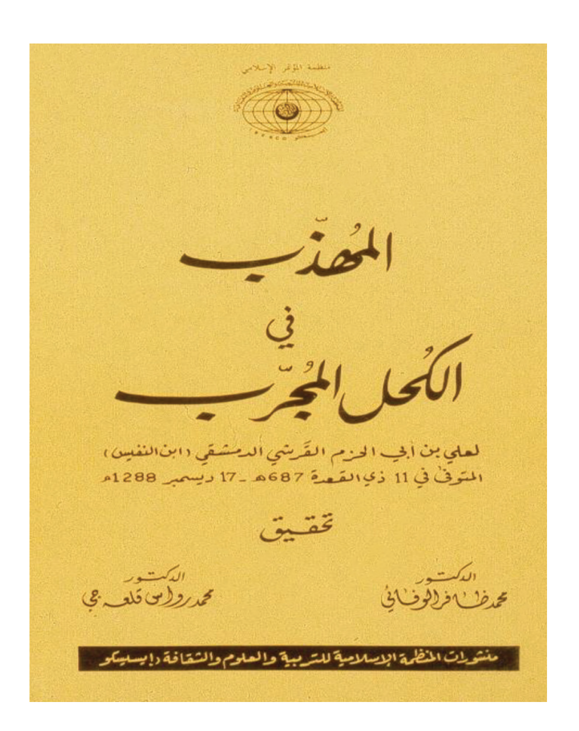
رابعاً: ضعف الكتاب من الناحية الدوائية وإغفاله الدقة في المقادير.

غير أن هذه المآخذ لا تقلل بأي بشكل من الأشكال القيمة الإبداعية لابن النفيس أو العلمية للكتاب.

---

(١) ن. حمارنة: مجلة الكحال، المجلد الثالث العدد ٢ عام ١٩٨٥.

(٢) ن. حمارنة: كتاب المهذب في الكحل المجرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ٣٠ جزء١ ص ٢٧٨، كانون الثاني ١٩٨٦.



٣٢ ـ صلاح الدين الكحال الحموي[١] (ت ٦٩٦هـ = ١٢٩٦م)

كتاب (نور العيون وجامع الفنون)[٢]

يعتبر صلاح الدين الكحال الحموي مــن أواخر من ألف في طب العيون من مؤلفي العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية.

ولد وترعرع وعاش فــي مدينة (حماه) وســط بلاد الشــام وأخذ مهنة الكحالة عن والده الذي كان يمارســها ويبرع فيها، ويؤكــد ذلك الوصفات

---

(١) السامرائي: ٢/٥٠٧ ـ ٥٠٨، حمارنة ورجب: ١٦٨، ١٦٩، ٢٢١، أمين أسعد خيرالله: ١٨١، لوكليرك: ٢/٢٠٥ ـ ٢٠٦، هيرشبرغ: ٢/٨٦ ـ ١٦٨، ٨٨، هيرشبرغ وليبرت وميتفروخ: ١٣٣ ـ ٣٠٢.

(٢) نور العيون وجامع الفنون، تأليف صــلاح الدين الكحال الحموي، تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي ومراجعة أ.د. محمد رواس قلعه جي، نشر مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

المتعددة للأكحال والشيافات التي ذكرها في الكتاب والتي نسخها عن والده. ولم يكتف بما تعلمه عن والده بل قرأ معظــم ما كتب عن طب العيون قبل زمانه، بل معظم ما ترجم من كتــب الإغريق وغيرهم، ولذلك فقد جاء كتابه هذا تلخيصاً لمعظم الآراء والنظريات والممارســات التي ســبقه إليها كبار العلماء والمؤلفين، ويلمس القارئ للكتاب سعة اطلاعه فهو اقتبس عن أربعة وتسعين مؤلفاً مما سبقوه من إغريق وفرس وعرب، ونقل عن واحدٍ وثلاثين كتابــاً وأقرباذيناً وعزا كل اقتبــاسٍ إلى الكتاب ومؤلفه حرصــاً منه على رد الفضل لأهله واعترافاً منه بما قدمه الأقدمون لتطوير الأفكار والآراء العلمية، والحق يقال أنه قطع بهذا الكتاب الطريق على من جاء بعده من الكحالين فلم يأتِ أي منهم بشيء جديد يذكر، والواقع أنه لم يؤلف بعده (على ما نعلم) إلا أربعة كتب هي:

١ ـ **كشف الرين في أحوال العين**[1]: لابن الأكفاني عام ١٣٤٨م.

٢ ـ **العمدة الكحلية في الأمراض البصرية**: لصدقة بن ابراهيم الشاذلي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي.

٣ ـ **وقايــة العين في شــرح تجريد كشــف الرين**: لنور الديــن المناوي (ت ٩١٠هـ = ١٤٩٥م).

٤ ـ **رسالة في طب العيون**، التي وضعها حسين الوفائي البغدادي.

يعود الفضل في اكتشــاف هــذا الكتــاب والكتابة عنه إلى المستشــرق والمؤرخ لوسيان لوكليرك، الذي وقع على مخطوطة له في المكتبة الوطنية في باريس برقم ١٠٤٢ وكتب عنها في موسوعته (تاريخ الطب العربي).

(١) الكتاب من تحقيقنا، انظر المراجع.

جاء بعده المستشرق البروفســور يوليوس هيرشــبرغ أكبر مؤرخي طب العيون وكتب عنه بشكل مفصّل في الجزء الثاني من موسوعته الأشهر (تاريخ طب العيون)، ولم يكتف بذلك بل قام وزميلاه المستشرقان ليبرت وميتفوخ بترجمة بعض أقسام الكتاب وضمنوها أجزاء مترجمة من كتابي (عمار بن علي الموصلي المنتخب) و(خليفة بن أبي المحاســن الحلبي الكافي في الكحل) ونشروا الكتاب بعنوان (أطباء العيون العرب).

وإن من يقرأ ما كتبه هيرشبرغ منفردا أو مشتركاً مع زميليه لا يمكنه إلا أن يحني رأســه إعجاباً وإجلالاً وتقديراً لهذا الطبيب العالــم العملاق الذي تم تجاهله مع معاصريه ابن النفيس وخليفة من قبل ابن ابي أصيبعة. والأغرب من ذلك ألا يكتب عنه البروفسور فؤاد سزكين في موسوعته وهو المعروف بدقّة استقصائه وتمحيصه فيما يكتب.

أما ما يميز هذا الكتاب عن غيره فإنه:

١ ـ يعتبر بحق تلخيصاً لمعظم ـ إن لم يكن لــكلّ ـ ما كتب قبله في طب العيون.

٢ ـ عزا كل معلومة إلى مصدرها تقديراً لعلم الأوائــل واعترافاً بفضلهم وحرصاً على الأمانة العلمية.

٣ ـ حســن الترتيب والتنســيق والتبويب ويعتبر بحق كتاباً أكاديمياً من الدرجة الأولى.

٤ ـ يحوي أول رسم توضيحي ملون لتشريح العين في نهاية المقالة الأولى.

٥ ـ أول كتاب يشــرح نظرية الابصار بتوســعٍ لم يســبقه إليه أحد قط، ووضع رسوما توضيحية هندسية ليسهل على القارئ فهم مقصده مما ورد في متن المقالة.

٦ ـ وضع رسوماً توضيحية لثماني عشر آلة جراحية، ومع أنها لا ترقى إلى جمال وأناقة ما رسمه سلفه خليفة بن ابي المحاسن الحلبي وأنها كانت متناثرة في أرجاء الكتاب، إلا أنها كافية لاعطاء القارئ فكرة عن منظر الآلة الجراحية وما بذله مؤلف الكتاب في اختراعها ورسمها.

المخطوطات:

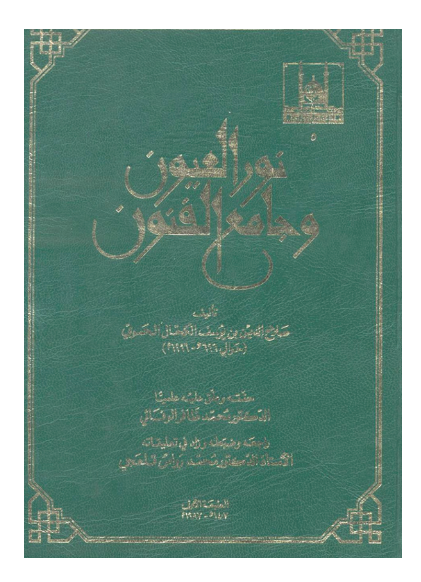
هناك أربع نسخ مخطوطة لهذا الكتاب (فيما نعلم) وهي:

١ ـ باريس: المكتبة الوطنية رقم ١٠٤٢.

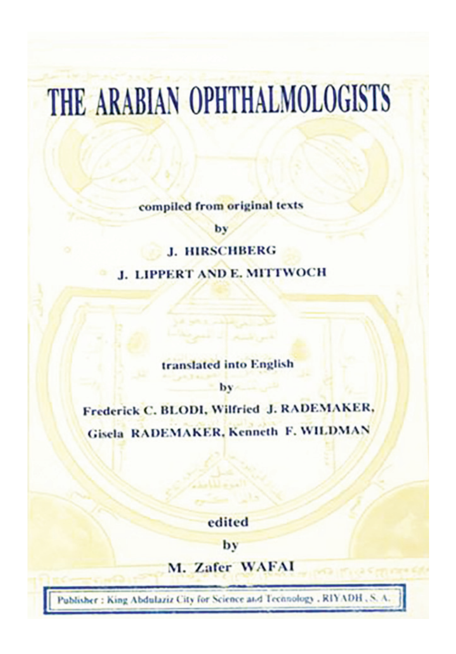
٢ ـ ألمانيا: مكتبة غوته رقم ١٩٩٤.

٣ ـ مصر: الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية رقم ١٠٩٨.

٤ ـ إسطنبول: المكتبة الأحمدية رقم ١٠٣٨.



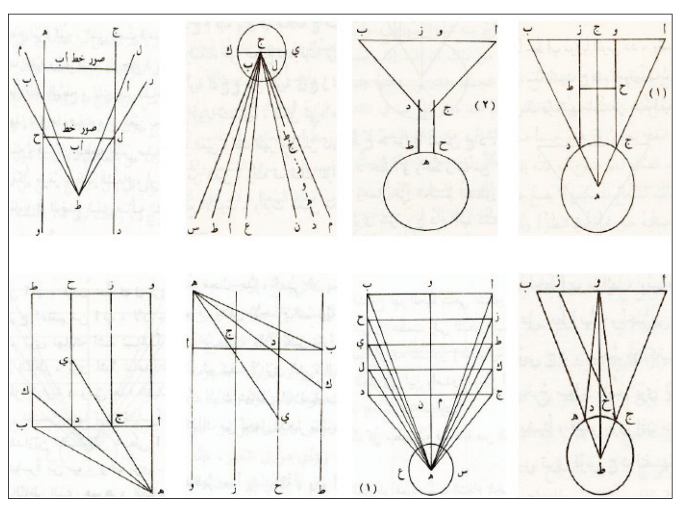
صورة غلاف الكتاب من تحقيقنا.



صورة غلاف الترجمة الإنكليزية لكتاب هيرشبرغ وليبرت وميتفوخ.



صورة مقطع العين في نهاية المقالة الأولى.



رسوم هندسية وضعها المؤلف لشرح آلية الأبصار.

٣٣ ـ علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي (الكحال)[(١)] (ت ٧٢٠هـ = ١٣٢٠م)

كتاب (القانون في أمراض العين)

لا يعلم الشيء الكثير عن هذا المؤلف أو الكتاب، ولم يذكره من مؤرخي طب العيون إلا أ.د. حمارنة ورجب وبشكلٍ مقتضبٍ جداً. أما أ.د. السامرائي فقد ذكره بما لا يزيد على السطرين، وذكرله كتاباً آخر إضافةً إلى (القانون في أمراض العيون) وهو كتاب (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية)، واقتبس معلوماته عن ابن أيبك الصفدي الذي ترجم له. ويبدو أنهما عاشا في مدينة صفد ولذلك كنيا بها. ولا يعلم أي شيء عن أي من الكتابين المذكورين.

---

(١) انظر: حمارنة ورجب: ١٧٢، ٢٢٣، السامرائي: ٥١٢/٢، الصفدي: ٣٦٠/٥.

٣٤ ـ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري[(١)] المعروف بـ(ابن الأكفاني) (ت ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م)

كتاب (كشف الرين في أحوال العين)[(٢)]

لم يكتب عنه الشيء الكثير لا سيما في كتب التراجم ولعل أفضل ما كُتب عنه هو ما كتبه تلميذه الأثير صلاح الدين بن أيبك الصفدي في كتابه الموسوعي (الوافي بالوفيات)[(٣)] فقد قال:

«ابن الأكفاني الحكيم شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن الاكفاني، السنجاري المولد والأصل[(٤)] والمصري الدار، فاضل جمع أشتات العلوم وبرع في علوم الحكمة خصوصاً الرياضي فإنه إمامٌ بالهيئة والهندسة والحساب له في ذلك تصانيف وأوضاع مفيدة»، ثم يستمر في سرد مناقبه إلى أن يصل إلى موضوع الطب فيقول:

«وأما الطب فإنه كان إمام عصره، وغالب طبّه بخواص ومفردات يأتي بها إلى المريض وما يعرفها أحدٌ لأنه يغير كيفيتها وصورتها حتى لا تعلم، وله إصاباتٌ غريبة في علاجه».

---

(١) انظر: حمارنة ورجب: ١٧٠ ـ ١٧١ و٢٢٢، السامرائي: ٤٤٢/٢ ـ ٤٤٣، كحالة: ٢٠٢/٨ ـ ٢٠٣، الزركلي: ٧٠/٨، الصفدي: ٢٥/٢ ـ ٢٧، حاجي خليفة: ٦٦، ١٤٩٠، ١٥٤٢، ١٩٣٥، ١٩٩٠.

(٢) كشف الرين في أحوال العين، تأليف أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الاكفاني، تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعه جي. نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدرسات الإسلامية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

(٣) الوافي بالوافيات صلاح الدين بن أيبك الصفدي، إشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٨٨، فيسبادن م/٢ ص ٢٥ ـ ٢٧.

(٤) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الشامية متوسطة بين الموصل ونصيبين والمسافة بينهما ثلاثة أيام. معجم البلدان: ياقوت الحموي ج ٢ ص ٢٦٢.

ثم يتطرق إلى طول باعه في الأدب فيقول:

«وأما الأدب فإنه فريدٌ فيه يفهم نكته ويتذوق غوامضه ويستحضر من الأخبار والوقائع والوفيات للناس قاطبة. ويحفظ من الشعر شيئاً كثيراً. وما رأيت مثل ذهنه يتوقد ذكاءً بسرعةٍ ما لها روية، وما رأيت فيما رأيت أصح ذهناً منه ولا أذكى، أما عبارته الفصيحة الموجزة الخالية من الفضول فما رأيت مثلها».

كان الشيخ فتح الدين بن سيد الناس[٥] يقول عنه «ما رأيت من يعبر عما في ضميره بعبارة موجزة مثله».

«وله اليد الطولى في الروحانيات والطلاسم وما يدخل في هذا الباب.

كما كان خبيراً في أصناف الجواهر والآلات وأنواع العقاقير والحيوانات، وكانت له الكلمة الفصل في شراء كل ما يلزم للبيمارستان المنصوري في القاهرة».

ولم يضف كل من كتب عنه أية إضافات ذات قيمة تذكر عمّا كتبه عنه الصفدي، إلا أننا لاحظنا أن الصفدي قد عدد أربعة كتب قرأها على مؤلفها ابن الأكفاني وهي:

١ ـ إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد.

٢ ـ اللباب في الحساب.

٣ ـ نخب الذخائر في معرفة الجواهر.

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الربعي (٦٧١ ـ ٧٣٤هـ = ١٢٧٢ ـ ١٣٣٤م)، مؤرخ وعالم بالأدب والحديث، ولد في إشبيلية وتوفي في القاهرة، له عدة مؤلفات أشهرها (عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير)... انظر: الصفدي (الوافي بالوفيات).

٤ ـ غنية اللبيب عند غيبة الطبيب.

وهناك كتاب خامس لم يقرأه عليه وهو:

٥ ـ كشف الرين في أحوال العين.

غير أن السامرائي عدد له أحد عشرة كتاباً وأغفل واحداً مما عدده الصفدي فقد أغفل كتاب اللباب في الحساب وأضاف:

١ ـ نهاية القصد في صناعة الفصد.

٢ ـ إيضاح محجة العلاج.

٣ ـ روضة الألباء في طبقات الأطباء (مختصر عيون الانباء في طبقات الأطباء).

٤ ـ بغية السائل من اختصار المسائل.

٥ ـ نبذة في الطب.

٦ ـ الدر النظيم في أحوال العلم والتعليم.

وذكر مكان وجود مخطوطات كل كتاب مع ذكر أرقام بعض المخطوطات وعدد لكتابنا هذا (كشف الرين) خمس نسخ مخطوطة:

اثنتان في القاهرة: دار الكتب المصرية والجامع الأزهر.

واثنتان في إسطنبول: نور عثمانية وبايزيد.

وواحدة في المتحف البريطاني في لندن.

أما محققا الكتاب فقد اعتمدا على مخطوطتيـــن أمكنهما الحصول على نسخ مصورة لهما:

١ ـ إسطنبول، المكتبة السليمانية رقم ٦/٢٩٠٠

٢ ـ القاهرة، دار الكتب المصرية

ويمتاز هذا الكتاب بكونه:

١ ـ أول من يذكر النار الفارسية[١] كمرض من أمراض الجفن

٢ ـ أول من وصف الظفرة نسيجيا فقال: «إنها مؤلفة من ظهارة وبطانة»

٣ ـ أول من ذكر (الشقيقة العينية) كمرض مستقل.

٤ ـ أول من قسم إصابة العصب البصري إلى: إصابة أمام التصالب البصري، وإصابة في التصالب البصري وإصابة خلفه. وهذا التصنيف مازال مقبولاً حتى يومنا هذا.

٥ ـ أول من ذكر مرض (الخفش) وهو قدرة المريض على الرؤية في الليل وعدم قدرته على الرؤية في النهار (كالخفاش).

٦ ـ كما أنه ذكر المهت المجوف hollow couching needle مما يدل على اطلاعه على ما كتبه سابقوه.

ومما يؤخذ عليه اعتزازه الشديد برأيه وثقته المفرطة بعلمه ومعلوماته واعتقاده بالخزعبلات والروحانيات كما قال عنه تلميذه الصفدي، إضافةً إلى ضعفه باللغة العربية ويؤيدنا في ذلك قول الصفدي (وخطه أضعف من مرضى البيمارستان).

أما بالنسبة لمحتوى الكتاب فلم يضف شيئاً يذكر على ما كتبه سابقوه من العمالقة، كحنين بن إسحق، أو علي بن عيسى، أو خليفة بن أبي المحاسن، أو صلاح الدين الكحال، بل العكس تماماً هو الصحيح فقد أغفل ذكر من سبقه وإنجازاتهم، كما أنه لم يضع أية رسوم توضيحية سواء لتشريح العين أو للأدوات الجراحيّة، ولم يضع أية جداول تصنيفية للأمراض أو المعالجات.

(١) النار الفارسية أو الحمى الفارسية أي الجمرة الخبيثة وتسمى بالانكليزية anthrax وبالفرنسية charbon.





كشف الرين في أحوال العين

تأليف
أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري
المعروف بابن الأكفاني
المتوفى عام ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م

تحقيق

الدكتور
محمد ظافر الوفائي
رئيس قسم الشبكية والليزر في
مستشفى الملك خالد للعيون - الرياض
محاضر سابق في جامعة هارفارد - بوسطن
أستاذ سريري مساعد - جامعة الملك سعود - الرياض

الدكتور
محمد رواس قلعه جي
أستاذ الفقه ومناهج البحث في
الدراسات العليا - كلية التربية
جامعة الملك سعود - الرياض

الطبعة الأولى

الرياض ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م

صورة غلاف الكتاب.

٣٥ ـ صدقة بن إبراهيم المصري الشاذلي[(١)] (ت بعد ٧٥٠هـ = ١٣٥٠م)

كتاب (العمدة الكحلية في الأمراض البصرية)

لم يعرف الشيء الكثير عن الشاذلي ولا عن كتابه إلا من خلال ما كتبه عنه هيرشبرغ في موسوعته، إذ ناقش الكتاب وفصّله واسترسل في تحليل وصف الشاذلي لمرض التراخوما والذي اعتبره فتحاً أصيلاً للشاذلي لم يسبقه إليه أحد.

وأما حمارنة ورجب فلم يتجاوز ما كتباه نصف صفحة، وهما يمدحانه بأنه «اقتبس عن مؤلفين كثيرين سبقوه وأنه كان يوجه اهتمامه في

(١) انظر: حمارنة ورجب: ١٧٠ ـ ١٧٢ و ٢٢٣، هير شبرغ: ٩٣/٢ ـ ١٠٠ و ١٦٣.

الاقتباس عن المتأخرين منهم كالغافقي وخليفة وابن النفيس والسمرقندي وابن البيطار».

أما سزكين فقد كرر عملياً ما ذكره هيرشبرغ في موسوعته دون تغيير يذكر[(١)].

نسخ الكتاب المخطوطة:

نحن مدينون لهيرشبرغ بذكر مخطوطتين لهذا الكتاب هما:

١ ـ **ميونخ**: رقم ٨٣٤ Arab.

٢ ـ **لينغراد**: روزن رقم ١٧٥.

٣ ـ وقد علمت مؤخراً بمخطوطة ثالثة في مكتبة تشستربتي في مدينة دبلن عاصمة إيرلندة رقم (٣٩٩٠).

٤ ـ وقد اكتشفت حديثاً وجود نسخة في المكتبة الوطنية لتاريخ الطب في مدينة Bethesda في ولاية ماريلاند في الولايات المتحدة الأمريكية برقم (A٢٩،١). وأنا الآن بصدد تحقيق هذه المخطوطة النادرة.

٣٦ ـ موسى بن إبراهيم بن محمد الطبيب اليلداوي الصالحي الحنبلي[(٢)] (ت حوالي ٧٧٠هـ = ١٣٦٩م)

الرسالة النورية في أمراض العين الكلية

لا يعرف الكثير عن هذا المؤلف وكتابه إلا ما ذكره نشأت حمارنة ورجب ص ٢٢٣ اللذان ذكرا وجود مخطوطة له في القاهرة: طب حليم رقم٢١ ولم يذكرها غيرهما.

---

(١) طب العيون عند العرب والمسلمين (نصوص ودراسات وترجمات) إشراف أ.د. فؤاد سزكين، إصدار معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، جزء٣/٣ ص ٥٧١ ـ ٥٧٤، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

(٢) انظر: حمارنة ورجب: ١٧٣ و ٢٢٣، كحالة: ٣٤٣/٣، البغدادي: هدية العارفين: ٤٨٠/٢.

٣٧ ـ نور الدين علي المناوي[1] (ت ٩١٠هـ = ١٤٩٥م)

وقاية العين في شرح تجريد كشف الرين

لا يعرف عن هذا الكاتب وكتابه إلا ما ذكره نشأت حمارنة ورجب واللذان نقلاه عن الذهبي في كشف الظنون والبغدادي في إيضاح المكنون.

إلا أنهما ذكرا اسم هيرشبرغ ص٨٢ كمرجع عن المؤلف وكتابه، ولم أجد في أيّ من كتب هيرشبرغ أي ذكرٍ للمناوي وكتابه.

٣٨ ـ محمد بن علي البالسي الكحال[2] (ت ١٠٧٥هـ = ١٧٦١م)

اختصار تدقيق النظر في علل حاسة البصر لابن وافد اللخمي

ذكر ابن أبي أصيبعة أنه كان طبيباً فاضلاً متميزاً في معرفة الأدوية المفردة وأفعالها وله كتاب (التكميل في الأدوية المفردة) ألفه لكافور الإخشيدي (٢٥٧ إلى ٣٣٥هـ = ٨٤٩ إلى ٨٧٠م) غير أن نشأت حمارنة يذكر أنه ألف كتاباً سماه (اختصار كتاب ابن وافد اللخمي تدقيق النظر في **علل حاسة البصر**) وأنه كتبه في القرن الثامن عشر الميلادي ويؤكد وجود نسخة منه في حلب، باسيل (فهرس سباط ٧٣/٢ رقم ١٧٢٦).

ويبدو أن هناك تضاربًا بين أقوال المؤرخين حول هذا المؤلف، فهل نحن أمام مؤلفين اثنين بالاسم ذاته أحدهما أيام كافور الإخشيدي في القرن الرابع الهجري (التاسع الميلادي) والآخر في القرن الثاني عشر الهجري أي (الثامن عشر الميلادي)؟؟ أم أن حمارنة قد ارتكب خطأً ما؟؟.

---

(١) انظر: حمارنة ورجب: ١٧٢ و ٢٢٣، كحالة: ٢٣٤/٧، البغدادي: إيضاح المكنون: ٧١٤/٢، الذهبي: كشف الظنون: ٣١٩/٢.

(٢) انظر: أصيبعة / نجار: ٣٥٥/٣، السامرائي: ٤٨٠/٢، حمارنة ورجب: ٢١٢، لوكليرك: ٤٠٣/١.



وقد ذكره لوكليرك في كتابه ٤٠٣/١ وذكر أنه ألف كتابه (التكميل) لكافور الإخشيدي..

أما أنا فأرجح بل أجزم أنه من أطباء القرن الرابع الهجري، وذلك لأن ابن أبي أصيبعة قد ذكره.

والسبب الوحيد لذكري له في هذا المقام هو ذكر حمارنة «وفي القرن الثامن عشر قام طبيب عيون هو محمد بن علي البالسي باختصار كتاب ابن وافد وذلك في سنة (١١٧٥هـ = ١٧٦١م)»، ونسب أحد الكتب إليه وأصر على وجود المخطوطة في حلب، وما علينا إلا أن نرجو الله أن يوفق لإيجاد هذه المخطوطة لنضع حداً نهائياً لهذا الجدل والتضارب.

٣٩ ـ عبد المسيح الكحال الحلبي[(١)] (ت بعد ١١٨٦هـ = ١٧٧٣م)

الكامل في طب العين

يعتبر عبد المسيح الكحال الحلبي آخر المؤلفين الذين ألفوا في طب العيون فقد وضع كتابه عام ١٧٧٣، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن حركة التأليف في طب العيون لم تنقطع من القرن التاسع مع يوحنا بن ماسويه وحتى القرن الثامن عشر مع مؤلفنا الحلبي.

وتكمن أهمية الكتاب في قائمة المراجع التي اعتمدها المؤلف وقد حوّت ستة وعشرين مرجعاً، يرجع أولها إلى القرن الثامن وآخرها إلى القرن الرابع عشر مما يشير إلى أن طب العيون في حلب ظلّ يعتمد على المصادر العربية حتى القرن الثامن عشر. وهذا ما يؤيد ما قاله هيرشبرغ من (عدم ظهور أي كتاب في الغرب يعادل في معلوماته وأسلوب كتابته كتاب تذكرة الكحالين

---

(١) انظر: حمارنة ورجب: ٢١٢، ١٩٤، ن. حمارنة: ١٥/٢ ـ ١٨، سزكين: ٣٤١/٣ و ٥٢٦/٣.

لـ علي بن عيسى الذي أُلف في مطلع القرن الحادي عشر، حتى منتصف القرن الثامن عشر).

ولكن لسوء الحظ لم يحظ أي من الدارســين أو الباحثين برؤية أو قراءة هذا الكتاب القيم إلا الأب ســباط الذي كتب عنه وعن محتواه في فهرســه المشهور فقد ذكر أنه شاهده في مكتبة باسيل الخاصة في حلب.

وأما ســزكين فلم يذكر ســوى أن المؤلــف اعتمد (كتاب فــي العين) لماسرجويه و(رسالة في تركيب طبقات العين) لابن مندويه كمراجع لكتابه. ويذكر فهرس سباط مجلد ٢ ص ٧٤.



الفصل الثاني

الأطباء الممارسون غير الكحالين الذين كتبوا عن طب العيون في موسوعاتهم

١ ـ علي بن سهل ربن الطبري[١] (١٥٨ ـ ٢٤٧هـ = ٧٧٥ ـ ٨٦١م)

هو أبو الحسن علي بن سهل ربن الطبري، ولد في طبرستان في خلافة أبي جعفر المنصور وأوائل خلافة ابنه المهدي، واختلف الباحثون في موعد ولادته ووفاته فقد افترض محقق كتابه (فردوس الحكمة) الدكتور محمد زبير الصديقي أن ولادته كانت عام ١٥٨هـ = ٧٧٥م أي قبل تولي هارون الرشيد الخلافة بعشر سنوات، أما مايرهوف (شيخ المؤرخين والمحققين) فقد حدد موعد ولادته عام ١٩٣هـ = ٨٠٩م اعتماداً على أنه كان يعمل كاتباً لدى الأمير الفارسي (مازيار بن قارن) حوالي ٢١٤هـ = ٨٣٠م[٢]، أما تاريخ وفاته فليس هناك فرق كبير فقد حدده الصديقي عام ٢٤٧هـ = ٨٦١م في حين حددها مايرهوف عام ٢٥٠هـ = ٨٦٤م.

انتقل الطبري إلى سامراء عام ٢٢٧هـ = ٨٤٢م بعد مقتل وليه (مازيار) ودخل في خدمة الخليفة المتوكل على الله الذي حكم بين (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ =

---

(١) انظر ابن النديم: ٥٥٢، أصيبعة / نجار: ١٠/٣ ـ ١١، السامرائي: ١٤٠٧/١ ـ ٤١٤، حمارنة ورجب: ١٢٥، ن. حمارنة: ٢: /٤٨، كحالة: ١٠٦/٧، الزركلي: ٩٩/١٥، القفطي: ١٨٧ ـ ٢١٣، الصفدي: (الوافي بالوفيات): ٧٦/١٢، البغدادي: (هدية العارفين): ٦٦٩/١، سزكين: ٣٦١/٣ ـ ٣٦٧، سارتون: ٥٧٤/١ ـ ٥٧٥، لوكليرك: ٢٩٢/١ ـ ٢٩٣.

(٢) السامرائي: ٤٠٩/١.

٨٤٧ ـ ٨٦١م) ونال حظوة كبيرة عنده، وكان من المقربين إليه، وقيل إنه إعتنق الدين الإسلامي على يد الخليفة نحو ٢٤٠هـ = ٨٥٥م. ذكره ابن النديم بشكل مقتضب جداً وعدد له أربعة كتب فقط[١]، أما ابن أبي أصيبعة فلم يضف شيئاً إلى ما ذكره ابن النديم إلا أنه نسب إليه تسعة كتب[٢]. أسهب السامرائي في ترجمة علي بن سهل ربن الطبري واعتمد في ترجمته بشكلٍ كبير على مقدمة الدكتور الصديقي محقق كتابه (فردوس الحكمة) وعدد له ثلاثة عشر كتاباً أهمها وأجلها (فردوس الحكمة)[٣].

عاصر ابن ربن الطبري في بغداد مشاهير الأطباء، كابن الطيفوري، ويوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحق العبادي، وبختيشوع بن جبرائيل، غير أن أحداً من المؤرخين لم يذكر أي أحداثٍ أو وقائع عن هذه المعاصرة، واشتهر عنه إلمامه بل إجادته للغات العربية والسريانية واليونانية والهندية والعبرية إضافةً إلى لغته الأصلية الفارسية مما جعله أثيراً لدى الخليفة المتوكل.

أما كتابه الأشهر فهو (فردوس الحكمة) الذي كان أول كتابٍ موسوعيٍ طُبيٍ شامل يُكتب باللغة العربية إذ إن كل ما سبقه من كتب كانت ترجمات لكتب سريانية أو يونانية، ولكنّه لسوء الحظ لم يحظ بشهرة تليق به وبمحتواه العلمي الذي سبقه فيه لاحقوه وذلك لأن مؤلفاتهم قد لاًقت القبول لدى الدارسين والممارسين لعلوم الطب لما حوته من معلوماتٍ عملية ذات نفعٍ في الممارسة اليومية، في حين أن ابن ربن الطبري لم يتخذ الطب مهنةً يتكسب بها فلم يكن يعالج المرضى ويزور المستشفيات إلا لفترة وجيزة من حياته، ثم تفرغ للكتابة والتأليف.

---

(١) ابن النديم: ٥٥٢.

(٢) أصيبعة / نجار: ٣/١٠ ـ ١١.

(٣) السامرائي: ١/٤١١.

وبقي هذا الكتاب علــى أهميته وكبر حجمه مخطوطــاً (تتراوح ورقات مخطوطاته ما بين ٣٥٤ ورقة و٥٥٢ ورقة) إلــى أن قيض الله له الدكتور محمد زبير الصديقــي مدير الشــعبة العربية بجامعــة ليكنؤ الهندية فقــام بتحقيق وتصحيح وإعادة ترتيب الكتاب معتمداً على خمس مخطوطات توفرت لديه ونشرها في مطبعة أفتاب ببرلين عام ١٩٢٨[1]. ويتألف الكتاب من سبعة أنواع تحوي بمجملها ثلاثين مقالة مقسمة إلى ثلاثمائة وستين باباً، وقد اقتبس في كتابه الموسوعي هذا عن كلٍ من أرسطوطاليس وديموقريطس وديوسقوريدس وجالينوس وغيرهم. كما اقتبس عن بعض المؤلفين الهنود أمثال سوســروتا وشــاراك، ولم يتردد في الاقتباس عــن بعض معاصريه كيوحنا ابن ماســويه وحنين بن إسحق العبادي، واقتبس الرازي عن (فردوس الحكمة) بشكلٍ لافت في موسوعته (الحاوي في الطب)، كما اعتمد أسلوب تصنيفه وتبويبه كلٌّ من علي بن عباس الأحوازي وابن سينا، ونظراً لكونه أول مؤلفٍ موسوعيٍ طبيٍ باللغة العربية فقد بقي المرجع العربي الوحيد لفترة تزيد على خمســين سنة قبل انتشار كتب الرازي.

وقد قمنا (أ.د. محمد رواس قلعه جي وأنا) باستخلاص الأقسام المتعلقة بطب العيون من هذه الموسوعة فأخذنا من:

ـ الباب الســابع من المقالة الثانية من النــوع الثالث والذي يبحث في (حاسة العين).

ـ الأبواب الخمســة الأول من المقالة الثالثة من النوع الرابع وهي تبحث في تركيب العين وعللها وعلامات عللها وعلاجها ثم علاج الجفن والأشفار والشــتر وصفة الأكحال. وأعدنا ترتيب الأبواب والفصــول وخاصةً ما يتعلق

(١) صديقي، محمد زبير: مدير الشعبة العربية في جامعة ليكنؤ، الهند، فردوس الحكمة. تأليف علي بن سهل ربن الطبري، نشر مطبعة أفتاب برلين، ألمانيا، ١٩٢٨م.

بأمراض العين ليصبح التسلسل منطقياً ويسهل على القارئ تحري المعلومة دون أي عناء يذكر.

ونشرنا هذا القسم المتعلق بـ(طب العيون) في مجلد واحد مع المقالة الرابعة من الموسوعة الطبية (المعالجات البقراطية) التي ألفها أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري (ت بعد ٣٦٦هـ = ٩٧٦م)(١)، وذلك لسببين رئيسيين:

ـ أولهما إزالة الالتباس نظراً لتشابه الأسماء، ورداً على يوليوس هيرشبرغ (إمام المؤرخين) الذي ذكر أن علي بن سهل ربن الطبري لم يكتب بطب العيون.

ـ وثانيهما إعطاء القارئ فكرة عن التطور الذي طرأ على كمّ المعلومات وترتيبها في الكتب الطبية بعد مرور الزمن، فبالرغم من أن كلا (الطبريين) لم يكونا كحالين بالمعنى الدقيق للكلمة، وبالرغم من قصر الفترة الزمنية بينهما (حوالي ١٠٠ سنة فقط) فإن المعلومات المذكورة في (المعالجات البقراطية) وطريقة ترتيبها تفوق كمّاً وكيفاً ما ورد في (فردوس الحكمة).

أما ما يؤخذ على الكتاب فالتكرار غير المسوَّغ في الباب الخامس في (علاج أمراض العين) والعشوائية في ترتيب أمراض العين، إذ لم يتبع المؤلف التسلسل المنطقي التشريحي للأمراض ثم معالجتها، كما يؤخذ عليه الاقتضاب الشديد في وصف الأكحال والأشياف.

(١) أ.د. محمد رواس قلعه جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي، أمراض العين وعلاجاتها من كتابي (المعالجات البقراطية) تأليف أبو الحسن محمد بن أحمد الطبري و(فرودوس الحكمة) تأليف علي بن سهل ربن الطبري. نشر مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي. لندن، المملكة المتحدة، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.



مخطوطات الكتاب:

١ ـ برلين، مكتبة برليـــن: رقم ٦٢٥٧ صفحة ٢٤٤ وما بعدها، نســـخ القرن السابع الهجري.

٢ ـ لندن، المتحف البريطاني: رقم ٤٤٥ صفحة ٢٧٦ وما بعدها، نسخ القرن الثامن الهجري.

٣ ـ ألمانيا، مكتبة غوتة: رقم ١٩١٠ صفحة ٤٣ وما بعدها، نسخ ١٠٠٨هـ وهي النســـخة التي اعتمدها محمد زبير الصديقي وحققها ونشـــرها كما ذكرنا سابقاً.

٤ ـ إسطنبول، آياصوفيا: رقم ٤٨٥٧ ص١ ـ ٥٣، نسخ القرن السابع الهجري.

٥ ـ طهران، جامعة طهران: دانشـــكاه رقم ٥٤٨٢ ص١٨١ وما بعدها، نسخ القرن الثامن الهجري.

٦ ـ الهند، رامبور: رقم م١ ٤٨٩ طب١٧١، ص١٨٢ وما بعدها، وهي النسخة التي ذكرهـــا الطبيب (أجمل خان) فـــي (فهرس الكتب العربيـــة في رامبور) ونشرها عام ١٩٠٢.

٧ ـ وذكر الصديقي نســـخة نادرة وغير معروفة اعتمدها عند تحقيق الكتاب وذكر أنها موجودة في مكتبة خاصـــة بالهند بحوزة الطبيـــب (خواجه كمـــال الدين اللكنوي) ولم يذكرها غيره.





٢ ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي[(١)] (٢٤٧ ـ ٣٢٠هـ = ٨٥٠ ـ ٩٢٣م)

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي أعظم عقلية طبية، وأعظم طبيب سريري ظهر في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وصفه المؤرخون في عداد عمالقة الطب في التاريخ، بل أحد ثلاثة دعائم بُني عليها الطب السريري عبر التاريخ ألا وهم (أبقراط جالينوس والرازي) ولا أدل على ذلك من وجود صورته إلى جانبهما بالزجاج الملون تزين احدى نوافذ كاتدرائية جامعة برينستون في الولايات المتحدة الأميركية. وقد سبق ابن أبي أصيبعة معظم المؤرخين حينما أطلق عليه لقب (جالينوس العرب)[(٢)].



صورة الرازي تزين إحدى نوافذ كاتدرائية جامعة برينستون العريقة.

ولد في الري سنة ٢٤٧ أو ٢٥١ حسب اختلاف آراء المؤرخين لأسرة كانت تعمل في الصيرفة والصياغة غير أنه لم يلحق خطا أسرته المهنية، فمارس الغناء والضرب على العود في بدء يفاعته، ثم بدأ بدراسة العلوم

---

(١) انظر: ابن النديم: ٦٥٦ ـ ٦٦٢، أصيبعة / نجار: ١٢/٣ ـ ٤٩، السامرائي: ٤٣٧/١ ـ ٤٦٤، حمارنة ورجب: ٥٦١٣٧، ١٣٥، ن. حمارنة: ٧٥/٣ ـ ١٢٠، كحالة: ٦/١٠ ـ ٧، الزركلي: ١٣٠/٦، القفطي: ٢٧١ ـ ٢٧٧، ابن تغري بردي: ٢٠٩/٣، ابن ايبك الصفدي: ٧٥/٣ ـ ٧٧، حاجي خليفة: ١٤٠٣، ١٢١٥، ١٠١٥، ٦٣٨، ٧٧، ١٨٦٢ سزكين: ٤٢٩/٣ ـ ٤٦٧، هيرشبرغ: ١١٠/٢ ـ ١١٦، سارتون: ٦٠٩/١ ـ ٦١٠، غاريسون: ١١٣، لوكليرك ٣٣٧/١ ـ ٣٥٤.

(٢) أصيبعة / نجار: ١٣/٣.

اللغوية والطبيعية والفلسفية، ثم في سن الثلاثين استهواه الطب فقرر أن يدرسه بعمق، ويقال إن علي بن سهل ربن الطبري كان أحد معلميه في الري، كما درس الكيمياء والفلسفة ولكنه آثر الطب على غيره من العلوم.

ثم انتقل إلى بغداد بدعوة من الخليفة المكتفي بالله عام ٢٩٢هـ = ٩٠٥م، وعمل في بيمارستان بغداد حيث برزت مواهبه العلمية والعملية وتوصل إلى اكتشافات علمية في معظم مجالات وتخصصات الطب لم يسبقه إليها أحد من قبل، فعلى سبيل المثال: فقد كان:

ـ أول من وصف مرضي الجدري والحصبة ووضع أسس التشخيص التفريقي لكليهما.

ـ أول من رفض نظرية أبقراط وجالينوس في الإبصار رغم ما عرف عنه من ولائه لهما.

ومما اشتهر عنه أنه كان طبيباً مثالياً ذا فكرٍ نشط ومقدرة في الابتكار والاستنتاج، دقيق الملاحظة، يتفانى في عمله ويؤثره على كل ما سواه، ونقل عنه عددٌ كبير من النصائح التي غدت مثالاً يحتذي به لاحقوه. وكان، إلى جانب كونه ممارساً حاذقاً، أستاذاً يمارس مهنة التعليم بشكلٍ أكاديمي مبتكر في ذلك الزمن. ويؤثر عنه أنه كان يتحاشى استعمال الدواء إذا نفع الغذاء ويتحاشى استعمال الدواء المركب إذا نفع الدواء المفرد، ولم يكن يشعر بالحرج أو الضيق فيما إذا استأنس برأي طبيبٍ آخر ويعتقد جازما بأن ذلك لا ينقص من قدر الطبيب المعالج. كما اشتهر بمحاربة الدجالين والمشعوذين وكثيراً ما شهَّر بألاعيبهم وأكاذيبهم.

ومن المعروف عنه أنه أصيب في أواخر عمره بفقد الرؤية بسبب ساد في عينيه، فنصحه أحد الكحالين بقدح الماء، فسأله الرازي عن طبقات العين فلم يعرفها ذلك

القادح، فغادره الرازي قائلاً: «لا يقدحن عيني من يجهل طبقات العين». وأبقى على الساد في عينيه حتى توفي حوالي ٣١٣هـ = ٩٢٥م[١] أو قبلها بخمس سنوات أو بعدها بخمس سنوات حسب المؤرخ وله من العمر خمسة وستون سنة.

اشتهر الرازي بغزارة إنتاجه الفكري، فقد عدد ابن النديم له مئة وأربعة عشر كتاباً ورسالة واحدٌ منها فقط في طب العيون ألا وهو (كتاب في هيئة العين)[٢] وأحصى له ابن أبي أصيبعة ٢٢١ كتاباً ورسالة في مختلف أصناف العلوم (طب، طبيعيات، منطق، رياضيات، فلسفة) سبعةٌ منها في مجال طب العيون وهي:

١ ـ رسالة في فضل العين على سائر الحواس.

٢ ـ كتاب في كيفية الإبصار.

٣ ـ رسالة في هيئة العين.

٤ ـ كتاب في أدوية العين وعلاجاتها.

٥ ـ رسالة في علاج العين بالحديد.

٦ ـ مقالة في العلّة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظلمة.

٧ ـ كتاب المشجرة (أرجوزة في طب العين)[٣].

أما السامرائي فقد أحصى له ١١٧ كتاباً، ثلاثة منها فقط في طب العيون بالرغم مما هو معروف عنه من دقةٍ في التمحيص والتوثيق[٤].

(١) أصيبعة / نجار٣/٢٥.

(٢) ابن النديم ٥٥٧ ـ ٥٦٢.

(٣) أصيبعة / نجار ٢٩ ـ ٤٩.

(٤) السامرائي١/٤٤٩ ـ ٤٦٤.

ولعل سزكين كان أفضل من وفى الرازي حقه، فقد عدد له ثمانية كتبٍ ورسائل في طب العيون بإضافة (رسالة في معرفة تطريف الأجفان) على قائمة ابن أبي أصيبعة. كما ذكر أن خمسة منها موجودة في حلب، حكيم (فهرس الأب سباط م١ ص١٠٠ أرقام ٨٦٥، ٨٦٤، ٨٦٣، ٨٦٢، ٨٦١). واثنين في طهران هما: المشجرة: سنا ٣٠/٣١٩٠ ص ٥ ومابعدها، ١٠٠٧هـ. ورسالة في أدوية العين وعلاجها: مجلس ١٥٣٢ و ١٥٦٧ فهرس م ٤ ص ٢٧٣ وما بعدها[١].

ومن أشهر كتب الرازي كتابان ألا وهما (المنصوري) و(الحاوي في الطب).

أما كتاب (المنصوري) فقد ألفه لصديقه الأمير (منصور بن إسحق بن أحمد بن أسد) (والي الساسانيين على الري)، ونال شهرةً واسعة في أوروبا اللاتينية فقد ترجمه جيرارد الكريموني الذي عاش بين ١١٣٤ ـ ١١٧٨ وطبعت الترجمة في ميلانو، إيطاليا عام ١٤٨١، كما نشر رايسكه Reiske المستشرق الألماني وأحد رواد الاستشراق (ت عام ١٧٧٤م) النص العربي وطبع بعد وفاته في ألمانيا عام ١٧٧٦.

وأما (الحاوي) الذي يعتبر بحق موسوعة طبية متكاملة فقد اكتسب شهرةً واسعة طغت على كل ما سواه، وبقيت الترجمة اللاتينية التي قام بها اليهودي الصقلي فرج بن سالم المعروف باسمFerragius (ت ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م)[٢] تدرس في جامعة باريس حتى ١٣٩٥م، وتكررت طباعة هذه الترجمة اللاتينية حتى عام ١٩٠٥ حيث طبعت آخر مرة في البندقية.

(١) سزكين٣/٤٣٦ ـ ٤٣٩.

(٢) ـ هو فرج بن سالم الصقلي، طبيب ومؤرخ يهودي من صقلية عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، كان يجيد اللغة اللاتينية ومن أجل أعماله ترجمته لكتاب الحاوي للرازي عام ١٢٧٩ باسم Continens كما قام بترجمة بعض أعمال جالينوس.



ثم قامت دائرة المعارف العثمانية فـــي حيدرآباد الدكن في الهند بتجميع هذا الكتاب وطبعــه عام ١٩٦٠ وبلغت أجــزاؤه ٢٣ جزءاً، الجــزء الثاني منها متخصص في طب العيون[١].

وقد قــام الدكتور محمــد محمد إســماعيل مؤخرا بمراجعــة وتصحيح الكتاب، وطبعته دار الكتــب العلمية ـ بيروت، لبنان عــام ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م. ويعتبر عمل الدكتور محمد محمد إســماعيل من أجلّ الخدمات التي قدمت لهذا الكتاب العظيم[٢].

أما ما يؤخذ على الجزء الثاني من المجلد الأول (في أمراض العين) فهو خلوه من أية رسومات توضيحية سواء كانت تشريحية أو أدواتٍ جراحية، كما أنه يبرز قلة خبرة المؤلف في مجال جراحة العيون.

وقد كتبت السيدة Emile Savage- Smith حديثاً مقالاً[٣] تطعن فيه من طرفٍ خفي وتشكك بما ذكره عمار بن علي الموصلي الكحال (ت ٤٠٠هـ = ١٠١٠م) في كتابه (المنتخب في علم العين) عن اختراعه واستعماله المقدح المجوف، وتقتبس من الحاوي قوله أن هذه العمليــة كانت قد أجريت للمرة الأولى من قبل أنطيلــس Antyllus (توفي في القــرن الثاني الميــلادي). وبالرجوع إلى الحاوي طبعة بيروت سنة ٢٠٠٠ تبين أنه نقل عن Antyllus قوله (وقومٌ أدخلو في مكان القدح أنبوباً زجاجياً ومصوه فامتصوا الرطوبة البيضية معه). والســؤال الذي يجب أن يُطرح على السيدة Savage- Smith:

أولاً: هل قرأ أحد كتاب أنطيلس بل هل شاهده أحدٌ ما؟

---

(١) السامرائي١/٤٥٢.

(٢) الحاوي/ محمد محمد إسماعيل ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٣) Emile savage -smith (The Practice of surgery in Islamic lands, Myth or reality) 0951 = 631 X, Social history of medicine. Volume 13. No: 2, 307-321.

ثانياً: وهل كان لديهم في القرن الثاني الميلادي من التقنية ما يمّكنهم من تصنيع أنبوب زجاجي رفيع يمكن إدخاله دون أن يكسر في العين وامتصاص الماء الأبيض. أعتقد أن السـيدة Savage- Smith لم تتحر اقتباسـها بدقة كافية لتحفظ مكانتها العلمية وتاريخها المجيد في تأريخ الطب!.

٣ ـ أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري[١] (ت بعد ٣٦٦هـ = ٩٧٦م)

ولد في طبرسـتان وجال في أقطار البلاد كلها كالري وهمدان وأصفهان والأحـواز، وخدم فـي بـلاط ركـن الدولـة البويهـي (٣٢١ ـ ٣٦٦هـ = ٩٣٣ ـ ٩٧٦م). والغريب أن ابـن النديم قد تجاهله تمامـاً ولم يذكر عنه أي شيء، كما أن ابن أبي أصيبعة كتب عنه باقتضابٍ شديد ولم يذكر عنه إلا أن له الكناش المعروف بـ(المعالجات البقراطية) وهو «من أجل الكتب وأنفعها ويحتوي على مقالاتٍ كثيرة».

ثم أفاض سـزكين بالكتابة عنه وذكر له كتاباً آخر اسمه (مقالة في العين) وذكر مرجعها: حلب: باسيل فهرس الأب سباط م١ ص١٠٧ رقم٩٠٥.

أما أ.د. السامرائي فقد كرر ما ذكره سزكين وأضاف إليها كتاب (في علاج الأطفال) ورسـالة في ذكر (القارورة) أو كتاب (التفسرة) وكلاهما موجودان على شكل مخطوطات في طهران: دانشكاه.

أما من أعطى أبا الحسـن أحمد بن محمد الطبري وكتابه حقه في تاريخ الطب فهو المستشرق الكبير وإمام المؤرخين يوليوس هيرشبرغ[٢] الذي أفرد له

(١) انظر: أصيبعة/نجار: ٥٠/٣، السامرائي: ٤٦٩/١ ـ ٤٧٣، حمارنة ورجب: ١٣٩، ٢٠٥، ن. حمارنة: ٢٨/٢، كحالة: ١١٢/٢، سـزكين: ٤٨٩/٣ ـ ٤٩٢، لوكليرك: ٣٥٨/١، سارتون: ٦٧٧/١، هيرشبرغ: ٢٧/٢، ١٢٣ ـ ١١٦، ٥٢.

(2) The History of Ophtamalogy, J. Hirschberg: translated into English by: Frederick C. Blodi 1985, Bonn, W. Germany, Published: J. P.Weyenborgh verlag.



سبع صفحات في الجزء الثاني من موسوعته، فشرح وحلَّل المقالات كلًّا على حـدة، وذكر ما فيهـا من جديـد واسـتخلص أن «الطبري كان مـن الأطباء الموسوعين المرموقين بل هو طبيبٌ سـريريٌ عظيم لم يقدر حق قدره، فهو غزير المعرفة، وكتابه مليءٌ بالأفكار الحديثة». وذكر أن كتابه «موسوعة طبية هامة تعود إلى النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وقد اقتبس عنه مرارا معظم من خلفه من الكحالين العرب أمثال: خليفة بن أبي محاسن الحلبي في كتابه (الكافي في الكحل) وصدقة الشـاذلي في كتابـه (العمدة الكحلية في الأمراض البصرية)».

ومن أهم ما جاء به الطبري في كتابه أنه:

ـ حذر من المكوث في الظلمة لفترة طويلة خشية فقد الرؤية الدائم.

ـ شـرح أن عـدم ارتكـاس الحدقـة للنورتكـون نتيجة لإصـابة الـعصـب البصري.

ـ وصف مرض الشبكرة أو ما يسمى باللغة العربية العشا الليلي.

ـ ويحسب له أنه أول من ذكر أن «الماء النازل في العين ينجم عن رطوبة غليظة تخـص الجليدية بالإضـرار بها» فقد سـبق بذلـك Hermann Borhaf (١٦٦٨ ـ ١٧٣٨) الذي يذكره المؤرخون على أنه أول من ذكر أن الساد هو من أمراض العدسة.

ـ كما اعتمد في الاستطباب لعملية قدح الماء على ارتكاس الحدقة للنور، وهي العلامة التي اعتمدت منذ عصر جالينوس.

ـ وقد يكون أول من وصف العدسة المحدبة الوجهين حين وصف (حصاة المهاة) وقدرتها على حرق ما يقع أمامها.

ـ كما أنه وصف القمور وهو العمى الناجم عن التعرض المديد لانعكاس أشعة الشمس على الشبكية.

ـ وكان أول من شرح آلية كسوف الشمس بشكلٍ علميٍ دقيق، وذلك بتوسط القمر بين الشمس والأرض.

ـ كما وصف بدقة شديدة احتراق اللطخة الصفراء لدى من ينظر إلى الشمس في أثناء الكسوف Solar eclipse macular burn.

ـ ووصف بدقة أعراض تعرض العين لكمية هائلة من أشعة فوق البنفسجية (في أثناء الكسوف) التي تتلخص بفقد الرؤية المركزية الذي قد يكون دائماً، بالإضافة إلى الألم والدماع الناجم عن التهاب القرنية النقطية Punctate keratitis.

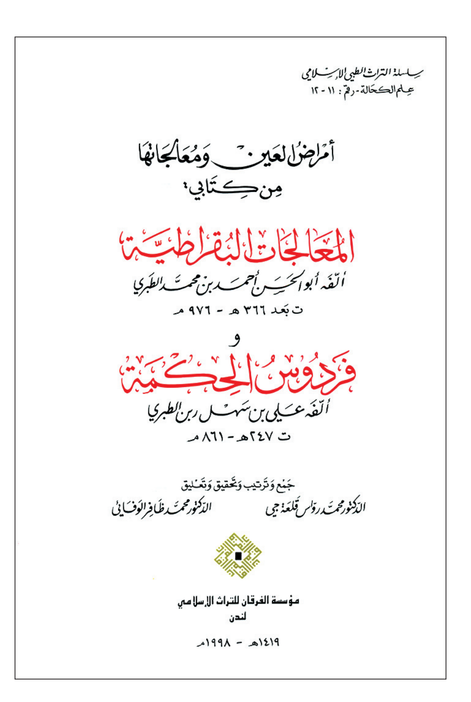
ـ ويذكر أن الحول الولادي لا علاج له.

وقد تمكنا بحمد الله (أ.د. محمد رواس قلعه جي وأنا) من جمع وترتيب وتحقيق المقالة الرابعة والتعليق عليها، ونشرتها مشكورةً مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن عام ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م في مجلد واحد مع قسم العيون من كتاب (فردوس الحكمة) كما ذكرنا آنفا.

مخطوطات الكتاب:

أحصى البرفسور سزكين عشرين مخطوطة لكتاب (المعالجات البقراطية) وهي كالتالي: اسطنبول: أربع مخطوطات، ميونيخ: مخطوطة واحدة، أوكسفورد: مخطوطتان، لندن: مخطوطة واحدة، طهران: ثلاث مخطوطات، حيدرآباد: مخطوطتان، دبلن: تشستربيتي: مخطوطة واحدة، القاهرة: مخطوطتان، دمشق: مخطوطة واحدة، تبريز: مخطوطة واحدة، بنكيبور: مخطوطة واحدة، رامبور: مخطوطة واحدة.





سلسلة التراث الطبي الإسلامي
علم الكحالة - رقم: ١١ - ١٢

أمراض العين ومعالجاتها
من كتابي:

المعالجات البقراطية
ألفه أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري
ت بعد ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م

و

فردوس الحكمة
ألفه علي بن سهل ربن الطبري
ت ٢٤٧هـ - ٨٦١ م

جمع وترتيب وتحقيق وتعليق
الدكتور محمد رواس قلعة جي — الدكتور محمد ظافر الوفائي

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
لندن

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

٤ ـ علي بن عباس الأحوازي[(١)] (ت ٣٨٤هـ = ٩٩٤م)

كامل الصناعة الطبية

يعرف عند الغربيين باسم Haly Abbas

ولد بالأحواز وينسب إليها، ودرس الطب على أبي ماهر بن يوسف بن سيار[(٢)]، ومارس الأحوازي الطب في مسقط، رأسه ثم انتقل إلى بغداد وخدم

---

(١) انظر أصيبعة / نجار: ٣٦٨ ـ ٣٧٠، السامرائي: ٤٧٥/١ ـ ٤٨٠، حمارنة ورجب: ١٣٨ ـ ١٤٠، كحالة: ١١٦/٧، الزركلي: ٢٩٧/٤، القفطي: ٢٣٢، ابن آيبك الصفدي: ٨٥/١٢ ـ ٩٦، حاجي خليفة: ١٣٨٠، سزكين: ٥١٠/٣ ـ ٥١٥، هيرشبرغ: ١٨/٢ ـ ٢٧ و ١٢٣ ـ ١٢٤، سارتون٦٧٧/١ ـ ٦٧٨، غاريسون١١٣، لوكليرك٣٨١/١ ـ ٣٨٨.

(٢) طبيب مشهور خدم في بلاط الخليفة العباسـي القادر بالله (٣٨١ ـ ٤٣٣هـ = ٩٩١ ـ ١٠٣١م)، تتلمذ عليه عدد كبير من الأطباء العمالقة، اختلف المؤرخون بتاريخ وفاته فمنهم من قال إنه توفي سنة ٣٥٠هـ = ٩٦١م ومنهم من ذكرها ٣٧٧هـ = ٩٨٣م.

في بلاط عضد الدولة البويهي[١]. وهناك ألف كتابه الموسوعي (كامل الصناعة الطبية) ورفعه إلى مخدومه باسم (الكتاب الملكي) حينما وُليَّ عضد الدولة المُلك.

كان عالماً واسع الاطلاع، قرأ معظم ما كُتب قبله في صناعة الطب بدءاً من أبقراط وجالينوس وأوريباسيوس وبولس الأجنيطي وابن سرابيون وأهرن القس والمسيح الدمشقي وغيرهم، غير أنه لا حظ أن معظم هذه الكتب يفتقد بعض المعلومات مما يجعل مضمونها صعب الفهم، ولذلك فقد قرر أن يؤلف كتاباً يخلو من هذه النقائص، وقد ذكر في مقدمة كتابه أن ما دفعه إلى تأليف هذا الكتاب «هو صعوبة فهم عبارات كتاب الفصول لأبقراط، وتناثر المعلومات في كتب جالينوس، وخلو كتب أوريباسيوس من ذكر الأمزجة والأخلاط والأعضاء وعدم ذكر أي شيء عن الأمور الطبيعية وتشريح الأعضاء والعلاج باليد، والتشوش المخل في ترتيب كتاب الحاوي للرازي».

ويقع كتابه في عشرين مقالة مقسمة تقسيماً حسناً إذ شملت علوم الطب النظرية والعملية، فجاء الكتاب أفضل من كتاب المنصوري للرازي، وحوى من الشروحات والتوضيحات ما جعله أكثر قبولاً لدى الدارسين من (فردوس الحكمة) لعلي بن سهل ربن الطبري، وبقي الكتاب مرجعاً لا غنى عنه حتى ظهور كتاب (القانون) لابن سينا، ومع ذلك فقد حافظ على مكانته العلمية وانتشر انتشاراً واسعاً[٢]، وقد آثره القفطي في كتابه (تأريخ الحكماء) قائلًا: «الملكي في العلم أبلغ والقانون في العلم أثبت»[٣].

---

(١) فناخسرو ابن ركن الدولة ابن علي بن حسن بن بويه أقوى ملوك البويهيين، كان شغوفاً بالعلم محباً للعلماء وهو الذي أنشأ البيمارستان العضدي في بغداد وتوفي سنة ٣٧٣هـ = ٩٨٣م.

(٢) السامرائي: ٤٧٨/١.

(٣) القفطي، تأريخ الحكماء: ٢٣٢.

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب التزام مؤلفه بأخلاقيات الطبيب والمُثل العليا التي كثيراً ما وردت عبارات الحث عليها في معظم فصول الكتاب مثل قوله: «ينبغي لمن أراد أن يكون طبيباً فاضلاً عالمــاً أن يقتدي بوصايا أبقراط الحكيم الذي أوصى المتطببين بها في عهــده، وأن يجتهد في مداوة المرضى وحســن تدبيرهم». وكان ـ بالإضافة إلى الأخلاقيات المثالية التي اتســم بها للحفاظ على شرف المهنة ـ رائداً من رواد علم التشريح والتشخيص التفريقي وبعض العمليات الجراحية، إذ كان أول من ذكر وجود الأوعية الشــعرية بين العروق النوابض (الشرايين) وغير النوابض (الأوردة)، وكان أول من نبه على صعوبة شفاء مرض الســل بســبب حركة الرئتين الدائمة، وكان أول من نصح بخمص الرئة، تلك العملية التي ساد استعمالها لعلاج السل في القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين قبل دخول المضادات الحيوية على المعالجة.

واستعمل (قثاطير) لإفراغ المثانة من البول المحتبس فيها.

كما استأصل الغدد اللمفوية الرقبية المتدرنة (داء الخنزير).

وكان أول من عالج أم الدم (الأنوريسما aneurysm) جراحياً.

واشتهر بعينه الســريرية Clinical Eye فكان شــديد الملاحظة ويفرق بين الأمراض بدءاً من فحص المريض وملاحظة سحنته ونبضه.

ونظراً لما لهذا الكتاب من أهميــة علمية ومكانة مرموقة لدى طلاب الطب والأطباء الممارســين على السواء، فقد انتشرت نســخه وترجماته بشكلٍ واسع جداً، وقد ترجمه لأول مرة قســطنطين الإفريقي (ت ١٠٧٨م) وانتحله لنفســه، ومضى قرابة مئة وعشرين ســنة قبل أن يترجمه أســطفان الأنطاكي ويذكر اسم مؤلفه الحقيقي وهو الأحوازي، فيكشف زيف قسطنطين بادعائه الكتاب لنفسه[١].

---

(١) سزكين: ٣/٥١١.

وقد طبع الكتاب باللغة العربية في البندقية عام ١٤٩٢ ثم في ليون عام ١٥٢٣ ثم في لاهور عام ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م وطبع بعد ذلك بنحو عشر سنوات في مطبعة بولاق بالقاهرة عام ١٨٧٧.

كما قام P. De Koning بترجمة القسمين الثاني والثالث منه إلى اللغة الفرنسية ونشره مع الأصل العربي في لايدن عام ١٩٠٣.

وذكر سزكين وجود ترجمة تركية له في بورصة ـ تركية رقم (شلبي) ٨١٩ كتبت في القرن العاشر الهجري[(١)].

وقد بقيت الترجمة اللاتينية لهذا الكتاب من مقررات الدراسة في كليات الطب في أوروبا إلى جانب الترجمات اللاتينية لكل من الحاوي للرازي والقانون لابن سينا والتصريف للزهراوي والتيسير لابن زهر حتى القرن السادس عشر الميلادي.

أما فيما يتعلق بطب العيون فقد تمكنت بفضل الله وتيسيره وبالتعاون مع أ.د. محمد رواس قلعه جي من جمع وترتيب ما تناثر منها في أرجاء الكتاب وقمنا بتحقيقها وتحديث المعلومات الواردة فيها ونشرت الكتاب وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٩٧[(٢)].

ومما يؤخذ على الفصل المختص بعلم العيون من الكتاب أن المؤلف لم يذكر جميع أمراض العين المعروفة آنذاك فلم يذكر أمراض الرطوبات (البيضية والجليدية والزجاجية) ولم يذكر أي شيء عن أمراض (العنكبوتية أوالشبكية

---

(١) سزكين: ٣/٥١٥.

(٢) الكحالة (طب العيون في كتاب كامل الصناعة الطبية المعروف بالكتاب الملكي)، تأليف علي بن عباس الأحوازي، حققه وأعده للنشر أ.د. محمد ظافر الوفائي وأ.د. محمد رواس قلعه جي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، عام ١٩٩٧.

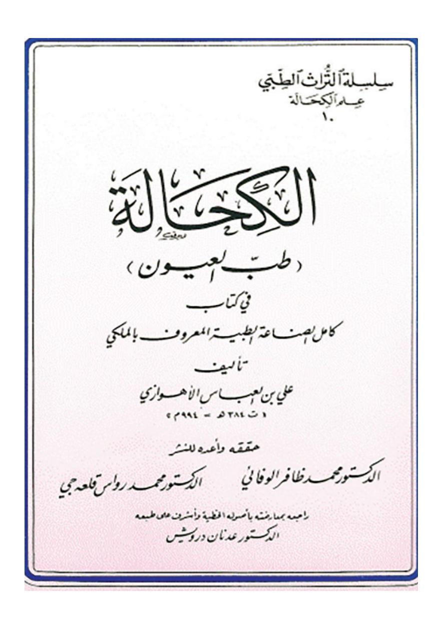


أو الصلبة) وذكـــر بعض الأمراض دون ذكر علاجها، وفــي أحيانٍ أخرى ذكر علاجات بعض الأمراض دون ذكر وصفها.

مخطوطات الكتاب:

ذكرت مقدماً أن الكتاب حظي بشهرة واســعة جعلته أكثر انتشاراً من أي كتابٍ آخر، فقد أحصى البروفسور سزكين له ثلاثاً وسبعين نسخة منتشرة في أنحاء العالم بدءاً من الهند والباكستان ولندن وباريس وانتهاءً بجامعة هارفارد في بوسطن، الولايات المتحدة الأميركية.

إضافة إلى هذا الكتاب المشهور جداً، فقد انفرد سزكين بذكر كتابٍ آخر للمؤلف اســمه (رســالة فــي الفصد) وذكــر وجودهــا في (كتانــي، ٩٣٨ ص ١٣٥ ـ ١٥٨ كتبت عام ١١٢٨)[1].



(١) سزكين: ٥١٥/٣.



٥ ـ أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي[(١)] (ت ٤٠٠هـ = ١٠١٣م)

التصريف لمن عجز عن التأليف

وقد صحف اسـمه باللاتيني مراتٍ عديدة مثـل: Aboulcasis، Abulcasis و Albuccasis و Bulchasis و Bulcaris و Abbucassa

ولد أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي في مدينة الزهراء وإليها ينتسب، وعاش وتعلم ومارس الطب العام وخاصةً الجراحة في قرطبة. ولم يعرف تاريخ ولادته واختلف في تاريخ وفاته، ويرجح أنها عام ٤٠٠هـ = ١٠١٣م، بينما يذكر السـامرائي أنه توفي عام ٤٢٧هـ = ١١٠٦م وهو يخالف بهذا معظم المؤرخين، ولكن من المؤكد أنه عاش إلى أن بلغ السابعة والتسعين من العمر[(٢)].

وربما عاصر ابن سـمجون[(٣)] وأبو عبد الله البكري[(٤)] في بلاط الخليفتين المستنصر والمؤيد. ولم يعلم عن معلميه أو مشايخه شيئاً غير أنه ذكر في كتابه (التصريف لمن عجز عـن التأليف) أنه قرأ كتاب الحـاوي للرازي والملكي للأحوازي والقانون لابن سينا وغيرهم كابن التلميذ البغدادي وعلي بن عيسى

---

(١) انظر أصيبعة / نجار: ٢٤٦/٣، السامرائي: ١٦١/٢ ـ ١٦٨، حمارنة ورجب: ١٤٠ ـ ١٤٢، ٢٠٦ ـ ٢٠٧، كحالـة: ١٠٥/٤، الزركلي: ٣١٠/٢، حاجي خليفـة: ٤١١ ـ ٤١٢ ـ ٤٢٥، سـزكين: ٥١٦/٣ ـ ٥٢٠، هيرشبرغ: ٢٨/٢ و ١٢٥/٢ ـ ١٢٧، غاريسون: ١١٥، سارتون: ٦٨١/١ ـ ٦٨٢، لوكليرك: ٤٣٧/١ ـ ٤٥٧.

(٢) السامرائي: ١٦٦/٢.

(٣) ابن سمجون (ت ٤٠٠هـ = ١٠١٠م): طبيب أندلسي وعشاب أسهم في تقدم العلوم الصيدلانية والعقاقير، عاصر الخليفة الحكم الثاني، له عدة مؤلفات في النباتات الطبية أشهرها: الأدوية المفردة وكتاب الأقرابذين... انظر: أصيبعة / نجار: ٢٤٣/٣.

(٤) ـ هـو أبو عبيـد الله بـن عبد العزيز بـن محمـد البكـري الأندلسـي (٤٢٣ ـ ٤٨٧هـ = ١٠٣٠ ـ ١٠٩٤م)، مـؤرخ، جغرافي، علامة في الأدب وله المام كبير في الأعشـاب والنباتات الطبية، ولد غربي أشـبيلية وعاش في قرطبة والمرية، له من الكتب: المسالك والممالك... انظر: أصيبعة / نجار: ٢٤٤/٣.



الكحال، ثم أُولــع بالطب الجراحي فقــرأ كتب بولــس الأجنيطي وأتيوس الآمدي، وقد قيل أنه كان أســتاذاً لأبي بكر الكرمانــي وأبي بكر بن الخياط والدارمي وابن وافد اللخمي ويوسف بن أحمد بن حسداي.

عرف عنه الزهد وممارســته الطب مجاناً ولم يعرف أنه أعقب نســلاً[١]. ولسوء الحظ فقد عُرف الزهراوي واشتهر في أوروبا اللاتينية أكثر مما اشتهر في بلاد المسلمين، حتى إن ابن أبي أصيبعة لم يكتب عنه سوى ثلاثة أسطر أو أربعة، وذكر أنه ألف كتاباً ضخماً مؤلفاً من ثلاثين مقالة سماه (التصريف لمن عجز عن التأليف).

أما في أوروبا اللاتينية فقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية والعبرية والإنكليزية إذ ترجمه:

- جيرارد الكريموني إلى اللاتينية في أوائل القرن الثاني عشر.
- شائيم توب من اللاتينية إلى العبرية.
- واقتبس من الترجمة اللاتينية كلٌّ من (روجر الباليرمي) و(غي دو شلياك) جراح فرنسا الاشهر في القرن الرابع عشر.

وطبعت المقالة الثلاثين باللغة العربية مع الترجمة اللاتينية في أكسفورد عام ١٧٧٨.

- وهناك ترجمة فرنســية قام بها المستشــرق الكبير لوكليرك طبعت في باريس عام ١٨٦١.
- وهناك ترجمــة تركية قام بهــا صابونجي أوغلو شــرف الدين بن الحــاج علي إلياس.

---

(١) السامرائي: ١٦٣/٢.

ـ نشر في حيدرآباد الدكن بنسخته العربية عام ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م.

وكان آخر من عمل في هذا الكتاب إثنان هما: Lewis and spinks ونشرت الترجمة الإنكليزية إلى جانب النص العربي عام ١٩٧٣[١].

وبقيت هذه المقالة مرجع المراجع لممتهني الطب عامةً والجراحة بشكل خاص لمدة أربعمئة سنة، كما بقيت من مقررات تدريس الطب في الجامعات الأوروبية لأكثر من خمســة قرون، وقال عنه براون وغيره كثيرون: «إنه أعظم جراح عربي أنجبته الأمة الإسلامية»[٢].

وتعود شهرة الزهراوي والمقالة الثلاثين خاصة لكونه قد اكتشف ووصف عمليات جراحية لم تكن معروفة عند ســابقيه، كما أنه زينها برسومٍ لأدوات جراحية صممها وصنعها واستعملها وشرح طريقة استعمالها، ولأعدد هنا بعض منجزاته في مضمار الجراحة:

ـ وصف الناعور Hemophilia

ـ وصف شفة الأرنب

ـ أول من ربط الأوعية الدموية بخيوط الحرير

ـ أول من خاط الجروح بشعر ذيل الخيل

ـ أول من صمم واســتعمل ملقــط الجنين قبل (شــمبرلان) بأكثر من خمسة قرون

ـ أول من وصف الحمل خارج الرحم Ectopic Pregnancy

ـ أول من استأصل حصاة المثانة عن طريق المهبل

---

(١) Albucasis & surgery, M. S. Spinks & G. Lewis , University of California Press, 1973.

(٢) السامرائي: ١٦٣/٢.

ـ أول من وصف منظار المهبل

ـ أول من استأصل الأورام استئصالاً جذرياً

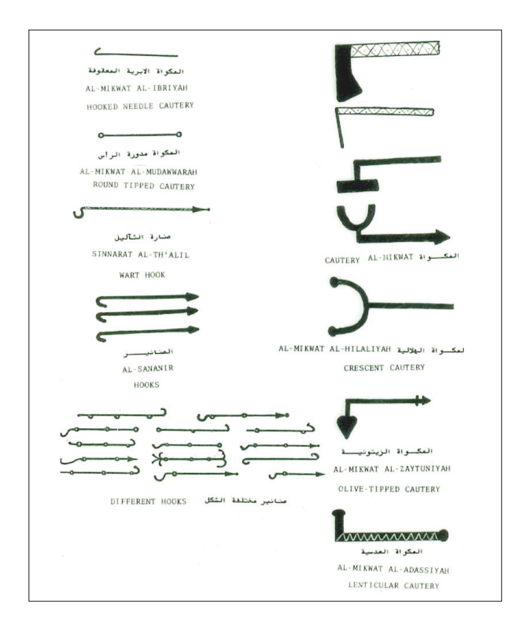
ـ رسم نحو سبع عشرة آلة جراحية لمعالجة أمراض العين نذكر منها: المراود، المباضع، الصنانير، الكلاليب، الملاقط، المقصات بأنواعها، المشارط، المقادح، أدوات التشمير والمكاوي وغيرها.

مخطوطات الكتاب:

لقد أسهب سزكين في ذكر المخطوطات وعدد ستاً وثلاثين مخطوطة موجودة في معظم مكتبات العالم بدءاً من بنكيبور في الهند وانتهاءً بلندن ومروراً بتركيا وبرلين وباريس والمغرب[١].

KNIFE AL-MIBDA' المبضع	SCALPEL AL-QAMADIN القمادين
ROSE LEAF WARDAH ورقة الورد	DISSECTING KNIFE MIJRAD المجرد
SCALPEL AL-BARID البريد	AXE AL-FA'S الفأس
PERFORATOR MITHQAB المثقب	FUNNEL QUM' القمع
LANCET MAHT المهت	SCISSORS المقراض
COUCHING NEEDLE AL-MIQDAH المقدح	BAMBOO STICKS AL-QASSABATAYN القصبتين

(١) سزكين: ٣/٥١٨ ـ ٥٢٠.



٦ ـ الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا[١] (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ = ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م)

القانون في الطب

هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، وقد لقب بفيلسوف الاسلام وبأمير الأطباء وسمّاه الأوروبيين AVICENNA.

ولد في مدينة بخارى شمال خراسان لأبٍ إسماعيلي المذهب كان يتمتع بمركز اجتماعيٍ ودينيٍ مرموق عندما كان في مدينة بلخ، ثم هاجر إلى بخارى حيث تزوج من فتاة اسمها (ستارة) وأنجب منها الحسين بن سينا، واختلف

(١) انظر: أصيبعة / نجار: ٨٤/١ ـ ٩٧ و ٧٠/٣ ـ ١١٧، السامرائي: ٤٨٣/١ ـ ٥٠٠، حمارنة ورجب: ٦٥، ١٧٥، ١٣٥، كحالة: ٢٠/٤، الزركلي: ٢٤١/٢ ـ ٢٤٢، القفطي: ٤١٣ ـ ٥٢٤، الذهبي: ١١٨/١١، ابن تغري بردي: ٢٥/٥ ـ ٢٦، ابن عماد الحنبلي: ٢٣٣/٢ ـ ٢٣٧، ابن أيبك الصفدي: ٧٩/١١ ـ ٨٧، حاجي خليفة عدة مواضع في الجزء الثاني عشر، غاريسون: ١١٤ ـ ١١٥، ديورانت: ١٥٠/١٣ ـ ١٩٣، لوكليرك: ٤٦٦/١ ـ ٤٧٧، هيرشبرغ: ١٢٤/٢ ـ ١٢٥، ألدوميلي: العلوم عند العرب: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

بعض المؤرخين في تاريخ ولادته فمنهم مـن جعلها ٣٧٠هـ أي حوالي ٩٨٠م ويقول ابن أبي أصيبعة إن ولادته كانت سنة ٣٧٥هـ = ٩٨٤م.

ظهرت بوادر النباهة والذكاء باكراً على ابن سينا فحفظ القرآن وهو دون سـن العاشـرة من العمر، وأكمل دراسـة اللغة والفقه والمنطـق وهو دون العشرين، ثم عمد إلى تعلم الفلك والحساب والطب وعلم طبقات الأرض، وألف في كل هذه العلوم كتاباً أو أكثر ورسالة أو أكثر. ونقرأ في سيرته الذاتية التي أملاها باللغة العربية على تلميذه أبي عبيدالله عبد الواحد الجوزجاني[١] أنه ناظر في الفقه وهو ابن سـتة عشـر عاماً، كما نقرأ فيها أنه أولع بالطب ودرسه دراسـة ذاتية بقراءة معظم ما كتبه سـابقوه في هذا العلم. ولم يكن يتكسب من ممارسة الطب بل يفعل ذلك تقرباً إلى الله. وذكر في هذه السيرة أنه لم يحرم نفسـه من لذات الحياة فكان يعاقر الخمرة ويتغنى بها، ويطارد الغواني ويمارس الجنس حتى قال عنه تلميذه الجوزجاني: «وكان الشيخ قوي القوى كلها وكانت قوة المجامعة من قواه الشـهوانية أقوى وأغلب»[٢]، وذكر في سيرته أنه بدأ يناقش في أمور الطب ونقل عنه بعض التلاميذ وهو في سن العشرين من العمر.

وقد وصفه عدد من المؤرخين ودارسي علومه وكتبه بأنه كان فيلسوفاً طبيباً في حين كان سلفه الرازي طبيباً فيلسـوفاً، كما مدحه بعض مريديه ومؤرخيه بقولهم «كان الطب معدوماً فأوجده أبقراط، وميتاً فأحياه جالينوس، ومشـتتاً فجمعه الرازي، وناقصاً فأكمله ابن سينا»[٣].

(١) هو أبو عبدالله عبد الواحد الجوزجاني (ت ٤٣٨هـ = ١٠٤٧م) من ألصق تلاميذ ابن سينا به، وكان بمثابة مريد لا تلميذ فحسب، كتب سيرة معلمه كما أملاها هو عليه، وأعان استاذه على جمع كتاب الشفاء، وفسر (مشكلات القانون) وشرح (رسالة حي بن يقظان)، وتوفي بهمذان.

(٢) أصيبعة / نجار: ٣/ ٨٨.

(٣) السامرائي: ٤٩٠/١.

وكما ذكرنا أنه برع في أكثر من علمٍ وفن[١]، وكتب في كلٍ منها ما وسعه الجهد أن يكتب. وقد أحصى له ابن أبي أصيبعة مئةٍ وأربعة وثلاثين كتاباً[٢] ولا شك أن من أشهر كتبه كان كتاب (القانون في الطب) الذي غطى بمجرد كتابته على كل ما سبقه من الكتب الطبية، وذلك لشموله الواسع للمادة العلمية وحسن تبويبه وغزارة المعلومات الواردة فيه، ومع غلبة الطابع الباطني على الجراحي فيه إلا أنه كان ولم يزل حتى أواخر القرن الثامن عشر مرجعاً لا يضاهيه ولا يقاربه مرجعٌ آخر.

وقد أخذ في هذا الكتاب الموسوعي عن سابقيه كأبقراط في (كليات الطب) وجالينوس في (التشريح) وديسقوريدس في (الأدوية) وعن ابن ماسويه والرازي وحنين بن إسحق العبادي وعلي ابن سهل ربن الطبري وغيرهم كثيرين دون أن يشير إلى مصادر معلوماته إما ترفعاً وغروراً أو لكي يبرز للقارئين عبر التاريخ مدى عبقريته.

وقارنه بعض المؤرخين ببعض الكتب التي كتبت قبل زمانه، والتي كانت جامعة لعلوم الأولين، فكتاب (فردوس الحكمة) لعلي بن سهل ربن الطبري قد جمع الطب اليوناني والهندي والفارسي، وكتاب (المنصوري) لأبي بكر الرازي كان ذا نزعة علمية بحتة ويمتاز بالاختصار وشمولية محدودة، أما كتاب (كامل الصناعة الطبية) (الكتاب الملكي) لـ علي بن عباس الأحوازي فيمكن اعتباره نداً للقانون إلا أن كتاب القانون حاز قصب السبق وبذ كل ما سواه

---

(١) ومن عجيب ما برع به فيه وألف علم الأصوات، إذا ألف رسالة سمّاها: أسباب حدوث الحروف، بيّن فيها مخارج الحروف العربية وما يشبهها بطريقة طبية ونمط مبتكر لم يسبق إليه، وقد حققتها مع الزميل د. يحيى مير علم، ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٨٣ بتقديم رئيس المجمع د. شاكر الفحام رَحِمَهُ ٱللَّهُ. [د. حسان الطيان].

(٢) أصيبعة / نجار: ١١٧/٣.

وانتشر انتشاراً كبيراً وبقيت ترجماته اللاتينية تدرس في جامعات أوروبا حتى آواخر القرن الثامن عشر.

ولا ضير في أن نذكر ترجمات الكتاب قبل أن ندخل في مجال طب العيون.

ـ كانت أول ترجمة إلى اللغة اللاتينية قام بها جيرارد الكريموني (ت ١١٨٧) وطبعت للمرة الأولى في ميلانو عام ١٤٧٣ ثم في بادوفا عام ١٤٧٦ ثم في البندقية عامي ١٤٨٢ و ١٤٨٧.

ـ ثم قام أندريا الباغو بتنقيح ترجمة جيرارد الكريموني ونشرها عام ١٥٤٧.

ـ ثم ترجمه إلى العبرية ناثان هاماتي في روما عام ١٢٧٩ وطبع في نابولي عام ١٤٩١ ثم في البندقية في الأعوام ١٥٢٧ ـ ١٥٩١ ـ ١٦٠٨،

ـ وقد ترجم (دي كونينك De Koning) القسم الخاص بالتشريح ونشر عام ١٩٠٣[١].

كما قام إمام المؤرخين والمحققين هيرشبرغ وزميله ليبرت بترجمة قسم العيون من الكتاب إلى اللغة الألمانية ونشراه في لايبزيغ عام ١٩٠٢[٢] وقد أثبتنا مقدمة هذه الترجمة في كتابنا (أمراض العين وعلاجاتها عند الشيخ الرئيس الحسين بن علي بن سينا) كما ضمنا هذا الكتاب الأرجوزة في الكحل[٣].

---

(١) P. De koning: cr tdress anatomy Arab 1903 ـ أصيبعة / نجار: ٩٣/١.

(٢) J. Heirshberg & J. L. Lippert La partie ophthalmologue dans die augen heikunde des Ibn Sina. Leipzig 1902-.

(٣) أمراض العين وعلاجاتها، الشيخ الرئيس الحسين بن علي بن سينا، تحقيق وتعليق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعه جي، نشر دار النفائس بيروت طبعة ١، عام ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

وقد بلغت شهرة كتاب القانون أنه أول كتاب يطبع عل الآلة بعد الإنجيل. وأعيدت طباعته ست عشــرة مرة بين الأعوام ١٤٧٠ و ١٥٠٠، وبقي يدرس في جامعة مونبلييه حتى عام ١٦٣٠.

وقد طبع باللغة العربية لأول مرة في رومــا ١٥٩٣ ثم في بولاق مصر عام ١٨٧٧ ثم في ليكنو في الهند عام ١٩٠٥، وكان قد سبقت ترجمته قبل ذلك إلى اللغة الأوردية وطبع في ليكنو أيضاً عام ١٨٩٠.

وذكر النجار أن جوزف فون سونتهايمر قد ترجم قسم الأقرباذين إلى اللغة الالمانية وطبع في فرايبورغ عام ١٨٤٤[١].

وآخر طبعة لهذا الكتاب بنســختة العربية قامت به أكاديمية يزبك بمؤسسة الدراسات الشرقية بطاشقند، وجاء الكتاب بخمسة مجلدات دون ذكر التاريخ[٢].

كما عرف عن ابن ســينا قرضه للشــعر، وكان شــعره جيداً وفلسفياً في معظمه، ولعل من أشهره قصيدته في النفس التي مطلعها[٣]:

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ ... وَرْقَـاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّـــعِ

مَحْجُوبَةٌ عَــنْ كُلِّ مُقْلَةِ عَارِفٍ ... وَهْيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرْقَعِ

أَنِفَتْ وَمَا أَلِفــتْ فَلَمَّا وَاصَلَتْ ... أنستْ مُجَاوَرَةَ الخَرَابِ البَلْقَعِ

وأغلب شــعره الطبي كان من بحر الرجز على شــكل أرجــوزات ومنها أرجوزته في الكحل التي أثبتنها في كتابنا.

أما فيمــا يتعلق بعلــم الكحالة (طــب العيــون) فقد ضمنها فــي كتابه الموســوعي (القانون في الطــب) وقمنا بجمعهــا وترتيبهــا والتعليق عليها

(١) 4-Jos. V. Sontheimer, De Zusammenegesetzien Heilmittel der Ardaber nach Dem 5, Freiburg, 184 P ;أصيبعة / نجار: ٩٣/١.

(٢) السامرائي: ٤٩٧/١.

(٣) أصيبعة / نجار: ٩٣/٣.

وتحديث المعلومات الواردة فيها، وتبين لنا من أول الأمر أن الشيخ الرئيس لم يكن جراحاً يعتد بمعلوماته أو خبرته، وهو حتماً لم يكن كحالاً يعتد به، وذلك لأنه لم يذكر من أمراض الأجفان إلا ثلاثة وعشـــرين مرضـــاً من أصل أربعة وأربعين عرفت وأثبتها غيره من المؤلفين، وكذلك أمراض الملتحمة لم يذكر منها إلا أربعة أمراض، وكذلك أمراض القرنية لم يذكر منها إلا أربعة أمراض، ولم يتكلم على أمـــراض البيضية والعنكبوتية والجليديـــة والعصبة المجوفة، وهكذا في معظم أبواب الكتاب.

كما أنه لم يلتزم بمنهجية تأليف الكتب الطبية بالبدء بتعريف المرض ثم أســـبابه ثم أعراضه ثم علاماته ثم علاجه الدوائي ثم الجراحي إن كانت ثمة حاجة إليه.

ومع ذلك فقد كان كتاب القانون قبلة الأطبـــاء ينهلون من معينه على مر العصور، ولم يؤلف بعده أي طبيب كتاباً إلا استفاد منه واقتبس عنه، سواء ذكر ذلك أو أغفل ذكره.





٧ ـ ابن الهيثم[(١)] (ت ٤٣٠هـ = ١٠٣٨م) أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم

كتاب المناظر

ولد ابن الهيثم ونشأ في البصرة، ودرس فيها الرياضيات والهندسة ونبغ في كليهما، ثم أولع بالطب فدرسه غير أنه عزف عن ممارسته وعاد إلى الرياضيات والهندسة. أسند إليه الخليفة العباسي الطائع (٣٦٣ ـ ٣٨١هـ = ٩٧٤ ـ ٩٩١م) مناصب إدارية رفيعة إلا أنه فضل الانقطاع عن العمل والتفرغ للعلم والبحث العلمي.

ثم انتقل إلى القاهرة بدعوة من الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٦٨ ـ ٤١١هـ = ٩٩٦ ـ ١٠٢١م) للسيطرة على مياه النيل في موسم الفيضان واستعمال المياه في موسم الجفاف، ويبدو أنه كان بداية التفكير ببناء سدٍّ على النيل، غير أنّه زار الموقع في أعالي مصر ومعه عدد من المهندسين والخبراء وخلص إلى أن بناء السد سوف يغطي خلفه مساحاتٍ شاسعة من الأراضي وفيها أثارٌ قديمة وذات قيمةٍ تاريخية لا يستهان بها، وخشي إن هو أبلغ الخليفة برأيه هذا أن ينقُمَ عليه ويؤذيه لما عُرف عن الخليفة من قسوةٍ وشراسةٍ في معاملة من هم دونه، فتظاهر ابن الهيثم بشيء من الهوس والجنون واعتزل الناس كليةً وعاش في غرفة متواضعةٍ بجانب باب جامع الأزهر، واعتاش من نسخ كتب إقليدس والمجسطي وبيعها، ولم يخرج من عزلته إلا بعد موت الخليفة الحاكم وصدور أمر بالعفو عنه من الخليفة الجديد الظاهر (٤١١ ـ ٤٢٧هـ = ١٠٢١ ـ ١٠٣٦م). ولا بد أنه أكمل بحوثه وكتبه في تلك الفترة حتى وفاته

---

(١) أصيبعة / نجار: ٣٧٢/٣ ـ ٣٩٩، السامرائي: ٢٥/٢ ـ ٢٨، حمارنة ورجب: ١٥٦، ٢١٤، كحالة: ٢١٥/٣ ـ ٢١٦، الزركلي: ٣١٤/٦، القفطي: ١٦٥ ـ ١٦٨، حاجي خليفة: ١٣٨٩، البغدادي: هدية العارفين: ٦٦/٢ ـ ٦٧، هيرشبرغ: ١٦٧/٢ ـ ١٧٣، سارتون: ٦٩٨/١، الدوميلي: ٢٠٦ ـ ٢١٠، لوكليرك: ٥١٢/١ ـ ٥٢٥.

٤٣٠هـ = ١٠٣٨م. وكان عالماً بالهندسة والطبيعيات والفيزياء والفلك حتى لقبه معاصروه ببطليموس الثاني.

وقال عنه سارتون إنه «أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ومن علماء البصريات القلائل في العالم كله»[١].

ومدحه الدوميللي وقال «إن أعمال ابن هيثم كانت الخطوة الأولى لأعمال Roger Bacon وغيره من علماء الفيزياء[٢].

ونظراً لما لعلم البصريات من علاقةٍ وثيقة بالعين فقد درس ابن الهيثم تشريح العين وطبقاتها وآلية الابصار.

وعدد ابن أبي أصيبعة مئة وعشرين كتاباً ومقالة ورسالة في مختلف مجالات العلوم الفيزيائية والرياضية والفلكية. ونقل عنه فهرساً آخر عام ٤٢٩هـ ذكر فيه سبعةً وسبعين كتاباً ورسالة أهمها كتاب (المناظر)[٣] والذي يعتبر معجزة فيزيائية في ذلك الزمن حيث لم يكن علم البصريات مما يؤبه له. وقد قيض الله لهذا الكتاب العظيم المرحوم الاستاذ الدكتور عبد الحميد صبره، رئيس قسم تاريخ العلوم في جامعة هارفارد، فحقق الكتاب وراجعه على الترجمة اللاتينية التي قام بها (فيتلو Vitelo)[٤] ونشره المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب في الكويت عام ١٩٨٣. ومما يخلد ابن الهيثم في مجال البصريات هو:

---

(١) سارتون: ٦٩٨/١.

(٢) الدوميللي: ١٩٨، Roger Bacon (١٢١٤ ـ ١٢٩٤). من أعظم علماء انكلترا في الفيزياء والكيمياء والنجوم والحساب ويُنسب إليه نظريات في البصريات وغيرها

(٣) المناظر، تأليف الحسن بن الهيثم، تحقيق أ.د. عبد الحميد صبره نشر المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب في الكويت عام ١٩٨٣.

(٤) Thuringopolonus vitelo, opticae Al – Hazeni.

ـ رفضه المطلق لآلية الابصار التي كانت سائدة منذ عهد أبقراط وجالينوس والرازي والتي كانت تقول أن شعاعاً يصدر من العين باتجاه الجسم المرئي فيلامسه ثم يرتد إلى العين حيث الرؤية، وقال إن الرؤية تحصل من الصورة المنبعثة من المرئيات ولا وجود لشعاعٍ يخرج من العين.

ـ أول من ناقش كيف تميز العين المرئيات وما هي الشروط التي يجب توفرها لوضوح الرؤية.

ـ أول من شرح آلية خداع البصر Optical illusion.

ـ شرح آلية الرؤية المزدوجة وأزال معظم الغموض الذي اكتنفها منذ عهد بطليموس.

ـ شرح آلية انكسار الضوء.

ـ أول من وصف المرايا وصنفها إلى مسطحة وكروية وموشورية ومحدبة ومقعرة.

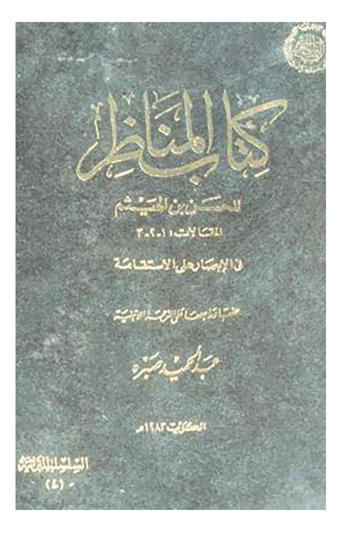
ـ أول من حسب بدقة محرق Focal Point المرايا المقعرة والتشوش المحوري لتلك المرايا Longitudinal distortion.

ـ أول من وصف آلية الكاميرا (الغرفة المظلمة) Camera Obscura.

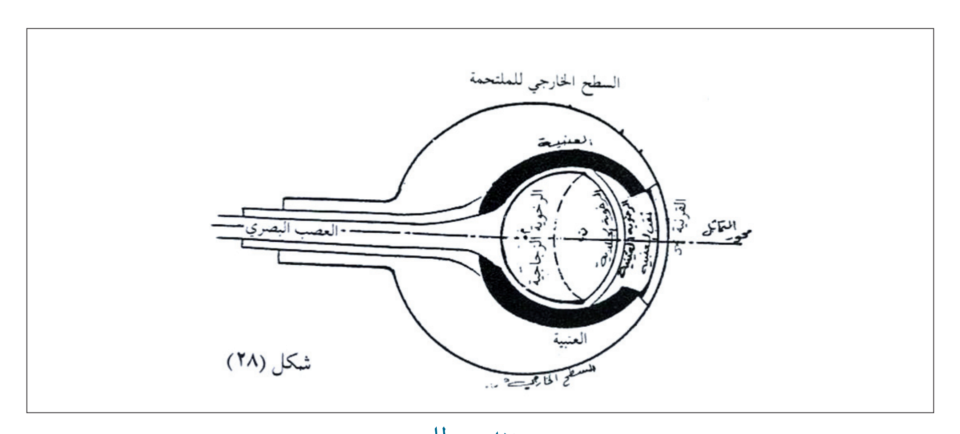
ـ أول من وضع رسماً هندسياً للعين.

ويجدر بنا أن نذكر أن أعمال يوهانس كبلر Johannes Kepler في البصريات والتي نشرها عام ١٦٠٤ قد استند في معظمها على أعمال ابن الهيثم والترجمات اللاتينية التي كانت متوفرة لكتاب المناظر.

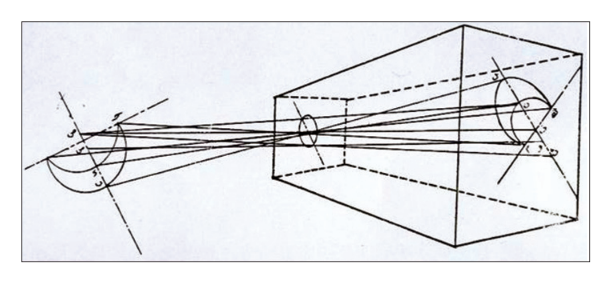




غلاف كتاب المناظر، تحقيق أ. د. عبد الحميد صبره.



رسم هندسي للعين.



مبدأ الغرفة المظلمة (القمرة = Camera).

الفصل الثالث

الأطباء الذين عرفوا بممارستهم لطب العيون ولم يعرف لهم تآليف في هذا التخصص

وسأورد فيه أسماء من عُرفوا واشتُهروا بأنهم كحّالون، غير أني لم أقع لهم على أثر مكتوب في هذا الفن، بالرغم من تتبعي معظم كتب الترجمة المعترف بدقتها وشموليتها...

١ ـ ديوسقوريدس العينزربي Dioskurides:

انفرد ابن أبي أصيبعة بذكر عالمين اثنين باسم ديوسقوريدس، الأول يعرف بالعشّاب أو كما فسّر اسمه باليونانية بـ(ديسقوري) بمعنى (شجّار) و(دوس بمعنى الله). وبذلك يكون من معنى اسمه (ملهمة الله للشجر والحشائش)(١). وقد ألّف كتاباً سمّاه (الحشائش) مؤلفاً من خمس مقالات يذكر فيها كل ما تعلمه من تجواله ودراسته للدورة الحياتية للنباتات سواء كانت أم لم تكن عطرة وذات رائحة، والحبوب، وأصول النبات وبذوره وصموغه، وبعض الحشائش الباردة أو الحارة كالمسهلة والمقيئة، وذكر في المقالة الخامسة (الكروم) وأنواع الأشربة كما ذكر بعض الأدوية المعدنية...

(١) أصيبعة / نجار: ٢٢٦/١، السامرائي: ١٣٣/١ ـ ١٣٧، ابن النديم ٥٤٧: القفطي: ١٨٣.



وذكر جالينوس في تقريظ هذا الكتاب أنه «تصفحت أربعة عشر مصحفاً في الأدوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدس الذي هو من أهل عين زربة»[(١)].

أما الثاني فهو ديوسقوريدس الكحال، ويقال إنه أول من انفرد واشتهر بصناعة الكحل[(٢)] ولم يذكر له أي كتاب في هذا الفن.

وذكره السامرائي[(٣)] بإسهاب وذكر أن إصطفن بن باسيل قد ترجم كتاب (الحشائش) إلى اللغة العربية أيام الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧ ق.م = ٨٤٧ ـ ٨٦١م)، وذكر أن هذه الترجمة قد عرضت على حنين بن إسحق فأصلحها وأجازها للنشر. وبقيت هذه الترجمة التي وصلت إلى بلاد الأندلس مرجعاً لا يجاريه مرجع آخر في فن الأعشاب والنباتات الطبية حتى عهد الخليفة عبد الرحمٰن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ = ٩١٢ ـ ٩٦١م).

ثم وصلت إلى قرطبة نسخة يونانية أصلية هدية من (أرمانوس) إمبراطور بيزنطية إلى الخليفة الناصر فنقلها إلى اللغة العربية (نقولا الراهب) مبعوث الإمبراطور وشاركه كلٌّ من (حسداي بن شبروط)[(٤)] طبيب الخليفة و(أبو عبد الله الصقلي)[(٥)] وغيرهما. وذكر السامرائي أن مخطوطات ترجمة كتاب الحشائش

(١) عين زربة أو عين زربى: بلدة يونانية ثم رومانية ثم إسلامية في جنوب آسيا الصغرى قريباً من (المصيصة) ازدهرت في أيام سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٧هـ = ٩٦٧م)، ياقوت الحموي ٢٠١/٤.

(٢) أصيبعة / نجار: ٣٧٢/١.

(٣) السامرائي: ١٣٣/١ ـ ١٣٧.

(٤) هو طبيب وديبلوماسي يهودي أندلسي (٣٠٢ ـ ٣٦٤هـ = ٩١٥ ـ ٩٧٥م) خدم في بلاط الخليفة عبد الرحمٰن الناصر، يجيد اللغتين العربية واليونانية. أسس المدرسة التلمودية في قرطبة، وكان سفيراً للخليفة إلى بلاط الأمراء الأوروبيين.

(٥) عالم أندلسي كان يجيد اللغتين العربية واليونانية، وعمل مع نقولا الراهب في مراجعة =

موجودة في: آياصوفيا بتركيا، وخدابخش بالهند، والمكتبة الوطنية بمدريد، ودار الكتب المصرية بالقاهرة (سبعة مجلدات). ويُذكر أن الباحث المرحوم صلاح الدين المنجد قد اكتشف عام ١٩٦٠ ترجمة ثالثة لهذا الكتاب القيم في مكتبة الامام علي بن موسى الرضا بمشهد (إيران) لم يذكرها قبله أي من الباحثين، وكان قد قام بترجمتها (مهران بن منصور بن مهران) إذ نقلها عن نسخة بالسريانية لحنين بن إسحق إلى صاحب ميافارقين وماردين وآمد الأمير نجم الدين ألبي محمد تمرتاش الأرتقي المتوفى سنة ٥٧٥هـ = ١١٧٩م.

واعتمد الأطباء والعشابون في مشرق العالم الإسلامي وغربه على ترجمة هذا الكتاب (كتاب الحشائش لديسقوريدس) وصار مرجعهم الأول والوحيد في هذا الفن، فأخذ عنه ابن جلجل الأندلسي (ت ٣٧١هـ = ٩٩٤م)[1] في كتاب (تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس) وابن رضوان المصري (ت ٤٦١هـ = ١٠٦٨م)[2]، وابن وافد الأندلسي (ت ٤٧٦هـ = ١٠٧٤م)[3]، كما أخذ عنه ابن سينا (ت ٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) في كتابه القانون، والشريف الإدريسي (ت ٥٦٠هـ = ١١٦٤م) في كتابه (الجامع لصفات أشتات النبات)، وعبد اللطيف البغدادي (ت ٦٣٩هـ = ١٢٣١م) في كتابه (انتزاعات من كتاب ديوسقوريدس في

= الترجمة العربية لكتاب ديوسقوريدس في الأدوية المفردة وتعريب مصطلحاته (ت بعد ٣٤٠هـ = ٩٥١م).

(١) هو أبو داود سليمان بن حسان، طبيب أندلسي (٣٣٢ ـ ٣٨٤هـ = ٩٤٣ ـ ٩٩٤م) وعشاب مشهور، اهتم بكتاب (الحشائش) لديسقوريدس فعمل على شرحه وتفسيره والتعليق عليه، غير أن أشهر كتبه هو (طبقات الأطباء والحكماء) الذي أتمه عام٣٧٧هـ... انظر: أصيبعة / نجار: ٢٣٣/٣.

(٢) هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر (٣٧٦ ـ ٤٥٣هـ = ٩٨٨ ـ ١٠٦١م)، ولد في الجيزة بمصر ودرس الطب ونال حظوة عند حكامها، أول من اهتم بالطب السريري (الاكلينيكي)، ألف حوالي مئة كتاب ورسالة من أشهرها (دفع مضار الأبدان بأرض مصر). أصيبعة / نجار: ٤٠٢/٣.

(٣) انظر: ابن وافد اللخمي.



صفات الحشائش). كما أخذ عنه سيد علماء النبات العرب أبو العباس بن الرومية الأندلسي (ت ٦٣٧هـ = ١٢٣٩م)[١] في كتاب (تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب (ديوسقوريدس). كما أخذ عنه ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ = ١٢٤٨م)[٢] في كتابه الموسوعي (الجامع في الأدوية المفردة). وداوود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ = ١٥١١م)[٣] في كتابه (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب).

أما العلامة فؤاد سزكين[٤] فقد عدَّد مخطوطات هذا الكتاب وذكر أسماء المكتبات الموجودة فيها وأرقامها لا بل وأرقام الصفحات اختصرها كما يلي:

١ ـ مكتبة أياصوفيا (إسطنبول) رقم ٣٧٠٢ (ص١ ـ ١٧٠) القرن السابع الهجري

رقم ٣٧٠٤ (ص١ ـ ١٨٠) القرن الخامس الهجري

٢ ـ سراي أحمد الثالث (إسطنبول) رقم ٢١٢٨ (ص ٢٧٤ وما بعدها) القرن السابع ٦٢٦هـ

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل (٥٦١ ـ ٦٣٠هـ = ١١٦٦ ـ ١٢٣٩م) أندلسي، إشبيلي، عالم اشتهر بعلوم الحديث والفقه، وعرف كنباتي، عشاب وعقاقيري صيدلي وكان مرجعاً في هذا المجال، تتلمذ عليه ابن البيطار النباتي الأشهر. له من الكتب (تفسير الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس) وكتاب (أدوية جالينوس). إضافة إلى عدة كتب في علم الحديث.

(٢) هو الحكيم الأجل ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي المعروف بـ(ابن البيطار) (ت ٦٤٦هـ = ١٢٤٨م)، طبيب وحشائشي كان أوحد زمانه وعلامة وقته في علم النبات. من أشهر كتبه: (كتاب الجامع للأدوية المفردة)... انظر: أصيبعة / نجار: ٥٠٠/٣.

(٣) هو داوود بن عمر الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ = ١٦٠٠م) عالم بالطب والأدب، ولد ضريراً ولكنه مفرط الذكاء فانتهت إليه رئاسة الأطباء، ولد في أنطاكية وحفظ القرآن يافعاً ودرس المنطق والرياضيات وأجاد اللغة اليونانية فأحكمها، ثم هاجر إلى القاهرة ثم إلى مكة المكرمة حيث توفي. من أشهر كتبه (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب) إضافة إلى بعض الكتب في المنطق والكلام.

(٤) سزكين: ٨٧/٣ ـ ٩٠.

٣ ـ باريس رقم ٢٨٤٩ (ص ١٤٣ وما بعدها) ٦١٦هـ

رقم ٢٨٥٠ (ص ١٣٥ وما بعدها) القرن السادس للهجرة

رقم ٢٩٤٧ (ص ١٢٤ وما بعدها) القرن الخامس للهجرة

٤ ـ مكتبة الإسكوريال رقم ١/٨٤٥ (ص ١ ـ ١٢٨) القرن السادس للهجرة

٥ ـ المكتبة الوطنية (مدريد) رقم ٥٠٠٥ (٥١٢هـ)

٦ ـ أكسفورد (مكتبة بودليان) رقم ٥٣٧ ص ١٣٨ وما بعدها (٦٣٧هـ)

٧ ـ المتحف البريطاني رقم R٣٣٦٦٥ (م ٣، م ٤ ١٨١ وما بعدها) ٧٣٥هـ

٨ ـ مكتبة جامعة بولونيا رقم ٢٩٥٤ (٦٤٢هـ)

٩ ـ بنكيبور (الهند) م ٤ ـ ١٤٠، رقم٩١ ص ٢٢٢ وما بعدها (القرن الخامس للهجرة)

٢ ـ جبريل كحال المأمون:

طبيب متخصص في الكحل، ذكر عنه الخليفة المأمون أنه «ما رأى أبداً على عين أخف من يده» وكان يكحله مرتين في اليوم، إلا أنه فقد حظوته عند الخليفة عندما ذكر لأحد خدم الخليفة (أنه نائم) فاعتبرها المأمون فضحاً لسر من أسرار القصر واسترد منه المكاحل والمراود، غير أنه أجرى عليه مئة وخمسين درهماً كل شهر لكي لا يحتاج إلى مد يد العوز. ولم يذكر ابن أبي أصيبعة[١] أنه ألف كتاباً في الكحل، غير أن نشأت حمارنة ذكر أنه (له كتاب في العين اقتبس عنه عبد المسيح الكحال الحلبي)[٢] كما ذكر أن الأب سباط شاهد الكتاب في حلب[٣]. دون أن يذكر اسم المالك للكتاب..

(١) أصيبعة / نجار: ١٦٠/٢ ـ ١٦٢.

(٢) حمارنه ـ رجب: ١٢٣ و ١٩٥.

(٣) ن. حمارنه: ١٤/٢.



ولم يذكر أي من المؤرخين تاريخ ولادته ولا وفاتـه، غير أننا يمكن أن نجزم أنه عاش في فترة حكـم المأمـون (١٩٩ ـ ٢١٨هـ = ٨١٤ ـ ٨٣٣م) فلا بد أنه كان حيا في تلك الفترة.

٣ ـ الشيخ شمس الدين المطوع الكحال:

ذكره ابن أبي أصيبعة بشكل عرضي في ثلاثة مواضع:

أ ـ عند كلامـه على أبو الحكـم عبدالله بن المظفر بن عبـدالله الباهلي الأندلسي[١] ونسب إليه رواية شعر من شعر أبي الحكم.

ب ـ في سـياق كلامه عن أبي المجد بن أبي الحكـم إذ قال (وحدثني شمس الدين أبو الفضل بن أبي الفرج الكحال المعروف بالمطوع (رحمه الله) أنه شاهد أبا المجد بالبيمارستان يدور على المرضى ويتفقد أحوالهم[٢].

ج ـ في سياق كلامه عن أبي الفضل بن عبد الكريم المهندس حيث قال (وحدثني شمس الدين المطوع الكحال عنه) وكان صديقاً له...[٣]

ولم يذكر ابن أبي أصيبعة تاريخ ولادته أو وفاته... غير أنه ذكر أنه عاش في زمن أبي الحكم عبدالله بن المظفر الذي توفي في دمشق في ٦ ذي القعدة ٥٤٩هـ وبذلك يمكننا أن نستنتج أنه عاش في أواسط القرن السادس الهجري.

٤ ـ هبة الله بن الفضل:

ذكر عنه السـامرائي[٤] أن كنيته أبو القاسـم، بغدادي المولد والنشأة مارس الطب والكحالة... إلا أن شهرته كأديب وشاعر طغت على شهرته كطبيب وكحال.

---

(١) أصيبعة / نجار: ٤٨/٤.

(٢) أصيبعة / نجار: ٧٢/٤.

(٣) أصيبعة / نجار: ١٧٩/١.

(٤) السامرائي: ٥٤١/٢.

توفي بعد سنة ٥٧٤هـ = ١١٧٨م وله من المؤلفات[(١)]:

١ ـ تعاليق طبية

٢ ـ مسائل وأجوبتها في الطب

٥ ـ الشريف الكحال:

هو السيد برهان الدين أبو الفضل سليمان، ولد وترعرع في مصر ثم ارتحل إلى الشام. كان عالماً بصناعة الكحل وخدم السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وبقي في خدمته إلى أن توفاه الله[(٢)].

وذكره السامرائي في سياق حديثه عن الطب والأطباء في ديار الشام والجزيرة، إلا أنه زاد على ما ذكره ابن أبي أصيبعة أنه توفي في دمشق (٥٩٠هـ = ١١٩٣م)[(٣)].

٦ ـ أبو جعفر بن هارون الترجالي[(٤)]:

حكيم وفيلسوف وطبيب متميز وله إلمام في صناعة الكحل، عاش ومات في إشبيلية، وكان من رواة الحديث وتتلمذ عليه (أبو الوليد بن رشد)، ولم يذكر أي مؤرخ تاريخ ولادته أو وفاته، غير أننا يمكن أن نستنبط ذلك من كونه أستاذاً لأبي الوليد بن رشد الذي عاصر المنصور وحارب ألفونش (ألفونس الإسباني) عام (٥٩١هـ = ١١٩٤م).. فيمكننا أن نخمن أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري[(٥)].

---

(١) أصيبعة / نجار: ٤٥٣/٣.

(٢) أصيبعة / نجار: ١٥٥/٢ ـ ١٥٦.

(٣) السامرائي: ٩٠/٢.

(٤) مدينة ترجيلة: من بلاد الأندلس، من أعمال ماردة، بينها وبين قرطبة ستة أيام غرباً. استولى عليها الروم سنة ٦٣٠هـ. ياقوت الحموي٢٦/٢.

(٥) أصيبعة / نجار: ٣١٧/٣ ـ ٣١٨، السامرائي: ١٨١/٢.



٧ ـ أبو البركات القضاعي[١]:

ويلقب بالموفق، طبيب ماهر وكحال وجراح يعد من الأفاضل فيهما، خدم بطبه الملك العزيز بن الناصر صلاح الدين في مصر... وتوفي بالقاهرة ٥٩٨هـ = ١٢٠١م.

٨ ـ شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحال[٢]:

ذكره ابن أبي أصيبعة في ما ذكره عن عمه رشيد الدين علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة الخزرجي.

ولم يذكر عنه شيئاً ذا أهمية إلا أنه كان صديقاً لجده وكذلك كان جمال الدين بن أبي الحوافر الطبيب.

٩ ـ نفيس الدين بن زبير (رئيس الكحالين)[٣]:

ذكره ابن أبي أصيبعة في سياق ذكره عمه رشيد الدين أبو الحسن علي بن خليفة. فقال إن عمه قرأ الطب على جماعة من أعيان الاطباء، ومنهم القاضي نفيس الدين بن الزبير وكان (المتولي للكحل) أي رئيس الاطباء الكحالين.

أما السامرائي فقد ذكره من بين الأطباء الذين مارسوا الكحل في بلاد مصر والشام. وقال عنه إنه (نفيس الدين أبو القاسم بن صدقة بن الكهلوي) من أب أصله هندي وأم عربية، تتلمذ على (الشيخ السديد) وعلى (الموفق بن شوعة)، واشتهر بالكحل وصار رئيساً للكحالين في عهد الملك الكامل الأيوبي ولقبه بالقاضي لأنه اشتغل بالقضاء. توفي بالقاهرة حوالي ٦٣٦هـ = ١٢٣٨م.

(١) أصيبعة / نجار: ٤٥٦/٣، السامرائي: ١٣/٢.

(٢) أصيبعة / نجار: ٣٣٨/٤.

(٣) أصيبعة / نجار: ٣٤٠/٤، السامرائي: ١٣/٢.



١٠ ـ الدخوار[(١)]: (ت ٦٢٨هـ = ١٢٣٠م):

هو الشـــيخ الإمام الصدر الكبير العالم الفاضل مهــذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي حامد ويعرف بالدخــوار، كان أوحد عصره وفريد دهره وعلّامة زمانه، وإليه انتهت رئاسة الطب وصناعتها ومعرفتها على ما ينبغي.

وكان أبوه (علي بن حامد) كحالاً، وأخوه (حامد بن علي) أيضاً كحالاً، ومــارس الدخــوار الكحالة في مبــدأ أمره ثم التفــت إلى النقــل والتأليف والتدريس. وخدم الســلطان الملك العادل أبا بكر بن أيــوب (ت ٦١٥هـ = ١٢٣٨م) كطبيب وكحال، وخــدم كرئيس للأطباء في البيمارســتان الكبير أو ما يسمى بالبيمارستان النوري نسبة إلى بانيه ومؤسسه الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي فكان من تلاميذه ابن أبي أصيبعة، وابن النفيس.

أصيب في نهاية عمره بنزيف دماغي منعه من النطق، ولكنه استمر يدرِّس ويكتب لتلاميذه ما يريد قوله لهم، وتوفي في دمشــق عام ١٥ صفر ٦٢٨هـ = ١٢٣٠م ودفن بجبل قاسيون وذكر السامرائي تسعة مؤلفات له هي:

١ ـ اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي.

٢ ـ مقالة في الاستفراغ.

٣ ـ كتاب الجنينة في الطب.

٤ ـ تعاليق ومسائل في الطب.

٥ ـ شكوك طبية وردّ أجوبتها.

٦ ـ كتاب الردّ على شرح ابن أبي صادق لمسائل حنين

---

(١) أصيبعة / نجار: ٣١٨ ـ ٣٣٧، السامرائي: ١٠٩/٢ ـ ١١١، كحالة: ٢٠٩/٥، الزركلي: ١٥١/٤، الذهبي: ١٩٨/١٣، ابن تغري بردي ٢٧٧/١٦، ابن عماد الحنبلي: ١٢٧/٥ ـ ١٢١٨، حاجي خليفة: ١٤١.

٧ ـ مقال يرد فيها على رسالة ابن الحجاج يوسف الإسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة وكيفية تناولها

٨ ـ شرح كتاب تقديم المعرفة لأبقراط. (وذكر أن المخطوطة موجودة في حكيم أوغلو، نور عثمانية)

٩ ـ مقالة في الاستفراع وذكر أن المخطوطة موجودة في (المتحف العراقي).

وزاد كتابين على ما ذكره ابن أبي أصيبعة وهما رقم (٥) شكوك طبية ورقم (٨) شرح كتاب تقديم المعرفة لابقراط. إلا أنّ ابن أبي أصيبعة ذكر كتاباً أغفله السامرائي ألا وهو: اختصار كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الاصفهاني. ولم يذكر عنه شيئاً الأستاذ نشأت حمارنه.

١١ ـ رضيِّ الدين الرحبي[١]: ٥٣٤ ـ ٦٣١هـ = ١١٣٩ ـ ١٢٣٢م

هو الشيخ الإمام العالم رضيِّ الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي، من الأكابر في صناعة الطب، وله قدم راسخة بها، وقد اشتهر بين العوام والخواص، كان والده من بلدة الرحبة[٢]. سافر إلى بغداد والقاهرة طلباً للمزيد من العلم، ثم استقر في دمشق سنة ٥٥٥هـ وكانت تحت حكم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي. تتلمذ عليه خلق كثير مثل الشيخ (مهذب الدين عبد الرحيم بن علي) قبل أن يلازم ابن المطران. توفي في دمشق يوم عيد الأضحى سنة ٦٣١هـ ودفن في جبل قاسيون..

(١) أصيبعة / نجار: ١٨٨/١ ـ ١٩٥.

(٢) الرحبة: هي مدينة الميادين حالياً على مجرى نهر الفرات بين دير الزور والبوكمال. حكمها بنو حمدان وبنو بويه وبنو عقيل ثم الفاطميون ومن بعدهم الأيوبيون ثم أخيراً المماليك.



١٢ ـ سديد الدين بن رقيقة[١]: (٥٦٤ ـ ٦٣٥هـ = ١١٦٨ ـ ١٢٣٧م)

هو أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم بن شـــجاع الشيباني الحانوي ويعرف بابن رقيقة. عالــم فاضل جمع من صناعة الطب ما قد تفرق من أقوال المتقدمين، كما كان يجيد نظم الشعر البليغ والبديع وكثيراً ما نظم كتباً طبية على شكل أرجوزات.

وكان له معرفة بصناعة الكحل والجراحة، وقام بعديد من أعمال الحديد في مداواة أمراض العين. وقدح الماء النازل واستعمل المقدح المجوف.

ولم يذكر أنه ألف في طب العيون، إلا أن ابن أبي أصيبعة ذكر له ستة كتب في مجال الطب العام.

ولم يذكر أ.د. نشأت حمارنه عنه شيئاً سوى اسمه، وبشكل عرضي.

١٣ ـ رشيد الدين بن الصوري[٢]: (ت ٦٣٩هـ = ١٢٤٢م)

كان طبيباً لامعاً تتلمذ على الشـــيخ موفق الدين عبد العزيز والشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي... وطغت معرفته بالأدوية والأعشاب على شهرته بالطب والكحالة.

خدم الملك العادل (أبا بكر بن أيوب) ثم ولده الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ثم ابنه الملك الناصر داوود بن الملك المعظم. وكان له شـــعر متزن ممتاز. وله من الكتب:

ـ كتاب الأدوية المفردة

---

(١) أصيبعة / نجار: ٢٧١/٤ ـ ٢٩٥، حمارنة ورجب: ٣٨٦.

(٢) أصيبعة / نجار: ٢٦٣/٤ ـ ٢٧٠، السامرائي: ١١٣/٢ ـ ١١٤، كحالة: ١٦١/٤، الزركلي: ٤٩/٣، سارتون: ٥٢٢/٢.



ـ الرد على كتاب التاج البلغاري في الأدوية المفردة

ـ تعاليق وفوائد ووصايا طبية.

أما نشــأت حمارنة فقد ذكر له كتاباً في أمراض العين لم يرَ منه إلا بضع وريقات قليلة[١].

١٤ ـ موفق الدين أبو الخير بن رشيد الدين أبي حليقة[٢]:

هو الابن الثاني لرشــيد الدين أبي حليقة (ت ٦٤٦هـ = ١٢٤٨م) وكان قد تتلمذ على والده رشــيد الدين واتقن صناعة الكحل، وخدم في بلاط الملك نجم الدين أيوب ووضع له كتاباً في الكحل، وذلك قبل أن يبلغ العشرين سنة من العمر، مما يدل على نبوغه وطول باعه في هذا الفن.



(١) حمارنه ورجب: ١٦٩ ـ ١٧٠ و ٢٢٢.

(٢) أصيبعة / نجار: ٤٩٥/٣، السامرائي: ٤٩/٢.

الباب السادس

صفات وأخلاق الطبيب المسلم



قامت الحضارة الإسلامية على ركيزتين أساسيتين اثنتين ثم أضيف إليهما عبر التاريخ بعض الركائز الثانوية المتممة لتينك الركيزتين.

أما الركيزة الأولى: مصادر التشريع الإســلامي المتفق عليها أربعة هي» القرآن والسنة والإجماع والقياس، والالتزام بأوامرها ونواهيها.

والركيزة الثانية: حسن الخلق والتعامل بالحسنى.

أما القرآن الكريم فقد أُوحي به إلى الرسول المعظم ﷺ وكان أول ما أُمر به الرسول هو القراءة بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١ـ ٥)، وفي ذلك إشارة بل أمرٌ واضحٌ بضرورة التعلم والبحث عن الحقائق أينما كانت وحيثما وجدت.

كما حدد القرآن الكريم ما هو محلل وما هو محرم على بني آدم سواء كان مأكلاً أو مشرباً أو علاقة أسرية، وحث على الاستمتاع بما هو حلال دون شططٍ أو إسفاف. فقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢) وقال تعالــى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧) واستمرت التوجيهات الإلهية توحى إلى الرسول الكريم ﷺ ثلاثة وعشرين سنة إلى أن أتم الله دينــه بقوله تعالــى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وبقي القرآن الكريم ولا يزال وســيبقى بإذن الله تعالــى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، النور الذي تهتدي به أمة الإسلام دون استثناء.

أما السنة النبوية: فهي ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قولٍ أو عمل أو إقرار، وقد تشبث بها السلف الصالح أيما تشبث وطبقوها بحذافيرها لأنهم وعوا وأدركوا قوله ﷺ «تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وعترتي أهل بيتي وفي رواية (وسنتي) ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (منزلة السنة ص ٧٣ المحدث الألباني). وامتثالاً لأوامر الله جلّ وعلّا إذ قال ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) وقوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر: ٧) فكان ﷺ نبراساً وقدوة ومثلاً أعلى، وكان الصحابة الكرام يتمثلون بالآية الكريمة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) ويلتزمون بكل ما يصدر عن الرسول ﷺ من قولٍ أو عمل.

وقد غرس الرسول ﷺ في نفوس المسلمين الخلق الحسن والرحمة والرأفة وصلة الرحم والتكافل الاجتماعي، ولعلّ أعظم ما مدحه به الباري جلّ وعلا قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) وقال الرسول ﷺ عن نفسه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) عن ابي هريرة (لطائف المعارف رقم ٣٠٥).

وأما الإجماع فهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار، على أمر من الأمور، والاتفاق يراد به المشاركة في الاعتقاد أو القول أو الفعل أو السكوت.

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

وأما السُّنَّة ففيها أحاديث كثيرة توجب على المسلمين اتباع ما اتفق عليه أهل الحل والعقد منهم، وتحرّم مخالفتهم والشذوذ عنهم، وذلك مثل قوله ﷺ: «لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» (مجموع الزوائد: ٧/٢٢٤)، وقوله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ» (حديث صحيح، صحيح

الجامع: ١٧٢٤)، فهذه الأحاديث وغيرها تـدل على وجوب اتباع ما اتفق عليه المسلمون، سواء كان فعلًا أو تركًا؛ وما ذلك إلا لكونه حُجة.

وأمثلته كثيرة كإجماعهم على تحريم شحم الخنزير قياسًا على لحمه، وكإجماعهم على توريث الجدات السدس، إلى غير ذلك من المسائل...

وأما القياس فهو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر منصوص شرعاً على حكمه؛ لاشتراكهما في علة الحكم،

ودليله: ما رواه البغوي عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، (أي لا أقصر في اجتهادي)، قال: فضرب رسول الله على صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله.

ومثاله: قياس الوصية على الميراث في حرمان القاتل منهما؛ لاستعجاله شيئاً قبل أوانه، فيعاقب بحرمانه.

أخلاقيات الطبيب

من المؤكد أن أبقراط كان أول من التزم بأخلاقيات سامية في ممارسة الطب، كما أنّ من المؤكد أنه وضع قسماً لا يزال يقسمه خريجو كليات الطب في معظم دول العالم (مع بعض التعديل حسب ظروف كل دولة أو عرق أو دين) ولا أرى ضيراً أن أنقل هنا ما كتبه ابن أبي أصيبعة وعزاه كقسم لأبقراط[1].

---

(١) أصيبعة / نجار: ١/٢٠٥ ـ ٢٠٧.



قسم أبقراط

«إني اقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج، وأقسم بأسقليبيوس، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً، وأشهدهم جميعاً على أن أفي بهذا اليمين وهذا الشرط، وأرى أن معلمي لهذه الصناعة بمنزلة آبائي، وأواسيه في معاشي، وأن احتاج إلى مالٍ واسيته وواصلته من مالي، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لإخوتي وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرةٍ ولا شرط. وأشرك أولادي وأولاد معلمي والتلاميذ الذين كتبت عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك. وأقصد في جمع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى.

وأما الأشياء التي تضرهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي، ولا أعطي إذا طُلب مني دواءً قتالاً، ولا أُشير أيضاً بمثل هذه المشورة، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة[1] تسقط الجنين. وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة. ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخلها لمنفعة المرضى، وأنا بحالٍ خارجةٍ عن كل جورٍ وظلمٍ وفسادٍ إراديٍّ مقصود إليه في ثائر الأشياء، في الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد. وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها أو في غير أوقات علاجهم، في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً فأمسك عنها وأرى أن أمثالها لا ينطق به.

---

(١) الفرزجة: دواءٌ تستخدمه النساء في الإجهاض وإسقاط الجنين فهو دواءٌ تتداوى به النساء. (المسائل في الطب) حنين بن إسحق العبادي: ص ٤٦٧.

من أكمل هذا اليمين ولم يفسد منه شيئاً كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً، ومن تجاوز ذلك كان بضده».

كما كان لأبقراط ناموس تفرد به وبوضعه ولا يزال يعمل به في معظم دول العالم.

ناموس أبقراط

«إن الطب أشـرف الصنائع كلها إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سـبباً لسـلب الناس إياها، لأنه لم يوجد لها في جميع المـدن عيب غير جهل من يدعيها ممن ليس بأهل للتسمي بها. إذ كان يشـبهون الأشباح التي تحضرها أصحاب الحكاية ليلهوا الناس بها، فكما أنها صور لا حقيقة لها، كذلك هؤلاء الأطباء بالاسم كثير وبالفعل قليل.

وينبغي لمن أراد تعلـم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعـة جيدة مواتية، وحرصٍ شـديد، ورغبةٍ تامة. وأفضل ذلك الطبيعة، لأنهـا إذا كانت مواتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثماراً حسـنةً مثلما يرى في نبات الأرض. أما الطبيعة فمثل التربة، وأما منفعة التعليم فمثل الزرع، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البذر في الأرض الجيدة، فمتى قدمت العناية في صناعة الطب بمـا ذكرنا ثم صاروا إلى المدن لـم يكونوا أطباء بالاسم بل بالفعل.

والعلم بالطب كنزٌ جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه مملوءٌ سـروراً سراً وجهراً، والجهل به إن انتحله صناعة سـوء وذخيرة ردية عديم السرور، دائم الجزع والتهور فالجزع دليل على الضعـف، والتهور دليلٌ على قلة الخبرة بالصناعة».

أما الوصيات التي أوصى بها الأطباء المسلمون والعرب تلاميذهم وطالبي العلم، فلا يكاد يخلو كتاب إلا ونجد في مقدمته غالباً أو في آخره، وصيةً من المؤلف لبنيه أو تلامذته أو للأطباء من بعده، وقد بدأ أبقراط هذا التقليد النبيل إذ قال في وصيته:

وصية أبقراط

«ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً، وفي طبعه جيداً، حديث السن. معتدل القامة. متناسق الأعضاء، جيد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرأي عند المشورة، عفيفاً، شجاعاً، غير محب للفضة، مالكاً لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركاً له في الغاية، ولا يكون بليدا.

وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل، مشفقاً عليه، حافظاً للأسرار لأن كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراضٍ بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرنا، وينبغي أن يكون محتملاً للشتيمة لأن قوماً من المبرسمين[١] وأصحاب الوسواس السوداوي يقابلوننا بذلك، وينبغي لنا أن نحتملهم عليه ونعلم أنه ليس منهم وأن السبب هو المرض الخارج عن الطبيعة.

وينبغي أن يكون حلق رأسه معتدلاً سنوياً، لا يحلقه ولا يدعه كالجمة، ولا يستقصي قص أظافر يديه ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه.

وينبغي أن تكون ثيابه بيضاء نقية، لينة، ولا يكون في مشيه مستعجلاً لأن ذلك دليل الطيش، ولا متباطئاً لأنه يدل على فتور النفس، وإذا دُعي إلى المريض فليقعد متربعاً ويختبر منه حاله بسكونٍ وتأنٍّ لا بقلق واضطراب، فإن هذا الشكل والذي عندي أفضل من غيره».

(١) المبرسمين: المرضى المصابين بالبرسام وهو مرضٌ نفسيٌ يخلط فيه المريض خلطاً كثيراً ويسمى حالياً الهذيان. (المسائل في الطب) حنين بن إسحق العبادي، ملحق المصطلحات: ص ٤٥٥.

نستخلص من كل ما تقدم أن أبقراط قد وضع في كلٍّ من قسمه وناموسه ووصيته الأسس الإنسانية والأخلاقية لكل من ينوي أن يدرس هذا العلم والفن، كما وضع في قسمه القيود المحكمة للحفاظ على الإنسان وعدم التسبب في أي ضررٍ قد يلحق به عمداً أو جهلاً، وأكد في وصيته ما يجب أن يتصف به الطبيب في هيئة ثيابه وشعره وأظافره ومشيته وطريقة جلوسه أمام المريض والاستماع لشكواه والتعاطف معه ومع أفراد أسرته.

وصايا بعض الأطباء العرب والمسلمين:

وحمل الأطباء العرب والمسلمون هذه المبادئ وحافظوا عليها، لا بل أضافوا إليها ما فرضه عليهم دينهم الحنيف من سموٍّ في تكريم الإنسان امتثالا لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠) فكان تكريم الانسان من قبل رب العالمين وتفضيله على باقي المخلوقات مؤشراً على ما له من مكانة سامية ومقدّسة عند الله ﷻ وعلى وجوب أن تبقى هذه المكانة عند بني البشر.

وكان كتاب (أدب الطبيب) لإسحق بن علي الرهاوي[(١)] في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أول كتابٍ أُلف في مجمله لتعليم آداب المهنة وإبراز شرفها وعظيم فائدتها في حالتي الصحة والمرض، وللتأكيد لما يجب أن يكون عليه المتطبب من إيمانٍ عميقٍ بالله ومعرفة شاملة بالعلوم الطبية والأدوية المفردة والمركبة، وأن يبتعد عن الدنايا والخداع

---

(١) أدب الطبيب: إسحق بن علي الرهاوي (القرن الثالث هجري = التاسع الميلادي) تحقيق أ.د. كمال السامرائي وداود سليمان علي نشر دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ـ العراق ١٩٩٢، وتحقيق آخر قام به: مريزن سعيد مريزن العسيري، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

وابتزاز أموال البسطاء والمحتاجين، وأن يختار مساعديه من ممرضين وعشابين (صيادلة) ممن يتوسم فيهم حسن الخلق والكياسة في التعامل مع المريض وذويه وزائريه.

وحرص في الباب الثاني من الكتاب على أن يؤكد على التزام الطبيب (كما كان يلتزم هو ذاته) بجدولٍ يومي من حرص على نظافة الثياب والجسد، والأهم نظافة النفس وسموّها وترفعها عن الصغائر، والالتزام بمواعيد زيارة المرضى وضبط سجلاتهم للرجوع إليها عند الحاجة، والإشراف على طعام المرضى وشرابهم وغرف نومهم ونظام التهوئة فيها وتعرضها للشمس بشكلٍ دائم.

وهكذا نرى أن كتاب (أدب الطبيب) للرهاوي كان مكملاً لتعاليم أبقراط ووصاياه ومن جاء بعده، بل توسع في موضوع أخلاقيات الطبيب وترفعه عن الماديات والابتزاز وجعل خدمة المريض جزءاً من الأعمال الصالحة ومن باب الصدقة، بل لقد بلغ من حرصهم على هذه الأخلاق أن أحد الأطباء (عبد الودود بن عبد الملك القرن الثامن الهجري) ألف رسالة (في ذم المتكسب بصناعة الطب)[١] واعتبر أن مهنة الطب مهنة إنسانية عار على من يمارسها أن يتقاضى أي أجرٍ لقاء ما يقدمه من خدمة.

أعقب ذلك في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ما كتبه علي بن عباس الأحوازي في مقدمة كتابه (كامل الصناعة الطبية)[٢] قائلًا:

«واستشهد في كثير من المواضع بأقوال أبقراط وجالينوس والمتقدمين في هذه الصناعة لا سيما القوانين والدساتير والأصول التي يستعملها أصحاب القياس».

---

(١) حمارنة + رجب ٨٠ و١٠٨.

(٢) الكحالة (طب العيون) في كتاب الصناعة الطبية المعروف بكتاب الملكي، تحقيق أ.د. ظافر الوفائي وأ.د. محمد رواس قلعه جي ص ١٣.

ومما يلفت النظر في وصايا الأحوازي التزامــه بأخلاقية الطبيب والمثل العليا التي يحث عليها فيقول: «قال أنو شروان إذا أراد الله بأمةٍ خيراً جعل العلم في ملوكها والملك في علمائها، ولمــا كان العلم بصناعة الطب أفضل العلوم وأعظمها قدراً وأجلها خطراً وأكثرها منفعةً لحاجة الجميع إليها، فينبغي لمن أراد أن يكون طبيباً فاضلاً عالماً أن يقتدي بوصايا أ بقراط الحكيم التي أوصى المتطببين بها في عهده وأن يجتهد في مداواة المرضى وحسن تدبيرهم».

وأضاف «فينبغي على الطبيب أن يكون طاهراً، ذكياً، ديناً، مراقباً لله ﷻ، رقيق اللســان، محمود الطريقة، متباعداً عن كل نجسٍ ودنــسٍ وفجور، وأن لا يفشي للمريض ســراً، ولا يُطلع عليه قريباً، فإن كثيراً من المرضى يعرض لهم أمراضاً يكتمونها عن آبائهم وأهاليهم ويفشونها للطبيب».

ثم يأتي بعده بحوالي مئة عام أبو الحســن علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري[1] المولد والنشأة والإقامة، الذي بدأ حياته بدراسة التنجيم ثم تحول إلى دراسة الطب بجهدٍ شخصي ومن دون أي معلم فبرع فيه حتى غدا الطبيب الخــاص للخليفة الحاكم بأمــر الله الفاطمي الــذي حكم مصر بين (٣٨٦هـ ـ ٤١٧هـ = ٩٩٦م ـ ١٠٢١م) وقد ألف ستة وستين كتاباً ومقالة ورسالة في مواضيع مختلفة في الطب ومنها (مقالة في شــرف الطبيب) فيها ذكر عن نفسه أنه:

«وأجتهد فــي حال تصرف في التواضــع، والمــداراة، وإغاثة الملهوف، وكشف كربة المكروب، واسعاف المحتاج، وألزم الصمت، وأكف اللسان عن معايب الناس، وأجتهد ألا أتكلم إلا بما ينبغي، وأتوقى الأيمان ومثالب الآراء، وأحذر العجب، وحب الغلبة، وأطرح الهم والاغتمام، وأتفقد في وقت خلوتي

(١) السامرائي: ٢/٢٩ ـ ٦٦.

ما سلف من يومي من أفعالي وانفعالاتي، فمكان خيراً أو جميلاً أو نافعاً سررت به، وما كان شراً أو قبيحاً أو ضاراً اغتممت به ووافقت نفسي ألا أعود إلى مثله».

وكان يرى في سلوك الممارس لصناعة الطب أن يكون كما قال أبقراط على فضائل سبعة:

١ ـ أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الرأي، عاقلاً، ذكوراً، خير الطبع.

٢ ـ أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف البدن والثوب.

٣ ـ أن يكون كتوماً لأسرار المرضى، لا يبوح بشيءٍ من أمراضهم.

٤ ـ أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.

٥ ـ أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس.

٦ ـ أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر بباله شيءٌ من أمور النساء، والأموال التي شاهدها في منازل الأعلام، فضلاً أن يتعرض إلى شيءٍ منها.

٧ ـ أن يكون مأموناً، ثقةً على الأرواح والأموال، لا يصف دواءاً قتالاً ولا يعلمه، ولا دواءاً يسقط الأجنة، يعالج عدّوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه.

وقد ترددت هذه الخصال السبع في معظم كتب الطب في الحضارة الإسلامية إن لم يكن فيها كلها، مع بعض التعديل والتصرف غير المخل بالمضمون، وأحاط معظم المؤلفين هذه الوصايا بهالةٍ من القدسية مما يدل على إيمانهم العميق بإنسانية الصنعة ورفعتها ومنزلتها وجزيل نفعها للبشر.

أما محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي (ت ٥٩٥هـ = ١١٩٧م) فقد كتب في مقدمة كتابه (المرشــد في الكحل)[١] وصيةً لكل من أراد أن يكون طبيباً بأن «يقتدي بوصايا الفاضل أبقراط التي وصى بها في عهده المتطببين من بعده»، واسترسل في سرد وصايا أبقراط بشكلٍ حرفيٍ تقريباً، ولم يضف شيئاً عما قاله أبقراط وما ورد في كتاب ابن أبي أصيبعة إلا أنه أضــاف بابين إضافيين في (شرف الصناعة) وفي (ذكر الاسطقسات)[٢].

وبعد قرن مــن الزمن نقرأ في كتــابٍ آخر في طب العيون أســماه مؤلفه صلاح الدين الكحال الحمــوي (ت ٦٩٦هـ = ١٢٩٦م) (نــور العيون وجامع الفنون)[٣]: وصية المؤلف لابنه أو (لأخيه حسب المخطوطة) وتعتبر من أبلغ الوصايا التي جاء بها مؤلف في هذا الفن فيقول فيها:

«وينبغي لك أيها الولد أن تعتمد على وصيتي هذه لتفلح بها دنيا وأخرى، وأعلم أن هذه الصناعة منحةٌ من الله تعالى يعطيها لمستحقها لأنه يصير واسطة بين المريض وبين الحــق ﷻ في طلــب العافية له، حتى تجــري على يديه فتحصل له الحرمة الجزيلة من الناس، ويمثل عندهم، ويشار إليه في صناعته، ويطمئن إليه فيما يعتمده، وفي الآخرة الأجر والمجازاة من رب العالمين، لأن النفع المتعدي لخلق الله عظيــم، خصوصاً للفقــراء العاجزين، مع ما يحصل لنفسك من كمال الاخلاق، وهو خلق الكرم والرحمة، فيجب عليك حينئذٍ أن تلبس ثوب الطهارة والعفة والنقاء والرأفة ومراقبة الله تعالى وخاصةً في عبورك

(١) كتاب المرشد في الكحل، تأليف محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي، تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي وأ.د. محمد رواس قلعه جي، انظر المراجع.

(٢) الاسطقســات هي الأركان الأربعة التي تتركب منها أبدان الحيوان والنبات والأجسام التي تتولد في بطن الأرض، وهي أربعة النار، والهواء، والماء، والأرض: أصيبعة / نجار٣٤٨/١.

(٣) كتاب نور العيون وجامع الفنون، تأليف صلاح الدين الكحال الحموي، تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي وأ.د. محمد رواس قلعه جي، انظر المراجع.

على حريم الناس، كتوماً على أسرارهم خصوصاً الملوك، محباً للخير والدين، مكباً على الاشتغال في العلوم، تاركاً الشهوات البدنية غير الضرورية، معاشرا للعلماء، مواظبــا للمرضى، حريصاً على مداواتهم، متحيــلاً في جلب العافية اليهم، وإن أمكنك أن تؤثر الضعفاء مــن مالك فافعل، ولا يكن غرضك جمع المال إلا تحصيل الثواب، فيحصل لك كلاهما. واحذر أن تنبه على دواءٍ قتال أو كحلٍ يحجب البصر أو يضعفه والله تعالى يوفقك ويوفقنا جميعاً لما يرضيه».

ثم يمضي قــرنٌ آخر تقريبــاً، ويظهر عالــمٌ جليل في بلاد مصر اســمه (صدقة بن إبراهيم الشاذلي الحنفي) (ت ٧٥١هـ = ١٣٥٠م) كتب كتاباً موسعاً أسماه (العمدة الكحلية في الأمراض البصرية) وختم كتابه بوصيةٍ ثمينةٍ جداً لكل من يمارس أو ينوي ممارسة مهنة الطب، وقد ترجمها بمجملها إلى اللغة الألمانية إمام المؤرخين والمحققين يوليوس هيرشــبرغ، وها أنا ذا أنقلها من مخطوطة ميونيخ رقم ٨٣٤:

قال الشاذلي «واعلم أنه يجب على كل كحالٍ وطبيبٍ بل على كل معالج عاقلٍ ولبيب أن يكون جيد الدين، صحيح الاعتقاد بالأمور الشرعية، صالحاً للاعتماد في الأمور الدينية، عارفــاً بالعلوم الآلية، والأمــور الإلهية عن أمر الثواب والعقاب، منقــاداً للنواميس النبوية، صالح العفــاف، صادق اللهجة، رضي الأخلاق، كريم الحجة، رحيم القلب لجميع الحيوانات، محسناً للخلق وافر الرغبة، وراعياً في اكتساب الأجر والذكر والحسنات، وأن يغض العين عن محارم الناس والجواري والغلمان، ســاكن النفس مقتنعاً، مقتصداً، غير شره، قانعاً لما تقدم بين يديه من الإحسان، مرتاض النفس في المأكول والمشروب، حافظاً لأسرار المرضى، ولا يفشي أســرار الأعلّاء من العيوب، ويكون طيب الرائحة، حســن النظافة على قدر حاله، نظيف الثياب، بشّاش الوجه، لطيف الخطاب، ولا يُظهر الاشتغال بالشراب، ولا يحتقر المريض ولا يطالبه وهو في

شدة المرض وحال القلق والاضطراب، فإن دعته الضرورة إلى ذلك لقلة الحال وكثرة العيال فليجعله في أوقات صلاحه تعويضاً بأحسن اللفظ وأجمل المقال، ولا يكون متردداً، حسن التواضع، مجيباً للداعي أميراً كان أم فقيراً موسراً كان أو معسراً، فإن لم يتيسر الحضور ومشاهدة حاله فليجتهد في تطييب باله بذكر الجواب عن سؤاله، ولا يجالس العامة والجهال، ولا يناظر أصحاب الشرائع بالأقوال والأفعال، ولا يستهزئ بالجهال، ولا يضحك في غير موضع الضحك ويكف عنه في موضعه، ولا يقول فلان يعيـــش أو يموت جزماً ويقيناً لامتداد المرض وقتاً وحيناً، ويهتم في أمر كل مريض».

ويُظهر هذا الاســـتعراض الموجز لما كتبه العلماء المسلمون مدى التزامهم بصفات محددة للطبيب ســـواءً في المظهر الخارجي، ونظافة اليدين والثياب، وتطييب الرائحـــة، والكلمة الطيبة مـــع المريض، وعدم التكســـب من المهنة، والرأفة بالفقير والمحتاج، وبث الأمل في المريـــض وذويه ودفع اليأس عنهم مهما كانت أعراض المرض خطيرة ومنذرة بسوء العاقبة كما أكد العلماء على أن يخشى الطبيب الله في السر والعلن، وأن يبذل قصارى جهده في مجالسة العلماء والاســـتزادة من العلم والاستفادة من خبرتهم، وتحاشـــي مخالطة رفقاء السوء والترفع عن السفاسف وصغائر الأمور، ووضع مصلحة المريض فوق كل اعتبار.

كما يؤكد جميع من ترك وصية ضرورة الحفاظ على أســـرار المرضى وعدم إفشائها تحاشياً لما قد ينجم عن ذلك من مشاكل قد لا تحمد عقباها، فهناك العديد من المرضى الذين يبيحون للطبيب ما لا يذكرونه حتى لأقرب المقربين إليهم.

وشجع جميع العلماء المســـلمين على حقيقة أن الطبيب ليس إلا واسطة بين المريض وربه... فالطبيب يعالج ويبذل ما بوسعه من جهد وعلم ولكن في النهاية فإن الشافي هو الله... لذلك ينصح أن لا يشـــتط الطبيب بالتأكيد على شفاء مريضه أو وفاته لأن ذلك بيد الله وحده.

ولم يكتف المسـلمون (حكاماً ومحكومين) بالتقيـد بأخلاقيات وآداب الطب، بل تجاوزوا ذلـك إلى تبني نظام الحسـبة أي مراقبـة عمل الطبيب والجراح والكحال والصيدلي (العشـاب)، والتأكد من كفاءة الشخص الذي ينوي ممارسـة إحدى هذه الصناعات، ويمكن أن نطلق عليهـا اليوم (ديوان مراقبة الجودة والنوعيـة (Quality Control Department). وكان الخلفاء الأوائل يراقبون الأسواق بأنفسهم، ثم أسـندوا هذه المهمة إلى رجالٍ أونساءٍ ثقات، وعندما توسعت البلاد والأسـواق وتعددت المهن والحرف اليدوية توسعت معها الحسبة فصارت تشمل الجزارين والبزازين والعطارين والطباخين والأطباء والفصاديـن والجراحين وغيرهـم، ويتعهد رئيـس الأطبـاء (أكثرهم خبرةً وأحرصهم على شرف المهنة وحسن أداء الممارسين) بمراقبتهم، وكان يأخذ عليهم عهد أبقراط بـألا يعطوا دواءاً قتالاً، ولا يذكروا للنسـاء دواءاً مجهضا للأجنة ولا يصفوا للرجـال دواءاً يقطع النسـل، وأن يغضـوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم بيـوت المرضى. وبلغت الدقة فـي اختيار الأطباء أن فرض عليهم أن يتقدموا بامتحانٍ أمام رئيس الأطباء (كل في اختصاصه) فكان الجراح يُمتحن في الجراحات وآلاتها وأدواتها وتشريح جسم الإنسان ومعرفة الأعضاء من عظامٍ وعضلاتٍ وأوعية وأعصاب.

أمـا الكحالون فكانـوا يمتحنون من كتاب (العشـر مقـالات في العين لحنين بن إسـحق العبادي) ويتثبت من معرفة المتقدم لنيل الإجازة بطبقات العين ورطوبتها وأمراضها وعلاجاتها، كما يشـترط فيـه أن يملك الأدوات الجراحية اللازمة ويحسن استخدامها.

ويعود الفضل في فرض امتحان الأطباء إلـى الخليفة المقتدر الذي بلغه وفاة أحد المرضى جراء سـوءٍ أو خطأٍ في علاجه من قبل طبيبٍ أو من يدعي الطبابة. وهكذا نرى أن الخلفاء كانو حريصين على سلامة الرعية.

الباب السابع

المستشفيات في الاسلام



ذكرنا في مطلع الكتاب أن فكرة إنشـاء مـأوى للمرضى بدأت منذ فجر التاريـخ، وذكرنـا أن أسـقلوبيوس الأول كان أول من يعتبر طبيبـاً (حوالي ٥٥٠٠ ق.م) وذكرنا أن معابد الإسـقلبيون[١] يمكن اعتبارها أقدم مراكز لإيواء المرضى طلباً للاستشفاء، إلا أن التاريخ يوثق أن أول من أسس مأوى للمرضى تقدم فيه الرعاية الطبية والغذائية هـو أبقراط (ت ٣٧٢ ق.م)[٢] في حدائق داره دعاها (دار المرضى) أو (مأوى الغرباء)، وهدف من ذلك إلى تجميع المرضى في مكانٍ واحد ليسـهل عليـه الاعتناء بهـم ومعالجتهم ودراسـة حالاتهم ومقارنتها بعضها ببعض، واعتماد المعالجة النافعة وتعميمها على الآخرين عند اللزوم. ثم اكتسبت خدمة الفقراء والمرضى صبغة دينية فراح رجال الدين في دير (مونت كاسينو) نحو منتصف القرن الخامس الميلادي يقدمون الخدمات اللازمة للمرضى والمعوزين تقرباً إلـى الله، وهذا ما حدا ببعضهم إن لم يكن معظمهم إلى دراسة مبادئ الإسـعاف الأولي وتجبير الكسـور ورد الخلوع وبعض العمليات الجراحية البسيطة، وكانوا يقيمون الصلوات والأدعية لإدخال السـكينة على نفوس المرضـى وذويهم. وانتشـرت هـذه الملاجئ وغرف المعالجة في أنحاء بلاد الشام وآسيا الصغرى وبدأت تتشكل نويات لمدارس بدائية يتعلم فيها الرهبان مبادئ الطب والجراحة. وفي منتصف القرن الخامس الميلاي انفصل أتباع (الراهب نسطور) عن الكنيسة الرومانية وأصبحوا يسمون (بالنسـاطرة أو النسـطوريين) فحرض رجال الكنيسـة الذين صاروا يدعون (اليعاقبـة) أو (اليعقوبيين) الأمبراطور (زينون) فأغلق مستشـفى الرها وهدم

(١) غاريسون: ص ٦٦ ـ ٩٠.

(٢) أصيبعة / نجار: ٢٠٢/١ ـ ٢٣١.

مدرستها، فهرب النســاطرة (أطباء وعلماء) والتجأووا إلى بلاد فارس حيث لا تصل يد البيزنطيين إليهم، والتحق معظمهم بمن سبقوهم من السريان إلى جنديســابور المدينة العريقة التي بناها الملك الفارسي سابور وقد جمع فيها معظم علماء وأطباء الرها وخاصةً بعد أن انتصر علــى الإمبراطور البينزنطي (فاليريان) عام ٢٦٠م، واكتسبت جنديسابور شهرةً كبيرة في مجال الطب وعلم التنجيم والنجوم ودعي مأوى المرضى بالبيمارستان وهي كلمة فارسية مؤلفة من كلمتين (بيمــار) وتعني مرضى و(ســتان) وتعني دار وبقي هذا الاســم مستعملاً عبر التاريخ.

وقد ذكرنا أيضــاً أن الصحابية الجليلة رفيدة الأســلمية ﵂ كانت ترافق المحاربين المسلمين في غزواتهم لتضميد جراحهم والعناية بهم، وأمر رسول الله ﷺ ببناء خيمة مخصصة لها في مســجده حتى إن رسول الله ﷺ أمر بنقل الصحابي الجليل سعد بن معاذ إلى خيمتها لتضميد جروحه، وبذلك يمكننا أن نعتبر تلك الخيمة أول مستشفى في الإسلام، ورفيدة ﵂ أول ممرضة في الإســلام بل أســتاذة الممرضات الصحابيات اللواتي رافقنها واكتسبن خبرةً لا بأس بها من العمل إلى جانبها وتحت إشرافها.

أما المستشــفى بمعناه العلمي الحديث (البيمارســتان)[١] فقد أمر ببنائه الخليفــة الوليد بن عبد الملك عام ٨٨هـ = ٧٠٦م في دمشــق، وأســكن فيه المجذومين والمصابين بفقد البصــر وأجرى لهم الأرزاق وجعل لكل مريضٍ من يساعده في تحركاته وفي تلبية طلباته.

وأما العصر الذهبي للبيمارستانات فهو عصر الخلافة العباسية حيث توسعت رقعة البلاد الاسلامية، وازدادت الموارد المالية، وانقضت المرحلة الانتقالية من

(١) تاريخ البيمارستانات في الإسلام، المؤلف أحمد عيسى بك.

الدولة الأموية إلى العباسية بعد مجازر لا حصر لها، وانتقلت عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد، ويذكر في الأثر أن بغداد كان تضم عشرة بيمارستانات.

ولم يقتصر بناء البيمارستانات على الخلفاء بل تعدها إلى الأثرياء والأمراء والمتنفذين في الدولة إما افتخاراً وتباهياً أو لاعتبارها صدقة جارية بهدف خدمة المرضى والمحتاجين، ولكي يضمنوا استمرار العمل بها فقد أوقفوا لها الأوقاف الكبيرة من ضياع وبساتين وأراض يعود ريعها لسد نفقات البيمارستانات عامة[١].

ومن الجدير بالذكر أن الملك نور الدين محمود صاحب دمشق كان قد أسر أحد ملوك الفرنج عام ٥٤٩هـ = ١١٥٤م الذي افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال أنفقه نور الدين في بناء المستشفى الكبير المعروف بـ(البيمارستان النوري) الذي لا يزال قائماً في دمشق. كما ويذكر أن صلاح الدين الأيوبي قد حول أفخم قصور الأمراء الفاطميين إلى بيمارستان بعد أن دخل مصر عام ٥٦٧هـ = ١٠٧١م وأسماه (البيمارستان الصلاحي أو الناصري). ثم بعد نحو مئة سنة قام السلطان قلاوون ببناء (البيمارستان القلاووني) في القاهرة.

وكان يختار لبناء البيمارستانات أرضاً واسعة مرتفعة إلى حدٍ ما ويتوفر فيها طيب الهواء ونقاوته والمياه الجارية لغرض الاستحمام والنظافة، وكان البيمارستان يحوي على عدة أجنحة منها للأمراض العادية، ومنها للجراحة، ومنها لأمراض العيون، مع الأخذ بعين الاعتبار أن يفصل الرجال عن النساء، أما الأمراض العقلية فكان يخصص لها جناحٌ منفصل عن باقي البيمارستان، ويعالج المريض بالمسكنات والمهدئات لا بل يعالج بالموسيقى والرياضات الخفيفة. ويلحق بكل بيمارستان عيادة خارجية لاستقبال المرضى وفرزهم،

(١) القلقشندي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٤٧٦/٣، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.



وصالة للعمليــات الجراحية، وقاعة لإلقاء الــدروس والحلقات العلمية، كما يشــمل البناءعلى صيدلية لصنع المعاجين والأشربة والسفوفات يشرف عليها عشّاب خبير بتركيب الأدوية.

وبهذا نــرى أن هذه المستشــفيات كانــت مفخرة من مفاخــر الحضارة الاسلامية، ولكي أبرز ذلك لا بد أن أوجز ما كتبه غاريسون عن المستشفيات في أوروبا في القرن الثامن عشر وما بعده[١].

«نشــر Tinon عام ١٧٨٨ سلسلة مذكرات عن مستشــفيات باريس بما فيها وصفه لمستشــفى Hotel Dieu المشــهور والذي كان آنذاك مرتعــاً للأمراض والأوبئة. كان المستشفى يحوي ١٢٢٠ سريراً ويرقد على كل سرير من أربعة إلى ستة مرضى، ولم يكن في المستشفى سوى ٤٨٦ ســريراً يضم كل منها مريضًا واحداً، وكان بعض الأقسام يضم ٨٠٠ مريض مكدّسين فوق مراتب من التبن أو القش المشــبعة بروائح كريهة ومقززة، وكانت الأمراض المعدية تنتقل وتنتشر بســرعة البرق، فلم يكــن العزل الطبــي معمولاً بــه آنذاك، وكانــت الهوام والحشرات الطفيلية كالقمل والقراد منتشرة بشكل لا يمكن السيطرة عليه. أما رائحة الأقســام فكانت غير محتملة من قبل الأطباء والعاملين في القســم فلم يكونوا يجرؤون على دخول القسم في الصباح إلا بعد أن يضعوا إسفنجة مشبعة بالخل فوق أنوفهم. ولذا فإن نســبة ٢٠٪ وفيات بين المرضى كان رقماً مقبولاً للعاملين في المستشفى، أما الشفاء بعد عملٍ جراحيٍ فكان من أندر النوادر.

ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن مستشفى Allegemeines Krankenhaus of Vienna وعن مستشــفى موســكو Moscow Hospital، ومعظم تلك المؤسسات المماثلة بحجمها.

(١) غاريسون: مدخل إلى تاريخ الطب ص ٤٠٦ ـ ٤١٢، انظر المراجع الأجنبية.

ولم يتغير أي شيء في وضع هذه المؤسسات إلا بعد أن نشر John Howard تقاريره عام (١٧٧٧ ـ ١٧٨٩) عن الأوضاع المزرية للمستشفيات والسجون، ونشر تينون تقريره عام ١٧٨٨ إذ تنبه الحكام إلى خطورة الوضع. حتى إن باس Bass ذكر أن الأطباء في مستشفيات فرانكفورت ومدن ألمانية أخرى قد اعتبروا «دخول المريض إلى هذه المشافي يعتبر حكماً بالموت لا محالة».

ثم استلم الحكم في فرنسا الملك لويس السادس عشر، وفي ألمانيا الأمبراطور جوزيف الثاني فبدأت الأمور تتحسن تدريجياً في كلٍ من باريس وفرانكفورت. أما مستشفى موسكو فقد أعيد بناؤه بناء على أوامر صدرت من القيصر (بول Paul) الذي صعق بوضع المستشفى حينما زاره عام ١٧٩٧.

هذا مختصر لبعض ما ذكره شهود عيّان عن مستشفيات أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر. ولكن لسوء الحظ إنهم استمروا بالتقدم والتطور بينما نحن خلدنا للنوم والسبات الذي لا أرى أي مخرج منه إلا بمعجزة إلهية.







الخـاتمـة

حاولنا في هـذا الكتاب أن نقـدم تأريخًا لطـبِّ العيون عنـد العرب والمسـلمين، أو فن الكحالة، من خلال اسـتعراض أعلامه ورجالاته الذين أسهموا فيه، سـواء كانوا أطباءَ معالجين، أو مؤلفين ومصنفين، أو مؤرخين وواصفين، أو جمعوا ذلك كله فشـاركوا في التطبيـب والتأليف والوصف والتأريخ، وقد عُنينا بذكر أبرز المؤلفـات التي خلفها أرباب هذا الفن، بدءًا مما ترجموه، ومرورا بما أفردوه في مؤلف على حدة، وانتهاءً بما اشـتملت عليه موسوعات طبية أو كتب عامة اتسعت لكثير من المعارف الطبية ومنها طب العيون.

وكان من همنا أن نذكر مع كل علم توقفنا عنده أبرز ما أنجز في دنيا طب العيون، مما يؤلف سـجلًا لمآثر الأطباء العرب المسلمين في هذا الباب، أي سجلًّا لما سـبق به علماؤنا ما جاء به علماء الغرب وأطباؤه، وما استقرَّ عليه الحال اليوم في مجال طب العيون.

ولا بد لي أن أشـهد ـ وقد تخصصتُ في هذا الفن في أعرق الجامعات، ومارست طبَّه في أعظم المشافي ـ أن كثيرا مما دوَّنه هؤلاء الأعلام في كتبهم، ومارسـوه في طبِّهم ما زال يعمل به حتى اليوم، وبعبـارة أخرى فإن لأطبائنا

العرب المسلمين دَيْنًا في عنقِ كل من دَرَسَ أو دَرَّس أو مارس هذا الاختصاص. وإن هذا يعد مفخرةً لنا ينبغي أن تذكر وتشكر.

فإذا نجح هذا الكتاب في إيصال هذه الرسالة فإني إذن لسعيد، وإن قصَّر فلعلَّ في أبناء هذه الأمة من يكمل فيه ما نقص، ويتمم فيه ما يحتاج إلى تمام، والله من وراء القصد.

المؤلف

أ.د. محمد ظافر الوفائي



فهـرس الأعلام

أ

- إبراهيم بـن الأغلـب (مؤسـس دولة الأغالبة): ١٠١
- إبراهيم بن الصلت (مترجم): ١١٧
- إبراهيم بن بكس (أبو اسحق) (مترجم): ١١٨
- إبراهيم بن محمد (مترجم): ١١٨، ٢٠٥
- أبقـراط: ٢٠، ٣١، ٤٠، ٥٣ ـ ٥٥، ٥٩، ٦١ ـ ٦٣، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٦٦، ١٨٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٥٧ ـ ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧١
- أبقورس: ١٣٨
- ابن أبي أصيبعـة: ٥٠، ٥١، ٥٣ ـ ٥٧، ٧١، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢ ـ ١٣٤، ١٤٠ ـ ١٤٢، ١٤٥ ـ ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٤، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٥ ـ ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٥
- ابن أبـي الحوافـر: انظـر: أبو العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله القيسي
- ابن أبي رمثة التميمي: ٨٦
- ابن أثال: ٩٤، ١٠٥
- ابن الأكفانـي (أبو عبـد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري): ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١
- ابن البيطار: ٩٣، ١٦٧، ١٧١، ٢٠٥، ٢٤٤
- ابن التلميذ البغدادي (مترجم): ٢٢٧
- ابن الجزار القيرواني: ١٤٦
- ابن الحجاج يوسف الإسرائيلي: ٢٥١
- ابن الخياط، أبو بكر: ٢٢٨
- ابن الرومي: ١٨، ١٧١
- ابن الرومية، ابو العباس: ٢٤٤
- ابن الصنيعة (المفضل بن هبة الله بن علي الجميزي الأسنائي): ١٨٧
- ابن الصوري، رشيد الدين: ٢٥١
- ابن الطيب (أبي الفرج عبد الله الطيب): ١٥٦، ١٦٥

- ابن الطيفوري: ٢١٠
- ابن الفرضي: ١٧١
- ابـن النفيـس (علي بـن أبـي الحزم القرشي): ١٧٥، ١٨٨ ـ ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٥٠
- ابن النقاش، مهذب الدين: ١٨٥
- ابن الهيثم: ١٢٤، ١٦٦، ٢٣٧ ـ ٢٣٩
- ابن بشكوال: ١٧١
- ابن حكم الدمشقي (مسيح): ٩٢
- ابن حِذْيم: ٨٦
- ابن رشد، أبو الوليد: ٢٤٨
- ابن رضوان: أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري: ٢٤٣، ٢٦٣
- ابن رقيقة، سديد الدين: ٢٥١
- ابن زرعة (انظر: عيسـى بن إسحق بن زرعة مترجم)
- أبـو زكريـا يوحنا بـن ماسـويه (انظر يوحنا بن ماسويه)
- ابن زهر (طبيب أندلسي): ٢٢٥
- ابن سرابيون: ٢٢٣
- ابن سمجون: ٢٢٧
- ابن سوار: ١٦٥
- ابن سـيار: انظر: أبو ماهر موسـى بن يوسف بن سيار
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا: ٦٥، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٩، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٣
- ابن شهدي الكرخي (مترجم): ١١٦
- ابن طرخـان (علي بـن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي): ١٩٩
- ابن كلس: انظر يعقوب بن كلس
- ابن لوقا: انظر قسطا بن لوقا.
- ابـن مندويـه الأصفهانـي (أبو علـي أحمد بن عبد الرحمٰن ابن مندويه): ٥٧، ١٥٥، ٢٠٨
- ابن ناعمة (انظر عبد المسـيح بن ناعمة الحمصي): ١١٤
- ابن وافد اللخمي: ١٦٦، ١٦٧، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٤٣
- أبو البقاء الرندي (شاعر أندلسي): ١٠٤
- أبـو الحسـن بن إبراهيم بـن بكـس (مترجم): ١١٨
- أبو الحسن بن البهلول (مترجم): ١١٩
- أبو الحكم الدمشقي: ٩٢
- أبو الريحان البيروني: انظر البيروني: ٥٣، ٥٦
- أبو الطيب المتنبي (شاعر): ١٩، ١٠٣
- أبو العباس السفاح (أول خليفة عباسي): ٩٩، ١٠٠
- أبو المجد ابن أبي الحكم: ٢٤٦
- أبو بكر بن الخياط: ٢٢٨
- أبو بكر عبد الله البكري (انظر البكري): ٢٢٧
- أبو جعفر المنصور: ٩٩، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١٤٥، ٢٠٩
- أبو حليقـة، موفق الديـن أبو الخير بن رشيد الدين: ٢٥٢

- أبو زكريا بن عـدي التكريتي (مترجم): ١١٨
- أبو زكريا يوحنا (انظر يوحنا بن ماسويه)
- أبو زيد حنين بن اسحاق (انظر حنين بن إسحق)
- أبو عبد الله البكري: ٢٢٧
- أبو عبد الله الصقلي (مترجم): ٢٤٢
- أبو عبـد الله محمد بن سـعيد التميمي المقدسي: ١٤٦
- أبو علي بن زرعة (مترجم): ١١٥
- أبو علـي خلـف الطولونـي (انظـر الطولوني)
- أبو معشر: ١٤٢
- أبو نصر بن ناري بـن أيوب (مترجم): ١١٧
- أبو نوح بن الصلت (مترجم): ١١٥
- أبو يوسف الكاتب (مترجم): ١١٧
- أبوبشر متى بن يونس (مترجم): ١١٨
- أبولو: ٦٠
- أبو ماهر موسى بن يوسف بن سيار: ٢٢٢
- آثيوس الآمدي: ٧٦، ٧٧، ٢٢٨
- الأجنيطي، بولص: ١٣٤، ٢٢٣
- أحمد بن بويه (سلطان بويهي): ١٢٦
- أحمد بـن طولـون (مؤسـس الدولـة الطولونية في مصر): ١٠٣، ١٤٥
- أحمد بن محمد (مترجم): ١١٨
- أحمد بن محمد الطبري (انظر الطبري)
- الأحوازي، علي بن عبـاس: ٢١١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٦٢، ٢٦٣
- إدريس بـن عبـد الله (مؤسـس دولـة الأدارسة): ١٠١
- أرتيس الكبودي: ٦٩
- أرسطوطاليس: ٥٩، ٦٥، ٧٥، ١٣٧، ١٦٦، ٢١١
- أرسلان، عارف: مترجم لبناني: ١٥٨
- أركاجينس: ٧٠
- أرمانوس (إمبراطور بيزنطية): ٢٤٢
- أرمن أبو الفتح موسى ابن الملك العادل أبي بكر (أحد ملوك السلاجقة): ١٧٢
- إسحق بن حنين بن إسـحق (مترجم): ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٣٣
- إسحق بن سليمان الإسرائيلي: ١٤٥
- إسحق بن عمران (طبيب تونسي): ١٤٥
- أسطاث (مترجم): ١١٧
- إسطفان الإنطاكي (مترجم): ٢٢٤
- أسقلبيوس الأول: ٦٠، ٦١
- أسقلبيوس الثاني: ٣٨، ٦١، ٦٢
- أسقليبيادس: ٦٩
- الإسكندر الأفروديسي الدمشقي: ٧٥
- الإسكندر الترللي: ٧٦، ١٢٥
- الإسـكندر المقدوني: ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٤٩، ٥١، ١٠٦، ١٠٨
- آشور بانيبال (ملك آشوري): ٤٥

- إصطفن بن باسيل (مترجم): ١١٤، ١١٧
- أصنجهل: ٥٠
- أعين بن أعين المصري: ١٤٧
- أفلاطون الأول: ٦١، ٦٢
- أفلاطون: ٥٩
- أم عطية الأنصارية (نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف): ٨٣، ٨٨
- أمحوتب: ٣٧، ٣٩
- أميلي سافج سميث (مؤرخة بريطانية): ٢١٩، ٢٢٠
- الأمين بن هارون الرشيد: ١٠١
- أنطليوس: ٧٠
- أنقلاوس: ٧٤
- أهرن بن أعين: ٧٧، ٩٢، ٩٥، ١٢٥، ١٢٦، ٢٢٣
- أورليان (امبراطور بيزنطي): ٨٢
- أورباسيوس: ٧٠، ٧٥، ٧٧، ١٣٤، ٢٢٣
- أوطوقيوس: ١٣٤
- إيراستراتس: ٦٥
- أيوب الابرش (مترجم): ١١٥
- أيوب الرهاوي (مترجم ومؤلف): ١١٧، ١٣٤
- الباغو، أندريا (مترجم إلى اللغة اللاتينية): ١٩٠، ٢٣٤
- الحكم الدمشقي: ٩٢
- الدوميللي (مستشرق): ٢٣٨
- الرازي محمد بن زكريا، أبو بكر: ٥٠، ٥٤، ٧٥، ٧٧، ٩٥، ١١٢، ٢١١، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٩
- الرازي، الامام فخر الدين
- الشاذلي، صدقة بن إبراهيم: ٢٦٦
- العادل، الملك ابي البكر بن أيوب: ٢٤٩، ٢٥٠
- العباس بن سعيد الجوهري (مترجم): ١١٩
- الغافقي، محمد بن قسوم بن أسلم: ١٥٠
- الفرغاني: ١٤٢
- الفونش (الفونس الاسباني، ملك): ٢٤٧
- الكندي: ١٤٢
- المستعصم بالله (خليفة عباسي): ١٠٤
- المسعودي: ١٤٢
- المسيحي، انظر عيسى بن يحيى المسيحي
- المطوع، الشيخ شمس الدين الكحال: ٢٤٦
- المطيع لله (خليفة): ١٠٣
- المقدسي (انظر أبو عبدالله بن محمد بن سعيد التميمي المقدسي)
- المناوي، نور الدين: ١٩٥
- الوفائي، حسين الوفائي البغدادي: ١٩٥

ب

- باسيل المطران (مترجم): ١١٤

- بالاسيوس، ميغيل أسين (مستشرق إسباني): ١٦٨
- البالسي، محمد بن علي البالسي الكحال: ١٦٧، ٢٠٦، ٢٠٧
- الباهلي، أبو الحكم عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي الأندلسي: ٢٤٦
- البكري، أبو عبد الله: ٢٢٧
- بختيشوع بن جبرائيل: ٢١٠
- براون (مؤرخ): ٢٢٩
- بردية أدوين سميث: ٣٩
- بردية أيبرس: ٣٩
- بردية كون: ٣٩
- برمانيدس: ٦١، ٦٢
- البطالسة (أتباع بطليموس): ١٠٦
- البطريق (مترجم): ١١٧
- بطليموس الأول: ٦٨، ١٠٦
- بلودي، فريدريك (بروفسور أمريكي من أصل نمساوي مهتم بتاريخ طب العيون ترجم موسوعة هيرشبرغ إلى اللغة الإنكليزية): ١٧٧
- بهاء الدولة البويهي: ١٠٣
- بورهاف، هرمان (طبيب عيون ألماني): ٢٢٠
- بوشار، بيير فرانسوا: ٣٨
- بولس الأجيني: ٧٧، ١٣٤، ٢٢٣، ٢٢٨
- البيروني: ٥٣، ٥٦
- بيشوف، هانز ديتر (باحث ومترجم ألماني): ١٨٤
- بيكون، روجر (عالم الفيزياء الإنكليزي الأشهر): ٢٣٨

ت

- تادري الأسقف (مترجم): ١١٨
- تدرس السنقل (مترجم): ١١٧
- تراجان (إمبراطور روماني): ١٢٣
- الترجالي، أبو الجعفر بن هارون: ٢٤٧
- تطاوي، محي الدين (طبيب من مصر اكتشف أن ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى): ١٩٠
- تيادوروس: ٥٣
- تياذوق: ٩٢، ٩٤، ٩٥
- تينون (طبيب عيون إفرنسي): ٢٧٥
- تيوفيل بن توما الرهاوي (مترجم): ١١٩

ث

- ثابت الناقل (مترجم): ١١٧
- ثابت بن قرة الحراني (طبيب ومترجم): ١١٥، ١٣٤، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤، ١٩٢
- ثاومنستوس (طبيب بيطري إغريقي): ١٣٤

ج

- جابر بن حيان: ١٢٦

- جالينوس: ٢٠، ٥٠، ٥٣ ـ ٥٥، ٥٩ ـ ٦١، ٦٣، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٤ ـ ٧٧، ١١٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٥ ـ ١٣٨، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٦٣
- جان فرانسوا شامبوليون: ٣٨
- جبرائيل بن بختيشوع بن جرجيس: ٣٨، ١١٢، ١١٤، ١٢٧، ١٣٢
- جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع: ١٤٩
- جبرائيل درستاباذ: ٥٣
- جبريل كحال المأمون: ٢٤٥
- جعفر بن يحيى البرمكي: ١٢٦، ١٢٧
- جفنة بن عمرو: ٨١
- جنكيزخان: ١٠٤
- جورجيوس بن جبرائيل البختيشوعي: ١٠٠، ١٠٩، ١١٢، ١١٤
- الجوزجاني، أبو عبيدالله عبد الواحد: ٢٣٢
- جوزيف الثاني (إمبراطور ألمانيا): ٢٧٦
- جوستنيان (إمبراطور روماني): ٧٦
- جوليان (الإمبراطور): ٧٥
- جيرارد الكريموني (مترجم إلى اللغة اللاتينية): ١٥٨، ٢١٧، ٢٢٨، ٢٣٤

ح

- الحارث بن كعب: ٨٨
- الحارث بن كلدة الثقفي: ٨١، ٨٦، ١٠٥
- الحاكم بأمر الله (خليفة فاطمي): ١٤٩، ٢٣٧، ٢٦٣
- حبيش الأعسم (مترجم): ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠
- الحجاج بن يوسف الثقفي: ٩٤
- الحجاج بن يوسف مطر الوراق (مترجم): ١١٤، ١١٦
- الحريري، عبدالله بن قاسم الحريري الإشبيلي البغدادي: ١٧١
- حسداي بن شبروط (مترجم أندلسي): ٢٤٢
- حسن علي حسن (طبيب عيون لبناني): ١٦٨
- الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا (انظر ابن سينا)
- الحكيم محمد سعيد: ٥٣
- حمارنة ورجب: ١٥٦، ١٧٤، ١٨٧، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦
- حمورابي: ٤٤، ٤٧
- حنين بن إسحاق العبادي (طبيب ومترجم): ١٠٩، ١١٣ ـ ١١٦، ١٢٤، ١٢٨، ١٣١، ١٣٣، ١٤٠، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٣، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١١، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٨

خ

- خليفة بن أبي المحاسن الحلبي: ١٤٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٣

- خالد بن الوليد: ٨١
- خالد بن برمك (وزير الخزانة): ١٠٠
- خالد بن يزيد بن معاوية: ٩١، ١٠٥
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (فقيه لغوي): ١٣١

د

- الدارمي: ٢٢٨
- داوود الأنطاكي (طبيب ضرير): ٢٤٤
- داوود، الملك الناصر بن الملك المعظم: ٢٥١
- الدخوار، مهذب الدين بن علي بن حامد الدخوار: ١٧٤، ١٨٨، ٢٤٩
- ديترش، هانز (مستشرق ألماني): ١٤٨
- ديمتريـوس (مترجم لليونانية): ١٢٤، ١٣٧
- ديوسقوريدس: ٦٩، ١٦٦، ٢١١، ٢٤١ ـ ٢٤٤

ذ

- ذو الوزارتيــن (انظر ابن وافد اللخمي): ١٦٦
- ذو النون، المأمون بــن ذي النون (أمير طليطلة): ١٦٦

ر

- راديمايكر، جيسـلا (زوجة ويلفرد): ١٧٦
- راديمايكر، ويلفرد (طبيب عيون ألماني): ١٧٦
- رايسكه (مستشرق ألماني): ٢١٧
- الرحبي، رضي الدين: ١٨٤، ٢٥٠
- الرشاطي (مؤرخ أندلسي): ١٧٢
- رشيد الدين بن الصوري: ٢٥١
- رفيدة الأسلمية: ٨٧، ٢٧٢
- الرهاوي، إسحق بن علي: ٢٦١
- روجر الباليرمي، ٢٢٨
- روفوس الأفسيسي: ٧٠، ١٢٣

ز

- زاهـد العلمـاء، أبو سـعيد منصور بن عيسى: ١٦٢
- زخريا ابن ثوابة (راهب): ١٤٦
- زرادشت: ٥٢
- زنوبيا (الزباء)، ملكة تدمر: ٨٢
- الزهراوي، خلف بــن عباس الزهراوي: ١٦٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩
- زهرون الصابئي: ١٦٦
- زهير بن خباب: ٨٨
- زوربا بــن مانحوه الناعمــي الحمصي (مترجم): ١١٦
- زينب (طبيبة بني أود): ٨٧
- زينون (إمبراطور روماني): ١٠٧، ٢٧١

س

- سابور الأول الساساني: ٥٢
- سابور الثاني (ذو الأكتاف): ٥٢، ٨١، ١٠٨، ٢٧٢
- سارتون، جورج (مؤرخ للعلوم): ٢٣٨
- السامانيون: ١٠٢
- السامرائي، د. كمال: ٦١، ١١٥، ١٢٠، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥ ـ ١٤٨، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٤، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠
- سبينكس (مؤرخ ومترجم إلى اللغة الانكلزية): ٢٢٩
- سديد الدين بن رقيقة: ٢٥١
- سرجون الأكدي: ٤٣
- سرجيوس الرأسعيني (مترجم للسريانية): ٥٣، ٧٦، ١١٢، ١١٧، ١٢٤، ١٣٤
- سرفيتوس، ميشال (طبيب إسباني من القرن السادس عشر): ١٩٠
- سريوس بن الياس الروقي (مترجم): ١١٩
- سزكين، فؤاد (باحث في التراث ومترجم إلى اللغة الألمانية): ٩٤، ١٢٥، ١٢٧ ـ ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٥ ـ ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٤٥
- سعد بن معاذ (صحابي جليل): ٢٧٢
- سعيد بن يعقوب الدمشقي (مترجم): ١١٥، ١١٨
- سقراط: ٥٩
- السمرقندي: ٢٠٥
- سميراميس، شامورامات (ملكة الآشوريين): ٤٥
- سنان بن ثابت بن قرة (مترجم): ١١٥
- السنجاري (انظر ابن الأكفاني)
- سنحريب (ملك آشوري): ٤٥
- سورانوس الأفسيسي: ٦٩
- سوسروتا (طبيب هندي): ٥٠، ٢١١

ش

- الشاذلي صدقة بن إبراهيم المصري: ١٩٥، ٢٢٠، ٢٦٦
- شارلمان، (إمبراطور روماني): ١٠١
- شامبوليون جان فرانسوا (انظر جان فرانسوا)
- شاناق: ٥٠
- شائيم توب (مترجم إلى اللغة العبرية): ٢٢٨
- شرك: ٥٠
- الشريف الإدريسي: ٢٤٣
- الشريف الكحال، برهان الدين بن الفضل بن سليمان: ٢٤٧
- الشفاء بنت عبد الله القرشية: ٨٧

- الشمردل بن قبّاب الكعدي: ٨٨
- شهدي الكرخي (مترجم): ١١٦
- شيرشوع بن قطرب (مترجم): ١١٨
- المطوع، الشيخ شمس الدين المطوع الكحال: ٢٤٦

ص

- صابونجي أوغلو، شرف الدين بن الحاج علي إلياس (مترجم للغة التركية): ٢٢٨
- صبره، عبد الحميد (محقق وعالم فيزيائي): ٢٣٨
- صدقة بن إبراهيم الشاذلي المصري (انظر الشاذلي)
- الصديقي، محمد زبير: ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣
- الصفاريون (أتباع يعقوب بن الليص الصفاري): ١٠٢
- الصفدي، صلاح الدين بن أيبك: ١٩٩، ٢٠٠
- صلاح الدين الأيوبي، صلاح الدين يوسف بن أيوب (سلطان): ١٠٤، ٢٤٧، ٢٧٣
- صلاح الدين الكحال الحموي:١٥٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٤، ١٩٤، ٢٦٥

ض

- ضماد بن ثعلبة الأزدي: ٨٧

ط

- طاهر بن الحسين: ١٠٢
- الطائع (خليفة عباسي): ٢٣٧
- الطبري، أحمد بن محمد (أبو الحسن): ٥٥، ٢١٢، ٢١٩
- الطبري، الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن خورشيد الطبري (مترجم): ١١٩
- الطبري، علي بن سهل ربن الطبري: ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٣٣
- الطولوني، أبو علي خلف: ١٤٤

ظ

- ظافر بن جابر السكري: ١٦٦
- الظاهر (خليفة فاطمي): ٢٣٧

ع

- عبد اللطيف البغدادي: ٢٤٣
- عبد المسيح الكحال الحلبي: ١٤٥، ١٤٧، ١٥٥، ١٦٧، ٢٠٧، ٢٤٥
- عبد الودود بن عبد الملك (طبيب): ٢٦٢
- عبد يشوع بن مهران (مطران الموصل مترجم): ١١٨
- عبد الرحمٰن الداخل (أول خليفة أموي في الأندلس): ٩٩
- عبد الرحمٰن الناصر (خليفة أموي أندلسي): ٢٤٢

- عبد الله بن إسحق (مترجم): ١١٨
- عبد الله بن المقفع (أديب ومترجم): ١١٢، ١١٤
- عبد الله بن طغج الإخشيدي: ١٤٦
- عبد الله بن علي (مترجم): ١١٩
- عبد المسيح بن ناعمة الحمصي (مترجم): ١١٤
- عبد الملك بن أبجر الكناني: ٩٥، ١٠٥
- عبد الملك بن مروان: ٩٣
- عبيد الله (خليفة فاطمي): ١٤٥
- عز الدولة البويهية (حاكم بويهي): ١٢٦
- العزيز بن صلاح الدين (ملك أيوبي): ١٨٤
- عضد الدولة البويهي (فناخسرو الديلمي) مؤسس الدولة البويهية: ١٠٣، ١٤٩، ١٥٥، ٢٢٣
- علي الفيومي (مترجم): ١١٨
- علي بن إبراهيم بن بختيشوع كفرطابي: ١٦٢
- علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة الخزرجي: ٢٤٨
- علي بن رضوان، أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري: ٢٦٣
- علي بن عباس الأحوازي (انظر الأحوازي): ٢١١
- علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي (انظر ابن طرخان): ١٩٩
- علي بن عيسى الكحال: ١٣٧، ١٥٦، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٦، ٢٢٧
- علي بن محمد: ١٠٣
- علي بن يحيى، ابن النجم (مترجم): ١١٨، ١٣٤
- عمار بن علي الموصلي: ١٤٩، ١٧٥، ١٩٦، ٢١٨
- عمر بن عبد العزيز (خليفة أموي): ٧٧، ٩٢، ٩٥، ١٠٥، ١٢٦
- عيسى بن أبي بكر (الملك المعظم): ٢٥١
- عيسى بن إسحق بن زرعة (مترجم): ١١٩
- عيسى بن أسير (مترجم): ١١٩
- عيسى بن الحكم الدمشقي: ٩٢، ٩٣
- عيسى بن سرنجت (مترجم): ١١٥
- عيسى بن علي (مترجم): ١١٩
- عيسى بن قسطنطين: ٧٧
- عيسى بن ماسرجيس: ١١٦
- عيسى بن يحيى المسيحي، ابن المنجم (مترجم): ١١٦
- عيسى بن يحيى بن إبراهيم (مترجم): ١١٥
- عيسى بن يونس الكاتب (مترجم): ١١٩

غ

- الغافقي، محمد بن قسوم بن أسلم: ١٥٠، ١٦٧، ٢٦٥

- غبرييلي: ١٣٤
- الغريـــزي، القس مخائيـــل (مترجم إلى اللغة اللاتينية): ١٦٨
- غريغوريـــوس (بطريـــرك أرثودوكـــس، روسيا): ١٢٩، ١٣٥
- غليونجي، بول (طبيـــب من مصر مهتم بالتـــراث الطبـــي الفرعونـــي والعربي والإسلامي): ١٩٠
- غوث محـــي الديـــن القادري الشـــرفي (طبيـــب هنـــدي مهتـــم بالدراســـات الإسلامية): ١٥٨
- غورس: ٣٨، ٦١، ٦٢
- غي دو شولياك (مترجم للغة الفرنسية): ٢٢٨

ف

- فاليريان (إمبراطور): ٥٢، ١٠٨، ٢٧٣
- فتـــح الدين بـــن جمـــال الدين بن أبي الحوافر: انظر ابن أبي الحوافر
- فتح الدين بن سيد الناس: ٢٠١
- فرات بن شحناثا: ٩٥
- فرج بن سالم الصقلي (مترجم إلى اللغة اللاتينية): ٢١٧
- فناخسرو الديلمي: انظر عضد الدولة
- فؤاد الأول (ملك مصري): ١٠٣
- فورفريوس (عالم إغريقي): ١٦٧
- فون ســـونتهايمر، جوزيف (مترجم إلى اللغة الألمانية): ٢٣٥
- فيثاغورس (عالم فيزياء يوناني): ٣٨
- فيلغريوس: ٧٥

ق

- القائم بأمر الله (خليفة فاطمي): ٩٩، ١٠٣، ١٤٥
- قســـطا بن لوقا البعلبكي (مترجم): ١١٤، ١١٦، ١٤٤
- قسطنطين الإفريقي: ٧٧، ١٣٧، ١٤٦، ٢٢٤
- القضاعي، أبو البركات: ٢٤٨
- قطاية، ســـلمان (طبيب ســـوري محقق ومترجم إلى اللغة الفرنسية): ١٨٩
- قلاوون (سلطان في مصر): ٢٧٣
- قلعة جـــي، أ.د. محمـــد رواس (فقيه، محقـــق ومؤلـــف): ١٧، ١٤٣، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٦، ١٩١، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٥
- قورش الإخميني (ملك فارسي): ٤٥
- القيسي، أبو العباس أحمد بن عثمان بن هبة الله القيسي: ١٨٣
- القيصر بول (قيصر روسيا): ٢٧٥
- قيضا الرهاوي (مترجم): ١١٧
- قينون الترجمان: ١١٧

ك

- كافور الإخشيدي (حاكم مصري): ٢٠٦

- الكرماني، أبو بكر: ٢٢٨
- كسرى أنوشروان (ملك فارسي) ٤٩، ٥٣، ١٠٨
- كليوباترا: ٦٨، ٨٢
- كنكة الهندي: ٥٠
- كورونس: ٦٠
- كونينغ، دي (مترجم إلى اللغة الفرنسية): ٢٢٥، ٢٣٤
- كيبلر، يوهانس (عالم فيزيائي): ١٥٧، ٢٣٩
- الملك الكامل الأيوبي: ٢٤٨

ل

- لوكليرك، لوسيان (مستشرق ومؤرخ): ١٣١، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٧، ١٦٨، ١٧٥، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٢٨
- لويس السادس عشر، الملك: ٢٧٥
- ليبرت (مستشرق ألماني): ١٥٠، ١٦٨، ١٩٦، ٢٣٤

م

- مازيار بن قارن (أمير فارسي): ٢٠٩
- ماسرجويه البصري (ماسرجيس): ٩٥، ١١٦، ١٢٥، ١٢٨، ٢٠٨
- المأمون ابن هاورن الرشيد: ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ١١٢، ١١٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦
- مايرهوف، ماكس (طبيب عيون ومؤرخ): ١١٤، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٣، ١٥١، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨، ٢٠٩
- المتوكل على الله (خليفة عباسي): ١١٢، ١٢٨، ٢٠٩، ٢٤٢
- متى بن يونس (أبو بشر) (مترجم): ١١٥، ١١٨
- محمد بن زكريا الرازي: ٥٤، ٢١٤
- محمد بن عبد الملك الزيات (مترجم): ١١٨
- محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي: ١٥٠، ١٦٧، ٢٦٥
- محمد بن موسى المنجم (مترجم): ١١٨
- محمد بن موسى بن شاكر (عالم رياضيات وفلك): ١٤١
- محمد بن موسى بن عبد الملك (مترجم): ١١٨
- محمد سعيد (الحكيم): ٥٣
- محمد محمد إسماعيل (محقق): ٢١٨
- محمود أحمد صقر (طبيب عيون): ١٦٣
- مدكور، إبراهيم (طبيب من مصر مهتم بالتراث الطبي): ١٨٩
- مروان الثاني (خليفة أموي): ١٠٧
- مروان بن الحكم (خليفة أموي): ٩٢، ١٢٥
- مروان بن محمد (خليفة أموي): ٩٩
- مزدك: ٥٢

- المستعين بالله (خليفة عباسي): ١٣٣
- المستنصر بالله (خليفة أموي أندلسي): ٢٢٧
- مسيح (انظر: عيسى بن حكم الدمشقي)
- معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي الأول): ٩٤
- المعتز بالله (خليفة عباسي): ١٣٣
- المعتزلة، مذهب: ١٠١
- المعتصم بالله (خليفة عباسي): ٩٣، ١٠٢، ١٢٨
- المعتضد بالله (خليفة عباسي): ١٤١
- المعتمد على الله (خليفة عباسي): ١٠٢، ١٠٣، ١٣٣
- المعز لدين لله (خليفة فاطمي): ١٤٥، ١٤٦
- المكتفي بالله (خليفة عباسي): ٢١٥
- المناوي، نور الدين علي: ١٩٥
- المنتصر بالله (خليفة عباسي): ١٣٣
- المنجد، صلاح الدين (باحث في التراث ومؤرخ): ٢٤٣
- المنصور (خليفة فاطمي): ١٤٥
- منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد (والي الساسانيين على الري): ٢١٧
- منصور بن باناس (مترجم): ١١٧
- منكه: ٤٩، ٥٠
- المهتدي بالله (خليفة عباسي): ١٣٣
- مهران بن منصور بن مهران (مترجم من السريانية): ٢٤٣
- المهندس، أبو الفضل بن عبد الكريم المهندس: ٢٤٦
- موسى بن إبراهيم الحديثي (مترجم): ١١٩
- موسى بن إبراهيم بن محمد الطبيب اليلداوي الصالحي الحنبلي: انظر اليلداوي: ٢٠٥
- موسى بن خالد الترجمان (مترجم): ١١٥، ١١٧
- موسى بن هارون بن سعدان: ١٤٨
- موسى، النبي عليه السلام: ٤٤
- موفق الدين عبد العزيز (الشيخ): ٢٥١
- موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي: ٢٥١
- المؤيد (خليفة أموي أندلسي): ٢٢٧
- ميتفوخ (مستشرق ألماني): ١٥٠، ١٦٨، ١٩٦
- مينس: ٦١، ٦٢

ن

- ناثان ها معازي (مترجم إلى اللغة العبرية): ١٥٢، ٢٣٤
- ناصر بال (ملك آشوري): ٤٥
- نبوخذ نصر الأول: ٤٤
- نبوخذ نصر الثاني: ٤٤، ٤٥
- نجم الدين ألبي محمد تمرتاش الأرتقي (أمير ميافارقين): ٢٤٣



- نجم الدين أيوب: ٢٥٢
- نسطوريوس (البطريرك): ١٠٠
- نصر بن سامان (مؤسس دولة السامانيين): ١٠٢
- نصير الدين بن مروان الدوستكي: ١٦٢
- النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي: ٨١
- نظيف القس الروماني (مترجم): ١١٨
- نفيس الدين بن زبير، نفيس الدين أبو القاسم بن صدقة الكهلوي: ٢٤٨
- نور الدين علي المناوي (انظر المناوي)
- نور الدين محمود بن زنكي (الملك العادل): ٢٤٩، ٢٥٠
- نيرون (إمبراطور روماني): ٦٩
- نيقولا الراهب (مترجم في الاندلس): ٢٤٢

هـ

- هارفي، ويليام (طبيب إنكليزي اشتهر بأنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى): ١٩٠
- هارون الرشيد (خليفة عباسي): ٤٩، ٥٠، ٩٣، ١٠٠، ١٠١، ١١٢، ١١٤، ١٢٥ ـ ١٢٧، ٢٠٩
- هبة الله بن أثردي: ١٦٦
- هبة الله بن الفضل: ٢٤٦
- هلال بن أبي هلال الحمصي (مترجم) ١١٧
- هولاكو: ٩٩، ١٠٤
- الهيلينيستية (الثقافة): ١٠٦
- هيرشبرغ، يوليوس: ١١١، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٧٧، ١٩٦، ٢٠٤ ـ ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٦٦
- هيرمينوس، دافيد (مترجم إلى اللغة اللاتينية): ١٥٢
- هيرودوت: ٤٧
- هيروفيلوس: ٦٤

و

- الواثق بالله (خليفة عباسي): ١٢٨
- وايلدمان، كينيث: ١٧٦
- وستنفيلد (مستشرق ألماني): ١٦٩
- الوليد بن عبد الملك: ٩٣، ٢٧٢
- وود، كاسي (أميركي مهتم بتاريخ الطب): ١٥٨

ي

- يحيى النحوي: ٧٥
- يحيى بن البطريق (مترجم): ١١٤، ١١٧
- يحيى بن سيار (مترجم): ١١٩
- يحيى بن عدي (مترجم): ١١٥
- يحيى بن هارون (مترجم): ١١٥
- يزبك، أكاديمية: ٢٣٥
- يزيد بن معاوية: ٩١

- يعقوب بن الليص الصفاري: ١٠٢
- يعقوب بن كلس، أبو الفرج: ١٤٧
- اليلداوي، موسى بن إبراهيم بن محمد الطبيب اليلداوي الصالحي الحنبلي: ٢٠٥
- يوحنا بن بختيشوع (مترجم): ١١٧، ١١٩
- يوحنا بن ماسويه (طبيب ومترجم): ١١٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣١، ٢٠٧، ٢١٠
- يوسف الكحال، شهاب الدين بن الحجاج: ٢٤٨
- يوسف الناقل (مترجم): ١١٧
- يوسف بن أحمد بن حسداي: ٢٢٨
- يوليوس قيصر: ٦٧







مسرد بأسماء الأماكن

أ

- أثينا: ٧٧، ١٠٦
- الأحواز، خوزســتان: ٥١، ٥٢، ٩٤، ٢١٩، ٢٢٢
- أريدو: ٤٣
- الأسقلبيون (معاهد): ٦٠
- الإسكندرية: ٦٨، ٧٣، ١٠٦
- إشبيلية: ١٧١، ١٧٢، ٢٤٧
- آشور، مملكة: ٤٥
- أصفهان: ١٥٥، ٢١٩
- إفسس: ١٢٤
- آكد: ٤٣
- آمد: ٢٤٣
- أنطاكية: ٥٣، ٩٥، ١٠٥، ١٠٧
- أور: ٤٣

ب

- بابل: ٤٤، ٤٥، ٨٢
- بادوفا: ٢٣٤
- باكستان: ٤٩، ٥٣، ٢٢٦
- بانكيبور (الهند): ٢٣٠
- بخارى: ٢٣١
- برشلونة: ١٥١، ١٦٨
- برغامون (مسقط رأس جالينوس): ٦٣
- البصرة (العراق): ٩٤، ٩٥، ١٠٣، ١٢٥، ١٣١، ٢٣٧
- بصرى (الشام): ٨١
- بغداد (عاصمة الدولة العباسية):٩٧، ٩٩ ـ ١٠٣، ١٢٨، ١٣٢، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٦، ١٧١، ١٨٥، ١٩١
- بلخ (خراسان): ١٠٠
- بنغلادش: ٤٩
- بولاق (مصر): ٢٢٥، ٢٣٥
- بيت لحم (مدينة بفلسطين): ٦٨

ت

- تور (موقعة تور بإسبانيا): ٩١

ج

- جرجان: ٥١
- جزيرة قوص: ٦٢
- جنديسابور: ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٧٤، ٧٦، ٨٢، ٨٦، ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٨، ١١٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٣١، ٢٧٢

ح

- حران: ١٠٧، ١٤١
- حلب: ١٠٣، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٣، ١٧٥، ٢٠٦، ٢٠٨
- حماة: ١٩٤
- الحيرة: ٨١، ١٣١

خ

- خلاط: ١٧٢
- خراسان: ٥١، ١٠٠، ٢٣١
- خوزستان (الأحواز): ٥١

د

- دمشق: ٩٤، ٩٩، ١٠٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٢

ر

- الرملة: ١٤٦
- الرها: ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ٢٧١، ٢٧٢
- رودوس (جزيرة يونانية): ٥٩
- الري: ٢١٤

ز

- الزهراء: ٢٢٧

س

- سامراء (عاصمة المعتصم بالله): ١٠٢، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٩
- السند: ٢٥، ٥٦
- سنقرة (لارسا): ٤٣
- سيلان: ٤٩

ش

- شقر: ١٧١

ط

- طاشقند: ٢٣٥
- طبرستان: ٥١، ٥٥، ٢٠٩، ٢١٩
- طلس (موقعة طلس على حدود الصين): ٩١
- طليطلة: ١٦٦
- طوس (مرقد جابر بن حيان): ١٢٧

ع

- ـ عين (عين زربة): ٦٩، ٢٤٢

ف

- فينا (مستشفى فينا): ٢٧٤

ق

- القاهــرة: ٤٠، ١١٤، ١٦٤، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠١، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٧٣
- قرطبة: ١٠٤، ١٦٨، ٢٢٧، ٢٤٢
- قنيدس (جزيرة يونانية): ٥٩
- قوص (جزيرة يونانية): ٤٠، ٥٩، ٦٢

ك

- كريت (جزيرة يونانية): ٥٩
- كفرطاب: ١٦٣
- كيش: ٤٣

ل

- لارسا (سنقرة): ٤٣، ٦٣

م

- ماردين: ٢٤٣
- ماري: ٤٣
- ممفيس: ٤٠
- موسكو: ٢٧٥، ٢٧٦
- الموسيون: ٦٤، ٦٨، ٧٤
- الموصل (العراق): ١٠٣، ١١٨
- ميافارقين: ١٦٢، ٢٤٣
- ميلانو: ٢١٧، ٢٣٤

ن

- نصيبين: ١٠٧
- نفر (نيبور): ٤٣
- نينوى: ٤٤، ٤٥

هـ

- همذان: ٢١٩
- الهند: ٤٩ ـ ٥١، ٥٣، ١٠٢، ٢٢٦، ٢٣٠

و

- الوركار (أرك): ٤٣





المراجع والمصادر

المراجع العربية

١ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلـــم للملايين، بيروت ط١٥، عام ٢٠٠٢م.

٢ ـ تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ج ٣ (طب، صيدلة، علم حيوان، بيطرة). ترجمة أ.د. عبدالله بن عبدالله حجازي، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

٣ ـ سير أعلام النبلاء: للذهبي، محمد بن أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦.

٤ ـ عيون الأنباء فـــي طبقات الأطباء، موفق الدين أبـــي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الســـعدي الخزرجي، المعروف بابن أبي أصيبعة. (ت ٦٦٨هـ). تحقيق ودراسة أ.د. عامر النجار، ٦ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠٠١ ـ ٢٠١٠م.

٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله المشهور بـ حاجي خليفة، تصوير ونشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

٦ ـ معجم البلـــدان، لياقوت بن عبـــدالله الحموي، دار الكتـــب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.

٧ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بردي، طبع في دار الكتب المصرية ١٣٤٨ ـ ١٣٧٥هـ = ١٩٢٧ ـ ١٩٥٤م.

٨ ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك للصفدي، إشراف المعهد الألماني للابحاث الشرقية في بيروت، دار صادر، ط١ ـ ١٩٨٨.

٩ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان، تحقيق أ.د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

١٠ ـ الفهرست: محمد بن إسحق النديم ت ٣٧٧هـ = ٩٨٧م. تحقيق وتعليقات د. محمد عبد الرحمٰن المرعشلي، ط١، دار النفائس، بيروت عام ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

١١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن عماد الحنبلي (عبد الحي بن العماد)، دار احياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٢ ـ معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. ١٥ جزء، نشر: مطبعة الترقي بدمشق ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.

١٣ ـ الحاوي في الطب: محمد بن زكريا الرازي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٩٥٥.

١٤ ـ الحاوي في الطب: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ت ٣١٣هـ = ٩١٦م مراجعة وتصحيح د. محمد محمد إسماعيل، مجلدا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

١٥ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين محمد بن عبد الله الخطيب مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٧.

١٦ ـ تاريخ العلم: جورج سارتون، ستة أجزاء ـ ترجمة ثلة من الأساتذة بإشراف: د. إبراهيم بيومي مدكور و د. محمد كامل حسين و د. قسطنطين زريق و د. محمد مصطفى زيادة، دار المعارف القاهرة ط٤ ١٩٧٩.

١٧ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء: علي بن يوسف (ابن القفطي) مكتبة المثنى، القاهرة.

١٨ـ مختصر تاريخ الطب العربي: أ.د. كمال السامرائي، دار النضال للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٠هـ = ١٩٩٠.

١٩ـ ويل ديورانت: قصة الحضارة

ج ١ ـ ٢٢ ترجمة محمد بدران ما عدا ج ٥ و ٦ ترجمة د. زكي نجيب.

ج ٢٣ ـ ٢٦ ترجمة د.عبد الحميد يونس، مراجعة أ. علي أدهم محمود.

ج ٢٧ ـ ٣٦ ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة أ. علي أدهم محمود.

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥..

٢٠ـ تاريخ أطباء العيون العرب: أ.د. نشأت حمارنة، ٣ أجزاء، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا ط٥ عام ٢٠٠٤.

٢١ـ المرحلة العربية الإسلامية من تاريخ طب العيون: أ.د. نشأت حمارنة و أ. اكتمال رجب. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق عام ٢٠١٣م.

٢٢ـ كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي) المقالة الرابعة (طب العيون). علي بن العباس الأحوازي تحقيق أ.د. محمد رواس قلعة جي وأ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر: وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٧.

٢٣ـ فردوس الحكمة (ما ورد فيه عن طب العيون)، علي بن سهل ربن الطبري، جمع وترتيب وتحقيق أ.د. محمد رواس قلعة جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر مؤسسة الفرقان لندن ١٤٠٩هـ = ١٩٩٨م.

٢٤ـ المعالجات البقراطية (ما ورد فيه عن طب العيون) لأحمد بن محمد الطبري جمع وترتيب وتحقيق أ.د. محمد رواس قلعة جي، أ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر: مؤسسة الفرقان ـ لندن، انكلترا عام ١٤٠٩هـ = ١٩٩٨م.



٢٥ ـ القانون في الطب.. وما ورد فيه عن (أمراض العيون ومعالجاتها) جمع وترتيب وتحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعة جي، نشر: دار النفائس، بيروت، لبنان عام ١٩٩٥.

٢٦ ـ البصر والبصيرة: لثابت بن قرة الحراني. تحقيق: أ.د. محمد رواس قلعة جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي نشر: دار العبيكان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٩٩١م.

٢٧ ـ تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها: تأليف علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفر طابي تحقيق: د. أحمد صقر و أ.د. محمد رواس قلعة جي، أ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر: دار العبيكان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية عام ١٩٩٢.

٢٨ ـ العشر مقالات في العين: تأليف حنين بن إسحق العبادي، حققه وترجمه إلى الإنكليزية البروفسور: ماكس مايرهوف نشر: المطبعة الأميرية، القاهرة/ مصر ١٩٢٨.

٢٩ ـ الكافي في الكحل: تأليف خليفة بن أبي المحاسن الحلبي، تحقيق أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد روس قلعة جي، نشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو) الرباط ـ المغرب ١٩٩٠.

٣٠ ـ كشف الرين في أحوال العين: تأليف محمد بن إبراهيم بن صاعد (بن الأكفاني) تحقيق: أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعة جي، نشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٩٩٣.

٣١ ـ المرشد في الكحل: تأليف محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي تحقيق: أ.د. محمد رواس قلعة جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي نشر: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية: ١٩٩٠.

٣٢ ـ نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركية رمضان ششن، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٥.

٣٣ ـ المنتخب في علم العين: تأليف عمار بن علي الموصلي، تحقيق: أ.د. محمد رواس قلعة جي و أ.د. محمد ظافر الوفائي، نشر: دار العبيكان للنشر، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٩٩١.

٣٤ ـ المهذب في الكحل المجرب: تأليف علاء الدين بن أبي الحزم القرشي (ابن النفيس)، تحقيق: أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعة جي، نشر: المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) الرباط ـ المغرب ١٩٨٨.

٣٥ ـ نور العيون وجامع الفنون: تأليف: صلاح الدين الكحال الحموي، تحقيق: أ.د. محمد ظافر الوفائي و أ.د. محمد رواس قلعة جي، نشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٣٦ ـ تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى الكحال البغدادي: تحقيق: الحكيم غوث محي الدين القادري الشرفي، نشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ـ الهند عام ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م.

٣٧ ـ حضارة العرب، تأليف: غوستاف لوبون، ترجمه إلى العربية: عادل زعيتر، وترجمه للانكليزية: جورج مدبك، قدم له: محمد ضاهر، نشر: دار البيروني ـ بيروت، لبنان، ٢٠١٤.

٣٨ ـ سلسلة (طب العيون عند العرب والمسلمين، نصوص ودراسات وترجمات)، إعداد أ.د. فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ـ جمهورية ألمانيا الغربية. ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.



٣٩ ـ شرح تشريح القانون: لابن النفيس، تحقيق: أ.د. سلمان قطاية وأ.د. بول غليونجي، تصدير أ.د. إبراهيم مدكور. نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨.

٤٠ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت ٨٢١هـ). ١٥ جزء، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط١ و١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤١ ـ الطب في مصر القديمة: تأليف أ.د. بول غليونجي، نشر: دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨

٤٢ ـ الطب المصري القديم: تأليف د. حسن كمال، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٩٨.

٤٣ ـ معجم الأطباء، أحمد عيسى بك، جامعة فؤاد الأول، كلية الطب، ط١، ١٩٤٢.

٤٤ ـ العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، تأليف: ألدو ميللي، ترجمة د. عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، نشر: دار العلم، مصر ١٩٦٢.

٤٥ ـ شمس العرب تسطع على الغرب، تأليف: زيغريد هونكة، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة فاروق عيسى الخوري، نشر: دار الآفاق، بيروت ـ لبنان ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٤٦ ـ الطب العربي، تأليف أمين أسعد خير الله، ترجمة: مصطفى أبو عز الدين نشر: مكتبة لبنان ـ المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٥م.

٤٧ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق علي محمد عمر، ١٠ أجزاء، نشر: مكتبة الخانجي، ط١، سنة ٢٠٠١م.

المراجع الأجنبية:

- Julius Hirschberg
  The History of ophthalmology
  Vol I. Antiquity
  Translated into English by:
  Prof. Frederick C. Blodi, MD
  Publisher: Verlag J. Wayenborgh
  Postfach 200646
  5300 Bonn, 2 W. Germany 1982
- Julius Hirschberg
  The History of ophthalmology
  Vol II, the middle ages and the 16th Century
  Translated into English by:
  Prof. Frederick C. Blodi, MD
  Publisher: Verlag J. Wayenborgh
  Postfach 200646
  5300 Bonn, 2 W. Germany 1985
- Julius Hirschberg, J. Lippert and E. Mittwoch
  The Arabian of ophthalmologists
  Translated into English by:
  Prof. Frederick C. Blodi, Wilfried J. Rademaker, Gisela Rademaker and Kenneth F. Wildman.
  Edited by: M. Zafer Wafai, M.D
  Published by: King Abdulaziz City for Science and
  Technology (KACST)
  Riadh, Saudi Arabia 1413H, 1993AD
- Memorandun Book of a 10th Century Ocalist
  Ali Ibn Isa Al-Kahhal Al-Baghdadi
  Translated into English by: Casey A. WOOD

Published by: Northwestern University Press

Chicago - U.S.A 1936.

- An Introduction to the History of Medicine by:

  Fielding Hudson Garrison

  Published: W. B. Saunders Company

  Philadelphia and London 1917

- Histoire De La Medicine Arabe, 2 volumes.

  Dr. Lucien Leclerc. Editor: Ernest Lecroux, Paris, France, 1876.

  Reedite: Par Le Ministere De Habous et Des Affaires Islamique, Royaume Du Maroc-Rabat, 1980.

- The practice of surgery in Islamic land, a myth or reality:

  Emily Savage-Smith: 0951-631 X, social history of Medicine, Vol.13, No.2, 307-321.

